صحيح

وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

ومعه

شروح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة



جمع وتعليق وتخريج

مصطفى أدم

دار ابن حزم

القاهرة

صحيح وصايا الرسول

من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

ومعه

شروح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة

جمع وتعليق وتخريج

مصطفى أدم

دار ابن حزم

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

فلقد كان للرسول ﷺ عناية بالغة بالوصية. يعم بها سائر الأمة في أمور يلفت إليها العناية والاهتمام، ويخص بها أحداً منهم، تكريمًا له، وإظهاراً لمنزلته عنده ﷺ، وتأكيداً علىٰ الأمر الذي يوصي به لأهميته، وعظيم نفعه.

وكان ﷺ يخص بعض أصحابه بوصية، يؤثره بها، تكريمًا له، أو يكون له بها نفع يناسب حاله، ويصلح به أمره.

وكان الصحابة رضي الله عنهم -أحيانًا- يسألون الرسول ﷺ أن يوصيهم، جماعة أو أفراداً، فيبادر الرسول ﷺ إلىٰ الوصية لكلٍ بما يناسب حاله، وأهمية الأمر الذي يوصيه به، فعل الطبيب المشفق بمريضه المشتكي المتوجع، يصف له الدواء الناجع لما يشتكيه ويتوجع منه، فيكون بذلك البرء والعافية بإذن الله.

أهمية وصايا الرسول ﷺ:

١-أن الوصية تأتي دائمًا نتيجة الإخاء والإشفاق والنصح والإخلاص.

٢- أنها لم تقتصر علىٰ مصلحة الموصي فقط بل تعدته إلىٰ غيره، فكم وصىٰ ﷺ بالجار، وبالأقارب الأول فالأول، وبالنساء، وبالمملوك.

٣- عناية النبي ﷺ بالوصايا في أُخْرَيَاتِ حياته كانت أشد من الأوقات الأخرىٰ وكأنها وصايا مُودع.

٤- أن الوصايا النبوية والآيات القرآنية من معين واحد، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٤، ٥]، فلا تتوقف وصاياه ﷺ

علىٰ مشاورة ولا تخضع للتجارب.

٥- أن الوصايا النبوية أخص من الحديث والموعظة، فالوصية من هذا الاعتبار لم تكن كثيرة في النصوص الموجودة.

٦- أنها شملت في جملتها مجالات الإنسان سواء كانت في أمر دنياه أو آخرته، ولكنها في أمر الآخرة أغلب.

٧- يتسم أسلوب الوصايا بالإيجاز والإعجاز، فهي من أخص جوامع الكلم.

منهج العمل في الكتاب:

١- جمع الأحاديث التي تناولت وصايا عامة أو خاصة للرسول ﷺ وتبويب موضوعاتها ليسهل علىٰ القارئ الاستفادة منها.

٢- ضبط النص ومقابلته، مع بيان معاني الكلمات، وإضافة شروح وتعليقات لكبار العلماء، وفي نهاية الحديث ذكرنا طرفًا من فوائده.

٣- عزو الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤- عزو الأحاديث إلىٰ مصادرها من كتب السنة فالأحاديث التي في الصحيحين العزو إليهما يكفي للدلالة علىٰ صحة الحديث وما كان خارج الصحيحين قمنا بعزوه إلىٰ مصادره واستعنًا بتحقيقات العلامة الألباني -رحمه الله تعالَىٰ- في الحكم علىٰ الأحاديث التي وجدنا له أحكامًا عليها.

وختامًا:

فهذا جهد المقِل، فما كان من توفيق فهو من الله وحده، وما كان من زلل أو خطأ فهو من عند أنفسنا ومن الشيطان، فنسأل الله سبحانه أن يغفر لنا، ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.. ونسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتاب الإيمان

أحب الأعمال إلى الله تعالى

عَنْ قَتَادةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عنْ رجلٍ منْ خثعمٍ قالَ:أتيتُ النبيَّ ﷺ وهوَ في نفرٍ منْ أصحابِه قالَ: قلتُ: أنتَ الذي تزعمُ أنكَ رسولُ اللهِ؟ قالَ: «نعمْ»، قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قالَ: «إيمانٌ باللهِ»، قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ: ثمَّ مهْ؟ قالَ: «ثمَّ صلةُ الرحمِ»، قالَ: قلتُ يا رسولَ اللهِ: أيُّ الأعمالِ أبغضُ إلى اللهِ؟ قالَ: «الإشراكُ باللهِ»، قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ ثمَّ مهْ؟ قالَ: «ثمَّ قطيعةُ الرحمِ»(١).

معاني الكلمات:

خثعم: اسم قبيلة من قبائل العرب.

نفرٍ: من ثلاثة إلىٰ عشرة من الرجال.

تزعمُ: الزعم: القول يكون حقًّا ويكون باطلًا، وتزعم هنا بمعنىٰ: تدعي.

مه: أي ثم ماذا؟

المعنى الإجمالي:

كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كثيرًا ما يسألون للنبي ﷺ عن خير الأعمال وأفضلها عند الله وأحبها إليه، مما يدل علىٰ حرص الصحابة الكرام وفقههم علىٰ الاستزادة من معرفة طرق الخير، وفي صيغة السؤال دلالة عظيمة علىٰ مدىٰ فقه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إذ أنهم يسألون عن خير الأعمال وأحبها إلىٰ الله لعلمهم بأن

---

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ (٦٨٣٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٢).

زمن الحياة قصير فلا بد من اغتنامه.

وفي الحديث ذكر نوعين من أحب الأعمال إليه سبحانه وهما:

أولًا: الإيمان بالله:

والإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف:١٧]؛ أي: ما أنت بمصدق لنا.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، وتفصيل ذلك: التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله تعالىٰ وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانًا تُرىٰ آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالىٰ، واجتناب نواهيه، وأن محمدًا بن عبد الله ﷺ رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به ﷺ عن ربه جل وعلا، وعن دين الإسلام من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له ﷺ بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهىٰ عنه ﷺ وزجر؛ ظاهرًا وباطنًا، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك(٢).

ويتطلب الإيمان بالله أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجوده، **الثاني:** الإيمان بربوبيته، **الثالث:** الإيمان بألوهيته، **الرابع:** الإيمان بأسمائه وصفاته.

ثانيًا: صلة الرحم:

قال الإمام القرطبي: اتفقت الملة علىٰ أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها

---

(٢) الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة لعبد الرحمن صالح المحمود (١٠،٩).

محرمة[٣].

ومن فضائل صلة الرحم: الزيادة في الأعمار، والبركة في الأرزاق، والدليل علىٰ ذلك قول النبي ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[٤]، كذلك مضاعفة أجر الصدقة قال النبي ﷺ «أفضل الصدقة الصدقة علىٰ ذي الرحم الكاشح[٥]»[٦].

وبعد أن سأل الصحابة رضوان الله عليهم عن أحب الأعمال إلىٰ الله، أخذوا يسألون عن أبغض الأعمال إليه؛ وذلك ليجتنبوها فبين لهم النبي ﷺ أن أبغض الأعمال إلىٰ الله الشرك به سبحانه وقطيعة الرحم؛ فأما الشرك بالله فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، وأما قطيعة الرحم فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ [محمد:٢٢].

فوائد الحديث:

١- بيان أن أحب الأعمال إلىٰ الله الإيمان به، وأن الشرك أبغض الأعمال إلىٰ الله.

٢- الحث علىٰ صلة الرحم.

٣- ذم قطيعة الرحم وأنها من الأعمال المبغوضة إلىٰ الله تعالىٰ.

---

(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٥/ ٦).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢١/ ٢٥٥٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) الكاشح: العَدُوُّ الذي يُضْمِر عَداوَته ويَطْوِي عليها كَشْحَه؛ أي: باطِنَه. والكَشْح: الخَصْر، أو الذي يَطْوِي عنك كَشْحَه ولا يَألَفُك. (النهاية لابن الأثير ٤/ ٣١٩).

(٦) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٦) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وصححه الألباني في الإرواء (٨٩٢).

٤- بيان مدىٰ حرص المؤمنين علىٰ عهد النبي ﷺ علىٰ السؤال عن أحب الأعمال إلىٰ الله، وأبغض الأعمال إلىٰ الله.

الاعتراف بربوبية الله والاستقامة له

عن سُفْيَانَ بن عبد الله الثَّقَفِيِّ ﷺ قال: قلت: يا رَسُولَ الله، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أعتصم بِهِ، قال: «قُلْ: رَبِّيَ الله ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: يا رَسُولَ الله، ما أَخْوَفُ ما تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قال: «هذا»(٧).

معاني الكلمات:

أعتصم به: أحتمي به.

أخوف ما تخاف علي: أي: أشد شيء تخافه علي.

المعنى الإجمالي:

حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الإفادة من النبي ﷺ، فهاهو الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ يسأل النبي ﷺ عن أمر يستمسك ويحتمي به، فأرشده النبي ﷺ إلى الاستقامة.

وقوله ﷺ: «قل: ربي الله ثم استقم»: لفظ جامع لجميع الأوامر والنواهي، فإنه لو ترك أمرًا أو فعل منهيًا فقد عدل عن الطريق المستقيمة حتى يتوب، ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:٣٠]، فإن من رضي بالله ربًا يؤدي مقتضيات الربوبية ويحقق مراضيه ويشكر نعماءه(٨).

قوله: «ما أَخْوَفُ ما تَخَافُ عَلَيَّ»: أي: أشد شيء تخاف عليَّ منه؟ قال:

---

(٧) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٧/ ٧٧).

«فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قال: هذا»، في هذه الفقرة من الحديث يحذر النبي ﷺ من خطورة اللسان.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الإنسان ربما يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا ولا يظن أن تبلغ ما بلغت؛ يكتب الله بها عليه سخطه إلىٰ يوم يلقاه... ولهذا قيل:

احفظ لسانك أن تقول فتبتلىٰ

إن البلاء موكل بالمنطق

فكثير من الناس يدعو علىٰ نفسه بشرٍّ، أو يدعو علىٰ ولده، أو يدعو علىٰ ماله، أو يدعو علىٰ صديقه، أو يدعو علىٰ قريبه، من حيث لا يشعر، فربما يصادف ذلك بابًا مفتوحًا فيصيبه الدعاء، وفي حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال له: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله» أي بما يملك هذا كله، قلت: بلىٰ يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا» فقلت: يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، يعني: هل نؤاخذ بما نتكلم به، فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ»، وهذه كلمة يقصد بها تعظيم الأمر، «وهل يكب الناس علىٰ وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[(٩)]، فاحذر يا أخي هذه الحصائد واحفظ لسانك، ومن حفظ اللسان: أن يحفظ لسانه عن الكذب، والغش، وقول الزور، والنميمة، والغيبة، وكل قول يبعده من الله عَزَّ وَجَلَّ ويوجب عليه العذاب، فإنه يجب عليه أن يتنزه منه، نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، إنه

---

(٩) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

علىٰ كل شيء قدير[١٠].

فوائد الحديث:

١- يبين مدىٰ حرص الصحابة علىٰ تعلم ما يعتصمون به من الشر.

٢- وجوب الاعتصام بالله وأن يقول الإنسان ويكثر من قول: ربي الله فإن الله ربه وسوف يغنيه عن الناس.

٣- الحث والحض علىٰ الاستقامة.

٤- التحذير من خطورة اللسان وأنه سبب لهلاك المرء.

---

[١٠] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٥١٦).

وجوب الاستعانة بالله والإيمان بالقدر

عن عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كنت خَلْفَ رسول الله ﷺ يَومًا، فقال: «يا غُلَامُ إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَل الله، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَلَو اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ»[١١].

معاني الكلمات:

الغلام: الصبي من حين يفطم إلىٰ تسع سنين.

احفظ الله: بملازمة تقواه واجتناب نواهيه.

يحفظك: أي في نفسك وأهلك ومالك سيما عند الموت.

تجاهك: أمامك.

استعنت: طلبت الإعانة علىٰ أمور الدنيا والآخرة.

رفعت الأقلام وجفت الصحف: كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد[١٢].

---

(١١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١٢) التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا النبوية لإسماعيل بن محمد الأنصاري (٢٠).

المعنى الإجمالي:

كان ابن عباس رضي الله عنه راكبًا خلف النبي ﷺ على حمار وكان غلامًا صغيرًا لم يبلغ بعد الحُلُم فوجه إليه النبي ﷺ هذا النداء: «يا غلام»، وذلك لتنبيهه لأمر مهم سيلقيه عليه ويعلمه له وهو (حفظ الله)، وذلك بحفظ شرعه ودينه، وبامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وكذلك بأن تتعلم من دينه ما تقوم به عبادتك ومعاملاتك وتدعو به إلى الله عز وجل؛ لأن كل هذا من حفظ الله، الله تبارك وتعالى نفسه ليس بحاجة إلى أحد حتى يحفظه، ولكن المراد حفظ دينه وشريعته، كما قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، وليس المعنى: تنصرون ذات الله؛ لأن الله تبارك وتعالى غني عن كل أحد، ولهذا قال في آية أخرى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد:٤]، ولا يعجزونه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤]، إذًا «احفظ الله يحفظك» جملة تدل على أن الإنسان كلما حفظ دين الله حفظه الله.

قوله: «احفظ الله تجده تجاهك»، وفي لفظ آخر: «تجده أمامك»: «احفظ الله» أيضًا بحفظ شريعته بالقيام بأمره واجتناب نهيه تجده تجاهك وأمامك. ومعناهما واحد؛ يعني: تجد الله أمامك يدلك على كل خير ويذود عنك كل شر، ولا سيما إذا حفظت الله بالاستعانة به، فإن الإنسان إذا استعان بالله وتوكل على الله كان الله حسبه وكافيه، ومن كان الله حسبه فإنه لا يحتاج إلى أحد بعد الله، قال الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]؛ أي: وحسب من اتبعك من المؤمنين، ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٢]، فإذا كان الله حسب الإنسان -أي: كافيه- فإنه لن يناله سوء؛ ولهذا قال: «احفظ الله تجده تجاهك»، أو «تجده أمامك».

ثم قال: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»؛ أي: لا تعتمد علىٰ أحد مخلوق، مثلًا: إنسان فقير ليس عنده مال يسأل الله يقول: اللهم ارزقني، اللهم هيئ لي رزقًا؛ فيأتيه الرزق من حيث لا يحتسب، لكن لو سأل الناس فربما يعطونه أو يمنعونه، ولهذا جاء في الحديث: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب ثم يبيعه لكان خيرًا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(١٣)، فكذلك أنت إذا سألت فاسأل الله قل: اللهم ارزقني، اللهم أغنني بفضلك عمن سواك، وما أشبهه من الكلمات التي تتجه بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك أيضًا ينبغي طلب المعونة من الله، قال: «إذا استعنت فاستعن بالله»:

الاستعانة: طلب العون، فلا تطلب العون من أي إنسان إلا للضرورة القصوىٰ، ومع ذلك إذا اضطررت إلىٰ الاستعانة بالمخلوق فاجعل ذلك وسيلة وسببًا لا ركنًا تعتمد عليه، اجعل الركن الأصيل هو الله عَزَّوَجَلَّ وفي هاتين الجملتين دليل علىٰ أنه من نقص التوحيد أن يسأل الإنسان غير الله، ولهذا تكره المسألة لغير الله عَزَّوَجَلَّ في قليل أو كثير، والله سبحانه إذا أراد عونك يسَّر لك العون سواء كان أسباب معلومة أو غير معلومة، قد يعينك الله بسبب غير معلوم لك فيدفع عنك من الشر ما لا طاقة لأحد به، وقد يعينك الله علىٰ يد أحد من الخلق يسخره لك ويذلله لك حتىٰ يعينك، ولكن مع ذلك لا يجوز لك إذا أعانك الله علىٰ يد أحد أن تنسىٰ المسبب وهو الله عَزَّوَجَلَّ كما يفعله بعض الجهلة الآن.

---

(١٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٤١)ظ (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

قوله: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»: فبين النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الجملة أن الأمة لو اجتمعت كلها علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، فإذا وقع منهم نفع لك فاعلم أنه من الله؛ لأنه هو الذي كتبه، فلم يقل النبي ﷺ لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك، بل قال: «لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»، فالناس بلا شك ينفع بعضهم بعضًا، ويساعد بعضهم بعضًا، لكن كل هذا مما كتبه الله للإنسان، فالفضل لله فيه أولًا هو الذي سخر لك من ينفعك ويحسن إليك ويزيل كربتك، وكذلك بالعكس «لو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»، والإيمان بهذا يستلزم أن يكون الإنسان متعلقًا بربه ومتوكلًا عليه لا يهتم بأحد؛ لأنه يعلم أنه لو اجتمع كل الخلق علىٰ أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وحينئذٍ يعلق رجاءه بالله ويعتصم به ولا يهمه الخلق ولو اجتمعوا عليه؛ ولهذا نجد الناس في سلف هذه الأمة لما اعتمدوا علىٰ الله وتوكلوا عليه لم يضرهم كيد الكائدين ولا حسد الحاسدين ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران:١٢٠].

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «رفعت الأقلام وجفت الصحف»؛ يعني: أن ما كتبه الله فقد انتهىٰ ورفع، والصحف جفت من المداد، ولم يبق مراجعة «فما أصابك لم يكن ليخطئك»، كما في اللفظ الثاني «وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(١٤).

---

(١٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٦٢) بتصرف.

فوائد الحديث:

١- بيان اهتمام النبي ﷺ بتعليم الناشئة، لأنهم سيكونون قادة الأمة فيما بعد.

٢- لطف النبي ﷺ في مناداة ابن عباس بقوله: «يا غلام».

٣- تواضع النبي ﷺ حيث أردف الغلام خلفه.

٤- الحث علىٰ تعليم الصبيان بحفظ حدود الله، وأن من يحفظ حدود الله وفرائضه يحفظه الله تعالىٰ.

٥- ينبغي عدم دعاء وسؤال أحد غيرُ الله تعالىٰ؛ لقول النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله» وهذا رد علىٰ الصوفية الذين يسألون غير الله تعالىٰ من أهل القبور والأموات من شيوخهم.

٦- وجوب الاستعانة بالله، وعدم الاستعانة بالآخرين.

٧- بيان ثمرة من ثمار الإيمان بالقدر ألا وهي أن من آمن بالقدر، بمعنىٰ أنه آمن بأن الله يعلم الشيء قبل وقوعه وكتابته ومشيئته له مما يُطمئِن القلوب ويجعل الإنسان لا يعتمد علىٰ أحد، وأن الناس لو اجتمعوا علىٰ فعل شيء ينفعونه به ولم يكتب له فلن يصل له هذا النفع، وعلىٰ النقيض لو أراد أهل الأرض علىٰ أن يمكروا به ويضروه فلن يصل الضر ما دام لم يكتب ولم يقدر.

النهي عن التفاخر بالأنساب

عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ الناس يوم فَتْحِ مَكَّةَ فقال: «يا أَيُّهَا الناس: إِنَّ الله قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ؛ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ على الله، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على الله، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ الله آدَمَ من تُرَابٍ، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]» (١٥).

معاني الكلمات:

عُبِّيَّة الجاهلية: كبرها وفخرها.

وتعاظمها: تفاخرها

البَرُّ: الواسع الإحسان.

الفاجر: الفاسق.

الشقي: التعيس غير السعيد.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث في ذم تفاخر الناس بأحسابهم وما يحصل لآبائهم وأجدادهم فيفتخرون به ويتعالون على غيرهم، فهذه من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير منها.

---

(١٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٧٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

لذا قال النبي ﷺ: «إِنَّ الله قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»: يعني: الكبر والتفاخر اللذين كانا منهم في الجاهلية بأحسابهم وأنسابهم وتكبرهم، وكونهم يفتخرون بالآباء ويتكبرون بما يزعمونه من فضل أو من شرف علىٰ غيرهم.

ثم يشير النبي ﷺ إلىٰ أن الناس رجلان؛ أحدهما: «مؤمن تقي» وهذا ليس له أن يتكبر، وإنما عليه أن يتواضع وأن يترك التكبر.

والآخر: «فاجر شقي»، فتكبره يكون زيادة في شقائه وزيادة في ضرره؛ لأنه قد حصل علىٰ الشقاوة، فيكون في تفاخره وفي تكبره زيادة علىٰ ما هو فيه من البلاء.

العلة من النهي عن التفاخر ووجوب التزام التواضع:

أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «أنتم بنو آدم وآدم من تراب»؛ يعني: كلكم من آدم، وآدم أصله من تراب، فيكف يكون التفاخر ممن أصله من تراب، وقد خلق من ماء مهين؟! ومن يكون متصفًا بصفات النقص كيف يحصل منه الفخر ويحصل منه التكبر والتجبر؟! وإنما علىٰ الإنسان أن يتواضع وأن يبتعد عن هذه الأمور الذميمة التي كانت في الجاهلية، وجاء الإسلام بالتحذير منها وبتركها والابتعاد عنها(١٦).

ثم يوضح النبي ﷺ جعلنا: ﴿شُعُوبًا﴾ [الحجرات:١٣]، جمع شعب -بفتح الشين- وهو أعلىٰ طبقات النسب، و﴿وَقَبَآئِلَ﴾: هي دون الشعوب، وبعدها العمائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، حذف منه إحدىٰ التائين؛ أي: ليعرف بعضكم بعضًا لا لتفاخروا بعلو النسب، وإنما الفخر

---

(١٦) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٩/ ١٣٦، ١٣٧) بتصرف.

بالتقوىٰ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾؛ أي: إنما تتفاضلون عند الله تعالىٰ بالتقوىٰ لا بالأحساب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾، بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم(١٧).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالفضل في الإسلام بالتقوىٰ، أكرمنا عند الله هو الأتقىٰ لله عَزَّ وَجَلَّ، فمن كان أتقىٰ لله فهو عند الله أكرم. ولكن يجب أن نعلم أن بعض القبائل أو بعض الشعوب أفضل من بعض، فالشعب الذي بعث فيه الرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل الشعوب، شعب العرب أفضل الشعوب؛ لأن الله قال في كتابه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، وقال النبي ﷺ: «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(١٨).

ولا يعني هذا إهدار الجنس البشري بالكلية. لا، لكن التفاخر هو الممنوع، أما التفاضل: فإن الله يفضل بعض الأجناس علىٰ بعض، فالعرب أفضل من غيرهم، جنس العرب أفضل من جنس العجم، لكن إذا كان العربي غير متقٍ والعجمي متقيًا، فالعجمي عند الله أكرم من العربي(١٩).

فوائد الحديث:

١- ذم الكبر.

٢- ذم التفاخر بالأنساب والآباء.

٣- أصل الناس هو آدم وحواء، وهذا رد علىٰ من يقول: إن آدم ليس أبا

---

(١٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٩/ ١١١).

(١٨) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (١٦٨/ ٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٩) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٦٣٣).

البشر.

٤- بيان أن أكرم الناس عند الله هو أتقاهم.

٥- إثبات اسمين لله تعالىٰ: العليم، والخبير.

٦- بيان لصنفي الناس؛ إما تقي، وإما فاجر.

٧- ذم الفجور وأن صاحبه شقي هين علىٰ الله.

أخلصوا أعمالكم لله

عن الضحاك بن قيس الفهري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عز وجل يقولُ: أنا خيرُ شريكٍ، فمنْ أشركَ معي شريكًا فهوَ لشريكِي، يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَخلصوا أعمالَكُم للهِ عز وجل، فإنَّ اللهَ عز وجل لا يقبلُ إلا ما أخلصَ لهُ، ولا تقولوا: هذا للهِ وللرحِمِ؛ فإنها للرحِمِ فليسَ للهِ عز وجل منها شيء، ولا تقولوا: هذهِ للهِ ولوجوهِكُم؛ فإنهَا لوجوهِكم ليسَ للهِ منهَا شيءٌ»[20].

معاني الكلمات:

أَخلصوا: أخلص الشيء؛ أي: أصفاه ونقاه مما يشوبه، والمراد به هنا: ترك الرياء.

لِلرَّحِمِ: الرحم: القرابة.

لوجوهكم: أي لكم، فعبر بالجزء وأراد الكل.

المعنى الإجمالي:

يخبرنا الله تبارك وتعالىٰ: أنه لا يقبل عمل عامل منا من ذكر أو أنثىٰ إذا كان عمله مشوبًا بشرك، ولم يكن خالصًا لله تعالىٰ من جميع أنواع الشرك، كالكبر، والسمعة، وغير ذلك؛ فإن العمل تارة يكون لغير الله، كمن يعمل رياءً محضًا، بحيث لا يراد به سوىٰ مرئيات المخلوقين؛ لغرض دنيوي، كحال

---

(20) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٣٣٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧): صحيح لغيره.

المنافقين في صلاتهم. قال الله تعالىٰ في وصفهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون:٤]، وكذلك وصف الله تبارك وتعالىٰ الكفار بالرِّياء المحض في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة، والحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة؛ التي يتعدىٰ نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدل علىٰ بطلانه أيضًا، وحبوطه(٢١).

طريق معالجة القلب من الرياء:

عرفت أن الرياء محبطٌ للأعمال، وسبب للمقت عند الكبير المتعال، وأنه من كبائر المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته، وفي علاجه مقامان:

أحدهما: قطع عروقه وأصوله، وهي حب لذة المحمدة، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس، فهذه الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلىٰ الرياء، وعلاجه: أن يعلم مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه، وما يحرم عليه في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالىٰ، وما يتعرض له من العقاب والمقت الشديد والخزي الظاهر، فمهما تفكر العبد في هذا الخزي

---

(٢١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لمحمد منير الدمشقي، (٩٤،٩٥).

وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال فإنه يسهل عليه قطع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكنه إذا بان له أن فيه سُمًّا أعرض عنه.

المقام الثاني: دفع العارض منه أثناء العبادة وذلك لا بد أيضًا من تعلمه، فإن من جاهد نفسه بقطع مغارس الرياء وقطع الطمع واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فقد لا يتركه الشيطان في أثناء العبادة، بل يعارضه بخطرات الرياء، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق دفع ذاك بأن قال لنفسه: مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره، فإذا هاجت الرغبة إلىٰ لذة الحمد: ذكر ما رسخ في قلبه من آفة الرياء وتعرضه للمقت الإلهي والخسران الأخروي(٢٢).

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ والتحذير من الرياء وأنه الشرك الأصغر.

٢- بيان أن الشرك شركان أكبر وأصغر، والأصغر كالرياء.

٣- لا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصًا.

(٢٢) البحر الرائق في الزهد والرقائق للشيخ أحمد فريد (١٤٧،١٤٨).

اعبد الله كأنك تراه

عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رَسُولَ الله، أَوْصِنِي! فقال: «اعبد الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ مِنَ الْمَوْتَى، وَاذْكُرِ الله عز وجل عِنْدَ كل حَجَرٍ وَعِنْدَ كل شَجَرٍ، وإذا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلانِيَةُ بِالْعَلانِيَةِ»، ثُمَّ قال: «أَلا أُخْبِرُكَ بِأَمْلَكِ الناس من ذلك»؟ قلت: بَلَى يا رَسُولَ الله، فَأَخَذَ بِطَرَفِ لِسَانِهِ فقلت: يا رَسُولَ الله -كَأَنَّهُ يَتَهَاوَنُ بِهِ- فقال النبي ﷺ: «وَهَلْ يَكُبُّ الناس على مَنَاخِرِهِمْ في النَّارِ إلا هذا» وَأَخَذَ بِطَرَفِ لِسَانِهِ[٢٣].

معاني الكلمات:

يكب: يوقع ويسقط.

يتهاون به: استخف به.

مناخرهم: المنخر هو الأنف أي أنوفهم.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث عدة وصايا من النبي ﷺ، تضمن للآخذ بها السلامة في الدنيا والآخرة:

الوصية الأولى: الإخلاص في العبادة: فإن العبد إذا علم أن الله مطلع على عبادته وسره وعلنه فيها اجتهد في إخلاصه وإتقانها على أكمل ما أمكنه، فإن من

---

(٢٣) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٠).

علم أن له حافظًا رقيبًا شاهدًا لحركاته وسكناته فلا يسيء الأدب طرفة عين ولا لمحة خاطر. وهذا من جوامع الكلم.

الوصية الثانية: الاستعداد للموت: اعدد نفسك في الموتىٰ، وترحل عن الدنيا حتىٰ تنزل بالآخرة وتحل فيها حتىٰ تبقىٰ من أهلها، وأنك جئت إلىٰ هذه الدار كغريب يأخذ منها حاجته ويعود إلىٰ الوطن الذي هو القبر، وقد قال علي رضي الله عنه: (إن الدنيا قد ترحلت مدبرة والآخرة ترحلت مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل). انتهىٰ، فكأنك بالموت وقد سقاك كأسه علىٰ غفلة فصرت من عسكر الموتىٰ فنزِّل نفسك منزلة من قضىٰ نحبه واترك الحرص واغتنم العمل وقصر الأمل ومن تصور في نفسه أنه يعيش غدًا لا يهتم له ولا يسعىٰ لكفايته فيصير حرًّا من رق الحرص والطمع والذل لأهل الدنيا، قال ابن الجوزي: إذا رأيت قبرًا فتوهمه قبرك وعد باقي الحياة ربحًا.

الوصية الثالثة: ذكر الله في كل مكان، قال: «وَاذْكُرِ الله عز وجل عِنْدَ كل حَجَرٍ وَعِنْدَ كل شَجَرٍ»: أي: عند مرورك علىٰ كل شيء من ذلك، فالمراد ذكره علىٰ كل حال.

ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه ولا يسأم من خدمته ولا يأنس بغيره. ولما كان ذلك كله يرجع إلىٰ الأمر بالتقوىٰ والاستقامة وكمال ذلك لا يكون إلا لمن اتصف بالعصمة وحفظ عن كل وصمة، وأما غيره فلا بد له من سقطة أو هفوة: أرشد إلىٰ تدارك ما عساه يكون من الذنوب بقوله: «وإذا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً» تمحها؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

الوصية الرابعة: اتباع السيئة الحسنة: فقوله: «السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلانِيَةُ

بِالْعَلانِيَةِ»؛ أي: إن عملت سيئة سرية فقابلها بحسنة سرية، وإن عملت سيئة علانية فقابلها بحسنة علانية، هذا هو الأنسب، وليس المراد أن الخطيئة السرية لا يكفرها إلا توبة جهرية وعكسه كما ظُن، وقيل: أراد بتوبة السر الكفارة التي تكون للصغيرة بالعمل الصالح والقسم الثاني بالتوبة(٢٤).

ثم أرشده النبي ﷺ إلىٰ ما به يستطيع أن يتحقق بذلك كله وهو حفظ اللسان، فاللسان مع كونه صغيرًا جِرْمه فهو عظيم جُرمه، فمن معاصي اللسان: الشرك وهو أعظم الذنوب، والقول علىٰ الله بغير علم، والقذف والكذب، والغيبة والنميمة، وشهادة الزور؛ قال النبي ﷺ: «وَهَلْ يَكُبُّ الناس علىٰ مَنَاخِرِهِمْ في النَّارِ إلا هذا وَأَخَذَ بِطَرَفِ لِسَانِهِ».

لذا رغب النبي ﷺ كثيرًا في حفظ اللسان فقال لعقبة بن عامر لما سأله ما النجاة؟ «أمسك عليك لسانك»(٢٥)، وقال أيضًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»(٢٦)، وقال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فكيه أضمن له الجنة»(٢٧).

فينبغي للمسلم أن يكف لسانه عما لا فائدة ولا طائل من ورائه، فقد قال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(٢٨)؛ أي قولًا وعملًا. وإن

---

(٢٤) فيض القدير للمناوي (١/ ٧٠٢،٧٠٣) بتصرف.

(٢٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢٦) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٧٤/ ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٧) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢٨) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٠١) من حديث علي بن الحسين رضي الله عنهما، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٨٣٩).

ك- لا بد متكلمًا فليتكلم بخير أو ليسكت.

فوائد الحديث:

١- الحث على عبادة الله بمراقبته ومشاهدته كأنك تراه بعينه فإن ذلك أدعى للخشوع والخضوع في عبادته.

٢- الحض على أن يهيىء الإنسان نفسه للموت، وأن يجعل نفسه في عداد الموتى فإن ذلك أدعى للبعد عن المعاصي وفعل الخيرات وخوف الله جل وعلا.

٣- الحث على ذكر الله في كل وقت ومكان فإن ذلك أدعى لأن يتقيه ولا ينساه فإن الذكر ضد النسيان.

٤- الحض على إتباع السيئة بالحسنة؛ لأن ذلك أدعى لأن تمحوها كما ورد في أحاديث أخر.

٥- يبين النبي ﷺ أن اللسان هو آفة الناس، وأن الإنسان يحاسب على ما ينطق به لسانه، وأن من ملك لسانه ملك بقية أعضائه.

النهي عن التفكر في ذات الله

عَن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: عن النبيِّ ﷺ قالَ: «تفكروا في خلقِ اللهِ، ولا تفكروا في الخالقِ»(٢٩).

معاني الكلمات:

التفكر في خلق الله: إجالة النظر في ملكوت الله.

المعنى الإجمالي:

يأمر الحديث بالتفكر في مخلوقات الله التي يعرف العباد أصلها كالسماوات بكواكبها وحركتها ودورانها، في طلوعها وغروبها، والأرض بما فيها من جبالها ومعادنها، وأنهارها وبحارها، وحيوانها ونباتها، وما بينهما؛ وهو الجو بغيومه وأمطاره، ورعده وبرقه وصواعقه، وما أشبه ذلك، فلا تتحرك ذرة منه إلا ولله سبحانه ألوف من الحكمة فيه شاهدة له بالوحدانية دالة على عظمته وكبريائه(٣٠).

لذا حثَّ الله عز وجل عباده في أكثر من موضع على التفكر في نعم الله وآلاءه وأثنى على المتفكرين؛ من ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا

---

(٢٩) حسن: عزاه في الجامع الصغير لأبي نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٧٦).

(٣٠) فيض القدير (٣/ ٣٤٥).

قعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠،١٩١].

وقال أيضًا: ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار، والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته(٣١).

وينهى عن الخوض في ذات الله ﷻ، وهذا التفكر من تلبيسات إبليس على العوام، قال ابن الجوزي: فمن ذلك أنه يأتي إلى العامي فيحمله على التفكر في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته فيتشكك، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تسألون حتى تقولوا: هذا الله خلقنا فمن خلق الله»، قال أبو هريرة: فوالله إني لجالس يومًا إذ قال لي رجل من أهل العراق: هذا الله خلقنا فمن خلق الله؟ قال أبو هريرة: فجعلت أصبعي في أذني ثم صحت: صدق رسول الله، الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد(٣٢).

فعقيدة أهل السنة والجماعة: عدم الخوض في ذات الله، قال ابن أبي العز: ومن ذلك: التفكر في ذات الله، والسؤال كيف هو؟! وما أشبه ذلك مما يوقع

---

(٣١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤/ ٤٢٣).

(٣٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٣٤٣).

الإنسان في الشك والريب، ولا يصل معه إلىٰ علم ولا يقين؛ ولذلك جاء في الأثر: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله».

وقد أمر النبي ﷺ المؤمن بكف سلسلة الوساوس المتعلقة بالله جل وعلا، فأخبر أن الشيطان يأتي إلىٰ ابن آدم فيقول: من خلق هذا؟ فيقول: الله، من خلق هذا؟ فيقول: الله، من خلق هذا؟ فيقول: الله، ولا يزال به الشيطان حتىٰ يقول: من خلق الله؟ وعند ذلك قال النبي ﷺ: «فليستعذ بالله ولينته»[٣٣]، فأمره بالاستعاذة؛ لأن هذا من الشيطان، والانتهاء؛ أي: قطع النظر والخوض في هذا الأمر، فإنه مما يوقع الإنسان في المهالك ويورده المعاطب.

فالواجب علىٰ المؤمن: ألا يخوض في هذه الأمور، ويقتصر علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة، فإن فيها الكفاية في معرفة الله جل وعلا، والعلم به تبارك وتعالىٰ.

ومن رام زيادة علىٰ ما جاءت به النصوص في الكتاب والسنة فقد تكلف علم ما لم يكلف به، وزاد وغلا، وقد قال النبي ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»[٣٤]، ويدخل في هذا الخبر والدعاء الذين يتعمقون في أسماء الله وصفاته[٣٥].

فوائد الحديث:

١- ذم التفكر في ذات الله والنهي عن ذلك.

٢- إشارة إلىٰ ذم علم الكلام الذي يبحث في ذات الله وصفاته، هذا العلم

---

(٣٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (٥٨٨/ ١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٤) صحيح: أخرجه مسلم (٧/ ٢٦٧٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ١٣).

ـي أفسد الناس وفرّقهم.

٣- الحث علىٰ التفكر والتدبر في خلق الله وآلائه فذلك أدعىٰ لزيادة لإيمان وتمكينه في القلب.

النهي عن الإطراء وأنه وسيلة للشرك

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قال: يا محمد، يا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أَيُّهَا الناس: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله وَرَسُولُهُ، والله ما أُحِبُّ أَنْ ترفعوني فَوْقَ منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»(٣٦).

معاني الكلمات:

عليكم بتقواكم: أي: الزموا التقوى.

لا يستهوينكم الشيطان: لا يغوينكم.

منزلتي: مقامي ومكانتي.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث نهي صريح من النبي ﷺ عن الإطراء والمبالغة في مدحه، وأنه من استهواء الشيطان وتلاعبه بابن آدم، وفي حديث آخر قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا: عبد الله ورسوله»(٣٧).

فـ(هذان الوصفان أصدق وصف وأشرفه في الرسول ﷺ، فأشرف وصف للإنسان أن يكون من عباد الله، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

---

(٣٦) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧).

(٣٧) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

[الصافات:١٧١]، فوصفهم الله بالعبودية قبل الرسالة مع أن الرسالة شرف عظيم، لكن كونهم عبادًا لله عَزَّوَجَلَّ أشرف وأعظم، وأشرف وصف له وأحق وصف به، ولهذا يقول الشاعر في محبوبته:

لا تـــدعني إلا بيـــا عبـــدها

فإنـــه أشـــرف أســـمائي

أي: أنت إذا أردت أن تكلمني فقل: يا عبد فلانة؛ لأنه أشرف أسمائي وأبلغ في الذل.

فمحمد ﷺ عبد لا يُعبد، ورسول لا يَكذب، ولهذا نقول في صلاتنا عندما نسلم عليه ونشهد له بالرسالة: «وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»، فهذا أفضل وصف اختاره النبي عليه الصلاة والسلام لنفسه(٣٨).

فالغلو في الأنبياء والصالحين ذريعة من ذرائع الشرك والعياذ بالله؛ لذا نهىٰ النبي ﷺ عن مجرد الزيادة في المدح، فعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: مدح رجلٌ رجلًا عند رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: «ويحك قطعت عنق صاحبك» مرارًا، ثم قال: «إن كان أحدكم مادحًا أخاه فليقل: أحسبه ولا أزكي علىٰ الله أحدًا»(٣٩).

وللغلو مفاسد عظيمة نذكر منها:

- أنه تنزيل للمغلوِّ فيه فوق منزلته إن كان مدحًا، وتحتها إن كان قدحًا.
- أنه يؤدي إلىٰ عبادة هذا المغلو فيه كما هو الواقع من أهل الغلو.

---

(٣٨) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٢٢٩،٢٣٠).

(٣٩) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٧٤٤) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

- أنه يصد عن تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن النفس إما أن تنشغل بالباطل أو بالحق، فإذا انشغلت بالغلو بهذا المخلوق وإطرائه وتعظيمه، تعلقت به ونسيت ما يجب لله تعالىٰ من حقوق.

- أن المغلو فيه إن كان موجودًا، فإنه يزهو بنفسه، ويتعاظم ويعجب بها، وهذه مفسدة تفسد المغلو فيه إن كانت مدحًا، وتوجب العداوة والبغضاء وقيام الحروب والبلاء بين هذا وهذا إن كانت قدحًا[٤٠].

فوائد الحديث:

١- بيان لحب الصحابة لرسول الله ﷺ حيث حملهم حبهم علىٰ الإطراء والثناء عليه.

٢- التحذير من الإطراء والغلو في الصالحين.

٣- التحذير من الشيطان وأنه هو سبب لكل هذه الشركيات الواقعة في الأمم.

٤- بيان لعظيم منزلة النبي ﷺ حيث إنه لما عرف ربه حق المعرفة كره أن يرفعه أحد فوق منزلته التي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(٤٠) القول المفيد (١/ ٣٢٦).

التحذير من اتخاذ القبور مساجد

عَنْ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ يُتَوَفَّى بِخَمْسٍ لَيَالٍ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيكُمْ إِخْوَةٌ وَأَصْدِقَاءُ، وَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَى الله أَنْ أَتَّخِذَ مِنْكُمْ خَلِيلًا، وَلَوْ أَنِّي اتَّخَذْتُ مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِنَّ الله اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ فَلا تَتَّخِذُوا قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(٤١).

معاني الكلمات:

أبرأ: أتخلىٰ.

الخلة: أعلىٰ أنواع المحبة، والخليل: الصديق الخالص.

المعنى الإجمالي:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: إن خطبة النبي هذه كانت في ابتداء مرضه، وكانت مدة مرضه فوق عشرة أيام. والله أعلم. وقد أشار إلىٰ سبب براءته من خلة المخلوقين، وهو أن الله اتخذه خليلًا لنفسه كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ومن كان خليلًا لله فلا يصلح له أن يخالل بشرًا.

ومن هنا قيل: إن إبراهيم إنما أمر بذبح ولده إسماعيل لتفريغ قلبه من محبته وشدة تعلقه به، حيث وهب له علىٰ الكبر، فلما بادر إلىٰ إضجاعه

---

(٤١) صحيح: أخرجه ابن حبان (١٤/ ٣٣٤) وأصل الحديث في الصحيحين.

وإخراجه من قلبه امتثالًا لأمر الله وطاعته أسقط عنه ذبحه بعد ذلك؛ لأنه لم يكن المقصود إراقة دمه، بل تفريغ محل الخلة منه، حتىٰ لا تزاحم خلةَ الواحد الأحد محبةُ الولد.

والخلة: هي المحبة المبالغة المخللة لمسالك الروح من القلب والجسد، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني
وبهذا سمي الخليل خليلا(٤٢)

والخلة أعظم أنواع المحبة وأعلاها، ولم يثبتها الله عَزَّوَجَلَّ فيما نعلم إلا لاثنين من خلقه، وهما: إبراهيم في قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، ومحمد؛ لقوله ﷺ: «إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا»(٤٣).

وبهذا تعرف الجهل العظيم الذي يقوله العامة: إن إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيب الله، وهذا تنقص في حق الرسول ﷺ؛ لأنهم بهذه المقالة جعلوا مرتبة النبي ﷺ دون مرتبة إبراهيم، ولأنهم إذا جعلوه حبيب الله لم يفرقوا بينه وبين غيره من الناس، فإن الله يحب المحسنين والصابرين، وغيرهم ممن علَّق الله بفعلهم المحبة، فعلىٰ رأيهم لا فرق بين الرسول ﷺ وغيره، لكن الخلة ما ذكرها الله إلا لإبراهيم، والنبي ﷺ أخبر أن الله اتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا(٤٤).

(٤٢) فتح الباري لابن رجب الحنبلي (٣/ ٥٥٣،٥٥٤)
(٤٣) صحيح: اخرجه مسلم (٢٣/ ٥٣٢) من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤٤) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٢٤٧).

ثم ينهىٰ النبي ﷺأمته عن اتخاذ القبور مساجد وهذا عام يشمل قبر النبي ﷺوغيره.

وفي هذا حرص من النبي ﷺعلىٰ أمته في إبعادهم عن الشرك وأسبابه؛ لأن اتخاذ القبور مساجد من وسائل الشرك وذرائعه، ولهذا حرص النبي ﷺ علىٰ تحذير أمته منه، وهذا من كمال رأفته ورحمته بالأمة.

اعتراض وجوابه:

إذا قال قائل: نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر الرسول ﷺ الآن، فإنه في وسط المسجد، فما الجواب؟

قلنا: الجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن علىٰ القبر، بل بني المسجد في حياة النبي ﷺ.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتىٰ يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد، بل دفن في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول ﷺ، ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك عام ٩٤هـ تقريبًا، فليس مما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه، مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضًا سعيد بن المسيب من التابعين، فلم يرض بهذا العمل.

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتىٰ بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد، فليس المسجد مبنيًا عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة، أي

مثلث، والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلىٰ؛ لأنه منحرف.

فبهذا كله يزول الإشكال الذي يحتج به أهل القبور، ويقولون: هذا منذ عهد التابعين إلىٰ اليوم، والمسلمون قد أقروه ولم ينكروه، فنقول: إن الإنكار قد وجد حتىٰ في زمن التابعين، وليس محل إجماع، وعلىٰ فرض أنه إجماع، فقد تبين الفرق من الوجوه الأربعة التي ذكرناها(٤٥) .

فوائد الحديث:

١- بيان فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٢- التحذير الشديد من الشرك ووسائله وطرقه.

٣- التحذير من بناء المساجد علىٰ القبور فإنه حرام ومنهي عنه.

٤- بيان لأدب النبي ﷺ وتواضعه حيث قال: «قد كان فيكم إخوة وأصدقاء»، ولم يقل تلاميذ وطلاب، رغم أنه معلمهم، ولكنه التواضع.

---

(٤٥) السابق (١/ ٢٤٦،٢٤٧).

التحذير من الشرك الخفي

عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فقال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هو أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي من الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قال: قُلْنَا: بَلَى، فقال: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى من نَظَرِ رَجُلٍ»(٤٦).

معاني الكلمات:

نتذاكر المسيح الدجال: نتحدث عنه، ونذكر ما يكون من أمره.

الدجال: هو الشخص الذي يظهر بين يدي الساعة فتنة للناس ويقتله المسيح عيسىٰ عليه السلام بعد نزوله من السماء.

يزين صلاته: يجملها بإطالة أو تصنع خشوع.

المعنى الإجمالي:

خرج الرسول ﷺ علىٰ صحابته ذات يوم وهم يتناقشون في أمر المسيح الدجال، وهو الذي يظهر بين يدي الساعة، وفتنته أشد فتنة وأعظمها في تاريخ البشر، قال النبي ﷺ: «ما بين خلق آدم إلىٰ قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»(٤٧)، وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال»(٤٨)، من أجل ذلك فإن جميع

---

(٤٦) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٤٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٢٦/ ٢٩٤٦) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٤٨) صحيح: أخرجه مسلم (١٢٧/ ٢٩٤٦) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

الأنبياء حذروا أقوامهم من فتنته، ولكن رسولنا ﷺ كان أكثر تحذيرًا لأمته منه.

ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه: إنه أعور وإن الله ليس بأعور»[٤٩][٥٠].

السر في تسميته المسيح الدجال:

يقول ابن الأثير: سمي الدجال مسيحًا؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل؛ بمعنى: مفعول، بخلاف المسيح عيسى بن مريم، فإنه فعيل؛ بمعنى: فاعل، سمي به؛ لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله، والدجال: الكذاب، وسمي دجالًا -كما يقول ابن حجر-: لأنه يغطي الحق بباطله، ويقال: دجل البعير بالقطران إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه..، وقال ابن دريد: سمي الدجال؛ لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل: لضربه نواحي الأرض..، وقيل: بل قيل ذلك؛ لأنه يغطي الأرض[٥١].

فاهتم الصحابة رضوان الله عنهم لأمره؛ فكانوا يتذاكرونه فيما بينهم، فأرشدهم النبي ﷺ إلى ما هو أخوف عليهم عنده[٥٢]، فقال: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ»، وهو الرياء: وهو أن يطلب بعبادته التي -لا تنبغي لغير الله- نظر الناس إليه

---

(٤٩) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (٩٥/ ١٦٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥٠) القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر (٢٢٤).

(٥١) السابق (٢٢٦).

(٥٢) وكأن في ذلك إشارة من النبي ﷺ إلى أنه لن يخرج في زمانهم. والله أعلم.

ولفت انتباههم نحوه.

ثم أشار النبي ﷺ إلىٰ موطن من تلك المواطن التي قد يرائي فيها العامل بعمله فقال: «أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَىٰ من نَظَرِ رَجُلٍ»؛ أي: أنه يحسنها كمًّا وذلك بإطالتها، أو كيفًا وذلك بإحسان ركوعها وسجودها جذبًا لنظر المخلوقين إليه، وقد حذر الله ﷻ من ذلك أشد التحذير فقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وفي الحديث القدسي: قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٥٣].

قال ابن عثيمين ﷺ: وفي هذا دليل علىٰ أن الرياء إذا شارك العبادة فإنها لا تقبل، فلو أن الإنسان صلىٰ أول ما صلىٰ وهو يرائي الناس لأجل أن يقولوا: فلان ما شاء الله يتطوع يصلي ويكثر الصلاة؛ فإنه لا حظَّ له في صلاته ولا يقبلها الله ﷻ حتىٰ لو أطال ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وصار لا يتحرك وصارت عينه في موضع سجوده فهي غير مقبولة؛ لأنه أشرك مع الله غيره يصلي لله والناس، الله غني عن عبادته سبحانه[٥٤].

فوائد الحديث:

١- إثبات وجود الدجال وأنه شرٌّ مستطير.

٢- بيان لذم الرياء وأنه أخطر علىٰ صاحبه من الدجال.

٣- استحسان ضرب المثل في مقام العلم؛ حيث مثل النبي ﷺ لما يقوله

---

(٥٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٥٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٦١٦).

نظريًّا بشيء عملي، فمثَّل للرياء بصلاة الرجل يزينها حتىٰ يراها من حوله فيثنوا علىٰ صلاته.

٤- حسن توجيه النبي ﷺ لصحابته، فدائمًا يلقي السؤال قبل التكلم في الشيء حتىٰ يسترعي انتباههم فيقول: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من الدجال» فأتىٰ بأداة (ألا) الاستفتاحية الدالة علىٰ التنبيه، ثم أتبعها بالسؤال لاستدعاء القلوب لكلامه.

الوصية بعشر كلمات

عن مُعَاذٍ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قال: «لاَ تُشْرِكْ بِالله شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلاَ تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ من أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلاَ تَتْرُكَنَّ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فإن من تَرَكَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ الله، وَلاَ تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فإنه رَأْسُ كل فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فإن بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ الله عز وجل، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ الناس، وإذا أَصَابَ الناس مُوتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ وَأَنْفِقْ على عِيَالِكَ من طَوْلِكَ وَلاَ تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا، وَأَخِفْهُمْ في الله»(٥٥).

معاني الكلمات:

الفرار من الزحف: الهروب من ساحة الجهاد.

تعقن: العقوق: الإساءة إلى الوالدين وتضييع حقهما.

برئت: البراءة من الشيء: التباعد والتخلي عنه.

موتان: هو الموت وسببه الطاعون وغيره.

من طولك: الزيادة من الكسب والمال.

سخط الله: مقته وغضبه.

المعنى الإجمالي:

أوصى النبي ﷺ معاذًا بعشرة أحكام من الأوامر والنواهي.

---

(٥٥) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥١٦).

أولًا: عدم الإشراك بالله لا بالقلب ولا باللسان، فإنه أفضل عند الإكراه، «وإن قتلت وحرقت»؛ أي: وإن عرضت للقتل والتحريق. قال ابن حجر الهيتمي: شرط للمبالغة باعتبار الأكمل مِن صبْر المُكره علىٰ الكفر علىٰ ما هُدد به، وهذا فيمن لم يحصل بموته وهن الإسلام كعالم وشجاع يحصل بموته ذلك، فالأولىٰ له أن يأتي بما أكره عليه ولا يصبر علىٰ ما هدد، ولو بنحو ضرب شديد أو أخذ مال له، كما أفاد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]، الآية.

ثانيًا: عدم عقوق الوالدين؛ بمخالفتهما أو أحدهما فيما لم يكن معصية، حتىٰ إن أمراه بطلاق امرأته مثلًا، أو الخروج من ماله بالتصرف في مرضاتهما. وهذا في إذا لم يكونا ظالمين له.

ثالثًا: ترك الصلاة المكتوبة متعمدًا احترازًا من السهو والنسيان والضرورة، لأن من يترك الصلاة المكتوبة متعمدًا لا يبقىٰ في أمن من الله في الدنيا والآخرة. قال ابن حجر: كناية عن سقوط احترامه.

رابعًا: النهي عن شرب الخمر؛ لأن المانع من الفواحش هو العقل، ولذا سمي عقلًا؛ لأنه يعقل صاحبه عن القبائح، فبزواله عن الإنسان يقع في كل فاحشة عرضت له، ولذا سميت أم الخبائث، كما سميت الصلاة أم العبادات؛ لأنها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

خامسًا: البعد عن سائر المعاصي: وهذا تحذير وتعميم بعد تخصيص، وإيذان بأن المعاصي السابقة أعظمها ضررًا، فإن بالمعصية حل سخط الله علىٰ فاعلها.

سادسًا: النهي عن التولي يوم الزحف: تخصيص بعد تعميم، وإن هلك

الناس بالفرار أو القتل.

سابعًا: عدم الفرار عند وقوع الطاعون: فإذا أصاب الناس موتان -أي: طاعون ووباء- وأنت فيهم فاثبت؛ لقوله ﷺ «إذا وقع الطاعون ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا منه، وإذا وقع ببلد ولستم فيه فلا تدخلوا إليه» (٥٦). ومحل الأمرين حيث لا ضرورة إلىٰ الخروج أو الدخول، وإلا فلا إثم كما هو الظاهر.

ثامنًا: الإنفاق علىٰ العيال من فضل مالك: وفي معناه الكسب بقدر الوسع والطاقة علىٰ طريق الاقتصاد.

تاسعًا: تأديب الأولاد: «لا ترفع عنهم عصاك أدبًا»؛ أي: للتأديب لا للتعذيب.

والمعنىٰ: إذا استحقوا الأدب بالضرب فلا تسامحهم.

عاشرًا: تخويف الأبناء من الله: «وأخفهم في الله»؛ أي: أنذرهم في مخالفة أوامر الله بالنصيحة والتعليم، وبالحمل علىٰ مكارم الأخلاق (٥٧).

فوائد الحديث:

١- النهي عن الشرك والاقتراب منه ولو قتل المسلم وحرق.

٢- ذم عقوق الوالدين والنهي عنه، ووجوب طاعتهم ولو أمروا بأخذ مالك والخروج من أهلك.

٣- بيان لأهمية الصلاة وأن من تركها متعمدًا كفر.

---

(٥٦) صحيح: أخرجه الترمذي (١٠٦٥) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٥٧) انظر مرقاة المفاتيح (١/ ١٣٨، ١٣٩).

٤- ذم شرب الخمر والنهي عنه لأنه رأس الفواحش.

٥- التحذير من المعصية وأنها تجلب سخط الله تعالىٰ.

٦- النهي عن الفرار من الزحف ولو هلك الناس، وأن الفرار يوم الزحف من الموبقات كما في حديث آخر سيأتي قريبًا.

٧- الثبات عند انتشار الطاعون وعدم الخروج من البلد التي تبتلىٰ به.

٨- وجوب الإنفاق علىٰ العيال ووجوب تخويفهم من مخالفة أمر الله تعالىٰ.

كتاب العبادات

استحباب القصد في العبادة

عن جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مَرَّ رسول الله ﷺ على رَجُلٍ يُصَلِّي على صَخْرَةٍ فَأَتَى نَاحِيَةَ مَكَّةَ فَمَكَثَ مَلِيًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَجَدَ الرَّجُلَ يُصَلِّي على حَالِهِ، فَقَامَ فَجَمَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قال: «يا أَيُّهَا الناس عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ -ثَلَاثًا- فإن الله لَا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا»[٥٨].

معاني الكلمات:

مليًّا: أي وقتًا طويلًا.

القصد: أي الوسط بين الإفراط والتفريط.

الملل: السآمة والفتور.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث إشارة إلىٰ الرفق في العبادة والاعتدال في أدائها، وعلل ذلك بقوله: «فإن الله لَا يَمَلُّ حتىٰ تَمَلُّوا»، وفي هذا إشارة منه ﷺ إلىٰ أنه ربما أورث التشدد في العبادة الملل فيفتر الإنسان ويترك العبادة بالكلية؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق»[٥٩]، وقال: «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يُدْخِلَ أحدَكُم عملُهُ الجنةَ، وإن أحبَّ الأعمال إلىٰ الله أدْوَمُها

---

(٥٨) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٢٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٤٧).

(٥٩) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم(٢٢٤٦).

وإن قلَّ»[٦٠]، وقال أيضًا: «يا أيها الناس خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتىٰ تملوا، وإن أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإن قلَّ»[٦١].

قال المحب الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلىٰ باب الطاعة كل وقت؛ ليجازي بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم الخدمة مثلًا ثم انقطع، وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل؛ فيتعرض للذم والجفاء[٦٢].

لذا كره النبي ﷺ التشد والتنطع وتصدىٰ لمن حاول ظلم نفسه بذلك، والأمثلة من السنة كثيرة علىٰ ذلك؛ منها: ما رواه البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا! فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذاوكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٦٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل!»، فقلت: بلىٰ يا رسو الله، قال: «فلا تفعل،

---

(٦٠) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢١٨/ ٧٨٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٢٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦٢) فتح الباري (١١/ ٢٩٩).

(٦٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صُم وأفْطر، وقُم ونَم؛ فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزوْرك عليك حقًا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»، فشَدَّدتُ فشُدِّد علي. قلت: يا رسول الله، إني أجد قوة، قال: «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه»، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: «نصف الدهر». فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ(٦٤).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ معلقًا علىٰ هذه القصة: هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ، وكذلك قال له عليه السلام في الصوم وما زال يناقصه حتىٰ قال له: «صم يومًا وأفطر يومًا صوم أخي داود عليه السلام»، وثبت أنه قال: «أفضل الصيام صيام داود»، ونهىٰ عليه السلام عن صيام الدهر، وأمر عليه السلام بنوم قسط من الليل، وقال: «لكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٦٥).

وكل من لم يذم نفسه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية يندم ويترهب ويسوء مزاجه ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين الحريص علىٰ نفعهم، وما زال ﷺ معلمًا للأمة أفضل الأعمال، وآمرًا بهجر التبتل والرهبانية التي لم يبعث بها، فنهىٰ عن سرد الصوم، ونهىٰ عن الوصال، وعن

---

(٦٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٦٥) صحيح: سبق تخريجه.

قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهىٰ عن العزبة للمستطيع، ونهىٰ عن ترك اللحم، إلىٰ غير ذلك من الأوامر والنواهي، فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية المتجاوز لها مفضول مغرور. وأحب الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ أدومها وإن قل، ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة، وجنبنا الهوىٰ والمخالفة(٦٦).

والتشدد في الدين والتنطع فيه بوابة البدعة والإحداث في الدين، يوضح هذا المعنىٰ قول النبي ﷺ: «لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلىٰ سنتي فقد اهتدىٰ، ومن كانت فترته إلىٰ غير ذلك فقد هلك»(٦٧).

والشِّرة: هي النشاط والهمة، وشرة الشباب: أوله وحدته.

قوله: «فإن الله لا يَمَلُّ حتىٰ تَمَلُّوا» هل يفهم منه أن الله يوصف بالملل؟

الجواب: الله جل وعلا لا يقال إنه يوصف بالملل، فهذا باطل؛ لأن الملل نقص، ولكن الله جل وعلا وصف نفسه بأنه يمل ممن ملَّ منه وهذا علىٰ جهة الكمال.

فإن هذه الصفات التي تحتمل كمالًا ونقصًا فإن لله جل وعلا منها الكمال، والكمال فيها يكون علىٰ أنحاء منها: أن يكون علىٰ وجه المقابلة، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠]، فهو جل وعلا يخادع من خادعه،

---

(٦٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣/ ٨٥،٨٦).

(٦٧) صحيح: أخرجه ابن حبان (١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٦).

يستهزئ بمن استهزأ به، وهذا كمال؛ لأنه من آثار أنه جل وعلا عزيز جبار ذو الجلال وذو الكمال وذو القدرة العظيمة فهو جل وعلا لا يعجزه شيء(٦٨).

فوائد الحديث:

١- النهيُ عن الغلو في العبادة، وأن التنطع في العبادة باعث على الانقطاع عنها.

٢- أفضل العبادات ما كان قصدًا لا إفراط ولا تفريط.

٣- بيان تربية النبي ﷺ أصحابه على الجادة وعدم الانحراف في العبادة.

٤- بيان ليقظة النبي ﷺ حيث وجد الرجل يصلي، ثم تركه فترة طويلة فوجده مرة ثانية على حاله فتنبه النبي ﷺ لذلك فحث الناس على القصد في العبادة.

---

(٦٨) شرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ (١/ ٧٩).

وجوب تعلم صلاة النبي ﷺ

قَالَ أَبُو حَازِمِ بْنُ دِينَارٍ: أَنَّ رِجَالًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَقَدِ امْتَرَوْا فِي الْمِنْبَرِ مِمَّ عُودُهُ؟ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى فُلاَنَة -امْرَأَةٍ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ-: «مُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ». فَأَمَرَتْهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى عَلَيْهَا، وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي»(٦٩).

معاني الكلمات:

امتروا: أي جادلوا.

مم عوده: أي من أي شيء صنع.

طرفاء: نوع من الشجر.

الغابة: مكان في أعالي المدينة جهة الشام.

نزل القهقرى: أي إلى الخلف والوراء.

أصل المنبر: أي على الأرض جنب الدرجة الأولى من المنبر.

---

(٦٩) صحيح: أخرجه البخاري (٩١٧).

لتأتموا بي: لتقتدوا بي.

المعنى الإجمالي:

تجادل أناس في منبر رسول الله ﷺ من أي نوع هو من أنواع الخشب؟ فجاءوا إلىٰ سهل بن سعد رضي الله عنه يسألونه فأخبرهم بأنه علىٰ علم تام بذلك، وأنه يعلم اليوم الذي أحضر فيه ذلك المنبر، واليوم الذي خطب عليه رسول الله ﷺ، والمكان الذي وضع فيه، واليوم الذي جلس عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر القصة، وأن الرسول ﷺ قال لامرأة لها غلام نجار: «مري غلامك أن يعمل لي أعوادًا أجلس عليها إذا كلمت الناس»؛ يعني: إذا خطب الناس وإذا وعظ الناس وذكَّر الناس صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فدل هذا علىٰ استحباب اتخاذ المنبر، واستحباب وجوده في المساجد حتىٰ يصعد عليه الخطيب؛ ليكون ذلك أبلغ في وصول كلامه إلىٰ الناس، ومشاهدة الناس له ورؤيتهم له، ثم ذكر أن الرسول ﷺ لما وضع له المنبر صلىٰ عليه، فقام علىٰ أعلىٰ المنبر وكبَّر وركع، ولما جاء السجود نزل القهقرىٰ وسجد في أسفل المنبر، ثم لما جاء في الركعة الثانية رجع، ولما فرغ من صلاته قال: «إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي»؛ يعني: حتىٰ يروه ويشاهدوه؛ لأنه ﷺ هو القدوة وهو الأسوة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٧٠]، فوقف علىٰ هذا المكان البارز حتىٰ يراه الجميع، وحتىٰ يراه غير أهل الصف الأول؛ لأنه مرتفع عن الناس يشاهده أهل الصف الأول ومن وراءهم. ودل هذا أيضًا علىٰ أن العمل اليسير في الصلاة لا يؤثر؛ لأن الرسول

(٧٠) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

ﷺ صعد علىٰ المنبر ثم نزل وهو في الصلاة، فدل علىٰ أن مثل ذلك سائغ، وأنه لا يؤثر في الصلاة شيئًا، وكان النبي ﷺ ينزل القهقرىٰ حتىٰ يبقىٰ إلىٰ جهة القبلة ولا ينصرف إلىٰ الناس ويقبل عليهم؛ لأنه في الصلاة متجه إلىٰ القبلة، فعندما يريد أن يسجد ولا يستطيع السجود ولا يمكنه السجود علىٰ المنبر فإنه ينزل القهقرىٰ ثم يسجد علىٰ الأرض صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وقد جاء في بعض الأحاديث: أن المنبر كان ثلاث درجات، وجاء في بعضها: أنه درجتان، وجمع بينهما بأنه كان ثلاث درجات، ومن قال: إنه درجتين لم يعد الدرجة التي يجلس عليها[٧١].

فوائد الحديث:

١- بيان أن أصل المنبر مصنوع من الخشب.

٢- بيان جواز الحركة فوق المنبر والنزول منه لتعليم الناس.

٣- حثٌّ لأئمة المساجد أن يعلموا الناس الصلاة عمليًا وعدم اكتفائهم بتعليمهم إياها نظريًا.

---

(٧١) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٦/ ٢٦٣، ٢٦٤).

فضل الصلاة في أول الوقت

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلاَّ إِرْعَاءً عَلَيْهِ [٧٢].

معاني الكلمات:

الصلاة لوقتها: أي في أول وقتها.

أستزيده: أطلب الزيادة.

إلا إرعاء عليه: أي شفقة عليه حتىٰ لا يسأم.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث دليل علىٰ تفاوت الأعمال تفاضلها عند الله تعالىٰ، فأفضل الأعمال بعد الإيمان وأكثرها ثوابًا الصلاة لوقتها؛ أي: المحافظة علىٰ أدائها في أول وقتها وهو المأمور به في آية ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة:٢٣٨]، والمحافظة تكون بأدائها أول وقتها خوف فوت فضيلتها، وهذا حثٌّ علىٰ المبادرة وندب إليها.

أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها؛ لأنها أعظم الوصل بين العبد وربه، وهي عماد الدين، وعصام النبيين، مشتملة علىٰ ما لم يشتمل عليه غيرها من

---

(٧٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٦٢) ومسلم (١٣٧/ ٨٥).

الكمالات، ولهذا قال بعضهم: الصلاة طهرة للقلب، واستفتاح لأبواب الغيوب تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، ثم ما أحسن تركيبها وما أبدع ترتيبها، فكما أن الجنة قصورها لبنة من ذهب وأخرىٰ من فضة وملاطها المسك، فالصلاة بناؤها لبنة من قراءة ولبنة من ركوع ولبنة من سجود، وملاطها التسبيح والتحميد(٧٣).

والصلاة في أول الوقت دليل علىٰ حسن الإيمان وقوته، وبشير بنجاة العبد ودخوله الجنة في الآخرة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله عز و جل: افترضت علىٰ أمتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهدًا أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي» (٧٤).

وقد يستهين بعض المسلمين اليوم بهذه المسألة فيؤخر الصلاة عن وقتها وهذا مدخل شيطاني، فمن أضاع صلاتها في أول وقتها اليوم قد يضيعها غدًا بالكلية.

وهذا ما أنذر الله عز وجل به فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم:٥٩].

قرأ عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال: لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت(٧٥).

---

(٧٣) فيض القدير للمناوي (١/ ٢١٣).

(٧٤) حسن: أخرجه ابن ماجه (١١٥٩) من حديث قتادة بن ربعي رضي الله عنه.

(٧٥) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص الناس على الصلاة في أول وقتها، قال ابن مسعود رضي الله عنه:

من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيثُ يُنادى بهن؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صلَّيتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولوتركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد؛ إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف[٧٦].

وأفضل الأعمال بعد الصلاة: بر الوالدين؛ أي: طاعتهما والإحسان إليهما فيما لا يخالف الشرع، قال العراقي: أخبر أن أفضل حقوق الله الصلاة لوقتها، وأفضل حقوق العباد بعضهم على بعض بر الوالدين، فهما أحق بالبر من جميع الأقارب[٧٧].

لذا قرن الله عز وجل شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان:١٤]، وجعل رضاه في رضاهما وسخطه في سخطهما، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»[٧٨].

---

[٧٦] صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٤).

[٧٧] فيض القدير للمناوي (١/ ٢١٣).

[٧٨] صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وبعد ذلك: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله وإظهار شعائر دينه، وقدم بر الوالدين لا لكونه أفضل من الجهاد؛ لأن الجهاد وسيلة لإعلاء الإيمان، وفضيلة الوسيلة بحسب فضيلة المتوسل إليه، بل لِتوقُّفِ حنه على إذنهما وتوقفه عليه لا يوجب كونه أفضل منه، وكم له من نظير، أما طاعتهما فيما يخالف الشرع فليست من البر، بل من الإثم، فيجب على الإنسان أن يقاطع في دينه من كان به برًّا وعليه مشفقًا.

هذا أبو عبيدة بن الجراح له المنزلة العالية في الفضل والأثر المشهور في الإسلام قتل أباه يوم بدر وأتى برأسه إلى النبي ﷺ طاعة لله ورسوله حين بقي على ضلاله، وانهمك في طغيانه ولم يعطفه عليه رحم ولا كفه عنه إشفاق، وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر لكونها عنوانًا على ما سواها من الطاعات، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع، فمن أهمل الصلاة مع كونها عماد الدين فهو لغيرها أهمل، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برًّا، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عدوانهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك[٧٩].

فوائد الحديث:

١- بيان أهمية الصلاة وفضل الصلاة في أول الوقت.
٢- الحث على بر الوالدين.
٣- الحث على الجهاد وأنه من الأعمال المفضلة بل من أفضل الأعمال.
٤- بيان حرص الصحابة على ما ينفعهم.

---

(٧٩) فيض القدير للمناوي (١/ ٦٣) وما بعدها بتصرف.

٥- بيان أدب ابن مسعود رضي الله عنه حيث إنه لم يكثر من الأسئلة خشية السآمة علىٰ رسول الله ﷺ.

الكمالات، ولهذا قال بعضهم: الصلاة طهرة للقلب، واستفتاح لأبواب الغيوب تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، ثم ما أحسن تركيبها وما أبدع ترتيبها، فكما أن الجنة قصورها لبنة من ذهب وأخرىٰ من فضة وملاطها المسك، فالصلاة بناؤها لبنة من قراءة ولبنة من ركوع ولبنة من سجود، وملاطها التسبيح والتحميد(٧٣).

والصلاة في أول الوقت دليل علىٰ حسن الإيمان وقوته، وبشير بنجاة العبد ودخوله الجنة في الآخرة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله عز و جل: افترضت علىٰ أمتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهدًا أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي» (٧٤).

وقد يستهين بعض المسلمين اليوم بهذه المسألة فيؤخر الصلاة عن وقتها وهذا مدخل شيطاني، فمن أضاع صلاتها في أول وقتها اليوم قد يضيعها غدًا بالكلية.

وهذا ما أنذر الله عز وجل به فقال: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩].

قرأ عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال: لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت(٧٥).

---

(٧٣) فيض القدير للمناوي (١/ ٢١٣).

(٧٤) حسن: أخرجه ابن ماجه (١١٥٢) من حديث قتادة بن ربعي رضي الله عنه.

(٧٥) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص الناس على الصلاة في أول وقتها، قال ابن مسعود رضي الله عنه:

من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيثُ يُنادى بهن؛ فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صلَّيتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولوتركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد؛ إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف(٧٦).

وأفضل الأعمال بعد الصلاة: بر الوالدين؛ أي: طاعتهما والإحسان إليهما فيما لا يخالف الشرع، قال العراقي: أخبر أن أفضل حقوق الله الصلاة لوقتها، وأفضل حقوق العباد بعضهم على بعض بر الوالدين، فهما أحق بالبر من جميع الأقارب(٧٧).

لذا قرن الله عز وجل شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، وجعل رضاه في رضاهما وسخطه في سخطهما، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»(٧٨).

---

(٧٦) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٧٧) فيض القدير للمناوي (١/ ٢١٣).

(٧٨) صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وبعد ذلك: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله وإظهار شعائر دينه، وقدم بر الوالدين لا لكونه أفضل من الجهاد؛ لأن الجهاد وسيلة لإعلاء الإيمان، وفضيلة الوسيلة بحسب فضيلة المتوسل إليه، بل لِتوقُّفِ حله علىٰ إذنهما وتوقفه عليه لا يوجب كونه أفضل منه، وكم له من نظير، أما طاعتهما فيما يخالف الشرع فليست من البر، بل من الإثم، فيجب علىٰ الإنسان أن يقاطع في دينه من كان به برًّا وعليه مشفقًا.

هذا أبو عبيدة بن الجراح له المنزلة العالية في الفضل والأثر المشهور في الإسلام قتل أباه يوم بدر وأتىٰ برأسه إلىٰ النبيﷺ طاعة لله ورسوله حين بقي علىٰ ضلاله، وانهمك في طغيانه ولم يعطفه عليه رحم ولا كفه عنه إشفاق. وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر لكونها عنوانًا علىٰ ما سواها من الطاعات، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع، فمن أهمل الصلاة مع كونها عماد الدين فهو لغيرها أهمل، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برًّا، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عدوانهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك(٧٩) .

فوائد الحديث:

١- بيان أهمية الصلاة وفضل الصلاة في أول الوقت.

٢- الحث علىٰ بر الوالدين.

٣- الحث علىٰ الجهاد وأنه من الأعمال المفضلة بل من أفضل الأعمال.

٤- بيان حرص الصحابة علىٰ ما ينفعهم.

---

(٧٩) فيض القدير للمناوي (١/ ٢١٣) وما بعدها بتصرف.

٥- بيان أدب ابن مسعود رضي الله عنه حيث إنه لم يكثر من الأسئلة خشية السآمة علىٰ رسول الله ﷺ.

من أمَّ فليخفف

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ»(٨٠).

معاني الكلمات:

قط: حسب، ويقال: ما فعلت هذا قط؛ أي: لم أفعله فيما مضىٰ.

التنفير: الإبعاد والتهجير.

أمَّ الناس: صلىٰ بهم إمامًا.

فليوجز: فليقلِّل وليقصر.

ذا الحاجة: صاحب مصلحة.

المعنى الإجمالي:

كان هذا الإمام يطيل بهم إطالة أكثر من السنة فغضب النبي ﷺ؛ لأن بعض الأئمة ينفرون الناس عن دين الله، وهذا الرجل لم يقل للناس: لا تصلوا صلاة الفجر، لكنه نفَّرهم بفعله بالتطويل الذي هو خارج عن السنة فنفر الناس، وفي هذا إشارة إلىٰ أن كل شيء ينفر الناس عن دينهم -ولو لم يتكلم الإنسان

(٨٠) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٠٢) ومسلم (١٨٢/ ٤٦٦) واللفظ له.

بالتنفير- فإنه يدخل في التنفير عن دين الله؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يداري في الأمور الشرعية فيترك ما هو حسن لدرء ما هو أشد من تركه فتنة وضررًا، فإنه ﷺ همَّ بأن يبني الكعبة على قواعد إبراهيم ولكن خاف من الفتنة فترك ذلك، وكان يصوم في السفر فإذا رأى أصحابه صائمين -وقد شق عليهم الصوم- أفطر ليسهل عليهم.

فكون الإنسان يحرص على أن يقبل الناس دين الله بطمأنينة ورضًا وإقبال بدون محذور شرعي فإن هذا الذي كان من هدي الرسول ﷺ.

والشاهد من هذا الحديث: غضب النبي ﷺ من هذا الفعل الذي فعله هذا الإمام، وفيه أيضًا إشارة إلى أن النبي ﷺ كان يغضب عند الموعظة لانتهاك حرمات الله، وقد قال جابر رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا خطب يوم الجمعة احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم»[(٨١)].

ثم يوصي النبي ﷺ بتخفيف الصلاة على حسب ما جاءت به السنة.

والسبب في ذلك أن في المأمومين ضعيف البنية، وضعيف القوة، وفيهم المريض، وفيهم ذا حاجة؛ قد وعد أحدًا يذهب إليه أو ينتظر أحدًا أو ما أشبه ذلك، فلا يجوز للإمام أن يثقل بالناس أكثر مما جاءت به السنة.

وأما صلاته بالناس بحسب ما جاء في السنة فليفعل غضب من غضب ورضي من رضي، والذي لا ترضيه السنة فلا أرضاه الله، السنة تُتَّبع ولكن ما

---

(٨١) صحيح: أخرجه النسائي (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

زاد عليها فلا، والأئمة في هذه المسألة ينقسمون إلىٰ ثلاثة أقسام:

قسم مُفَرِّط يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يسن، وهذا مخطئ وآثم ولم يؤد الأمانة التي عليه.

وقسم مفرِط؛ أي: يثقل بالناس وكأنه يصلي لنفسه فتجده يثقل القراءة والركوع والسجود والقيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين، وهذا أيضًا مخطئ ظالم لنفسه.

والثالث: يصلي بهم كصلاة النبي ﷺ، فهذا خير الأقسام وهو الذي قام بالأمانة علىٰ الوجه الأكمل[٨٢].

فوائد الحديث:

١- التحذير من تنفير الناس عن دين الله.

٢- شفقة النبي ﷺ علىٰ عامة الناس وأنه رحيم كما وصفه الله تعالىٰ.

٣- استحباب التخفيف في الصلاة.

٤- الحث علىٰ مراعاة ذوي الحاجة والضعفاء في كل شيء حتىٰ في الصلاة.

٥- بيان حرص الصحابة علىٰ سؤال النبي ﷺ في كل شيء، وهذا يدل علىٰ سعة علمهم وأنهم أفضل الناس علمًا وورعًا.

---

(٨٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٦٤٩) بتصرف يسير.

استحباب صلاة النوافل في البيوت

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً -قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: مِنْ حَصِيرٍ- فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ، فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةَ»(٨٣).

معاني الكلمات:

صنيعكم: فعلكم.

المكتوبة: المفروضة.

المعنى الإجمالي:

اتخذ النبي ﷺ في رمضان موضعًا من المسجد بحصيرة ليستره؛ يعني: جعل الحصير كالحجرة ليصلي فيه التطوع، ولا يمر بين يديه مار ليتوفر خشوعه ويتفرغ قلبه، وفيه جواز مثل هذا إذا لم يكن فيه تضييق على المصلين ونحوهم ولم يتخذه دائمًا؛ لأن النبي ﷺ كان يحتجره بالليل يصلي فيه، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، كما في رواية عائشة عند الشيخين. (فصلى فيها - أي في تلك الحجرة- ليالي من رمضان).

قال القاري: فكان يخرج عليه الصلاة والسلام منها، ويصلي بالجماعة في

(٨٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣١).

الفرائض والتراويح حتىٰ اجتمع عليه ناس -أي كثروا-، وقول ابن حجر ههنا: (فأتموا به) مُوهِم أن الإقتداء وقع به، وهو في داخل الحجرة، وهو محل بحث، ويحتاج إلىٰ نقل صحيح- انتهىٰ كلام القاري. قلت: ظاهر الحديث أنهم اقتدوا بالنبي ﷺ، وهو في داخل الحجرة، ويؤيده رواية البخاري في الأدب بلفظ: فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها، قال: (فتتبع إليه رجال -أي: طلبوا موضعه واجتمعوا عليه- وجاءوا يصلون بصلاته) الخ. ويؤيده أيضًا حديث عائشة عند البخاري قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل في حجرته؛ أي: التي اتخذها من حصير، وجدار الحجرة قصيرة فرأىٰ الناس شخص النبي ﷺ فقام أناس يصلون بصلاته. الحديث. وقيل: هذه قصة أخرىٰ غير ما وقع في حديث زيد بن ثابت، والله أعلم. واستشكل صلاته ﷺ في المسجد؛ لأنه يلزم منه أن يكون تاركًا للأفضل الذي أمر به الناس به حيث قال: «فصلوا في بيوتكم» الخ. وأجيب عنه بوجوه: منها: أن هذه الصلاة مما استثني عنه؛ لأن الأفضل عند الجمهور في صلاة التراويح المسجد، كما سيأتي. ومنها أنه ﷺ كان إذ ذاك معتكفًا، ومن المعلوم أن المعتكف لا يصلي إلا في المسجد. ومنها: أنه إذا احتجر صار كأنه بيت بخصوصية. ومنها: أن السبب في كون صلاة التطوع في البيت أفضل عدم شوبه بالرياء غالبًا، والنبي ﷺ منزه عن الرياء في بيته وفي غير بيته. «فصلوا أيها الناس في بيوتكم»؛ أي: النوافل التي لم تشرع فيها الجماعة والتي لا تخص المسجد، والأمر للاستحباب.

«فإن أفضل صلاة المرء»: هذا عام لجميع النوافل والسنن إلا النوافل التي من شعار الإسلام كالعيد والكسوف والاستسقاء. قاله القاري. وقال بعض

لأئمة الشافعية: هو محمول على ما لا يشرع فيه التجميع، وكذا ما لا يخص المسجد كركعتي التحية. «في بيته» خبر إن أي صلاته في بيته. «إلا الصلاة المكتوبة»؛ أي: المفروضة.

قال النووي: إنما حث على النافلة في البيت؛ لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وليتبرك البيت بذلك فتنزل فيه الرحمة وينفر منه الشيطان.

قلت: والحديث يدل على أن صلاة التراويح في البيت أفضل؛ لأنه ورد في صلاة رمضان في مسجده ﷺ، فإذا كان صلاة رمضان في البيت أفضل منها في مسجده ﷺ فكيف غيرها في مسجد آخر؟ وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن صلاة رمضان -أي التراويح- في المسجد أفضل، وهذا يخالف هذا الحديث؛ لأن مورده صلاة رمضان. وأجيب عنهم بأن رسول الله ﷺ قال ذلك لخشية الافتراض، فإذا زالت الخشية بوفاته ﷺ ارتفعت العلة المانعة، وصار أداؤها في المسجد أفضل، كما أداها ﷺ في المسجد عدة ليال، ثم أجراها عمر بن الخطاب واستمر عليها عمل المسلمين إلى يومنا هذا؛ لأنه من الشعائر الظاهرة للإسلام فأشبه صلاة العيد، وأجاب السندي بأنه يقال: صار أفضل حين صار أداؤها في المسجد من شعار الإسلام، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث: ندب قيام رمضان جماعة؛ لأن الخشية المذكورة أمنت بعد النبي ﷺ، ولذلك جمعهم عمر بن الخطاب على أبي بن كعب، كما سيأتي.

وفيه: أن الكبير إذا فعل شيئًا خلاف ما اعتاده أتباعه ينبغي أن يذكر لهم عذره وحكمه والحكمة فيه.

وفيه: ما كان النبي ﷺ عليه من الشفقة على أمته والرأفة بهم.

وفيه: ترك بعض المصالح لخوف المفسدة وتقديم أهم المصلحتين[٨٤].

فوائد الحديث:

١- في الحديث رأفة النبي ﷺ وشفقته علىٰ أمته حيث خشي أن تفرض عليهم صلاة سوىٰ المكتوبة.

٢- في الحديث فضيلة ثواب صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.

٣- في الحديث حرص الصحابة علىٰ الخير حيث ائتموا بالنبي ﷺ مسارعة في الخير.

---

(٨٤) مرقاة المفاتيح (٤/ ٣١١) وما بعدها بتصرف.

الوصية بصلاتي الضحى والوتر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ[٨٥].

معاني الكلمات:

خليلي: الخُلة: الصداقة والمحبة، والمقصود هنا: النبي ﷺ.

لا أدعهن: لا أتركهن.

نوم على وتر: لا أنام حتى أصلي الوتر.

المعنى الاجمالي:

هذا يدل على الاهتمام والعناية بهذه الأمور الثلاثة؛ لأن النبي ﷺ أوصى بها.

وقول أبي هريرة: «خليلي»: لا ينافي قول الرسول ﷺ: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»[٨٦]؛ لأن هذا من أبي هريرة وليس من الرسول ﷺ، والمنفي هو كون النبي ﷺ يتخذ خليلًا، والمثبت هنا كون أبي هريرة اعتبر النبي ﷺ خليله، فالرسول ﷺ لم يتخذ أبا هريرة خليلًا حتى يقال: إن فيه معارضة[٨٧].

---

(٨٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٧٨) ومسلم (٨٥/ ٧٢١).

(٨٦) متفق عليه: سبق تخريجه.

(٨٧) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٨/ ٩٠،٩١).

الوصية الأولىٰ: صوم ثلاثة أيام من كل شهر: وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر؛ لقول النبي ﷺ: «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر أيام البيض صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**»(٨٨).

الوصية الثانية: الالتزام بصلاة الضحىٰ: ويبتدئ وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهي حين الزوال، ولكن المستحب أن تؤخر إلىٰ أن ترتفع الشمس ويشتد الحر، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ علىٰ أهل قباء وهم يصلون الضحىٰ، فقال: «**صلاة الأوابين، إذا رمضت الفصال من الضحىٰ**»(٨٩)(٩٠).

ومما ورد في فضل صلاة الضحىٰ ما جاء عند مسلم وغيره من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يصبح علىٰ كل سلامىٰ من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ**»(٩١).

الوصية الثالثة: صلاة الوتر قبل النوم: وكون الإنسان يأتي بوتره قبل أن ينام هذا فيه تفصيل: فإذا كان الإنسان لا يثق أن يقوم آخر الليل فلا ينام إلا وقد أوتر، وأما إذا كان يثق من قيام آخر الليل فيكون وتره في آخر الليل؛ لقوله ﷺ:

---

(٨٨) حسن: أخرجه النسائي (٢٤٢٠) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(٨٩) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٤/ ٧٤٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٩٠) فقه السنة لسيد سابق (١/ ٢٥١).

(٩١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٤/ ٢٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

«اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترًا»[٩٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ، فإذا خشي أحدكم الصبح أتىٰ بركعة توتر له ما قد صلىٰ»[٩٣].

والوتر يكون في أول الليل ووسطه وآخره، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه أوتر من أول الليل ووسطه وآخره وانتهىٰ وتره إلىٰ السحر، وأنه مات ﷺ وكان يوتر في آخر الليل.

إذًا من وثق بأنه يقوم آخر الليل فليجعل وتره في آخر الليل، ومن لم يكن كذلك فليوتر قبل أن ينام؛ لئلا يعرض وتره للفوات بأن يغلبه النوم فلا يستيقظ إلا بعد أن ينتهي وقت الوتر الذي هو طلوع الفجر[٩٤].

فوائد الحديث:

١- بيان اهتمام النبي ﷺ بتعليم الصحابة ما ينفعهم فهو يوصي أبا هريرة رضي الله عنه بما هو باقٍ له وأنفع.

٢- بيان لفقه النبي ﷺ حيث وصىٰ أبا هريرة بخصال ووصىٰ آخر بخصال أخرىٰ ووصىٰ ثالثًا بخصال أخرىٰ؛ وهذا يعني أنه يوصي كل شخص بما يناسبه.

٣- الحث علىٰ صوم الثلاثة الأيام من كل شهر، والراجح أنها غير متعينة ففي أي أيام الشهر يصوم الثلاثة، ولكن تتأكد في وسط الشهر الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

---

(٩٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٢)، ومسلم (١٥١/ ٧٥١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٩٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩٩٠)، ومسلم (١٥٤/ ٧٩٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٩٤) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٨/ ٩٠).

٤- جواز أن يقول الصحابي عن النبي أنه خليله، ولكن لا يجوز للنبي أن يقول: فلان خليلي؛ لأن الله اتخذه خليلًا.

الحث على قيام الليل وبيان فوائده

عن بِلَالٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإنه دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى الله، وَمَنْهَاةٌ عن الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الْجَسَدِ»(٩٥).

معاني الكلمات:

عليكم: التزموا.

دأب الصالحين: أي: حالهم

المعنى الإجمالي:

أوصى النبي ﷺ أمته بقيام الليل؛ يعني: التهجد فيه، وعلَّل ذلك بأنه من الصالحين وشأنهم، فهي عادة قديمة واظب عليها الكُمَّل السابقون واجتهدوا في إحراز فضلها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم:٣٣]؛ أي: مواظبين على إصلاح العالم.

كما أن قيام الليل قربة إلى الله تعالى، وفي رواية: «وهو قربة لكم إلى ربكم»، نكَّر القربة إيذانًا بأن لها شأنًا، وأتى بالجملة ولم يعطف قربة على دأب الصالحين لتدل باستقلالها على مزيد تقريب.

ومن شأنها كذلك: أن تنهى عن الإثم، وأيضًا: «تكفير للسيئات»؛ أي: خصلة تكفر سيئاتكم، وكذلك: «مطردة للداء عن الجسد»؛ أي: حالة شأنها

---

(٩٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٨٩).

إبعاد الداء.

قال القاضي: معناه أن قيام الليل قربة تقربكم إلىٰ ربكم وخصلة تكفر سيئاتكم وتنهاكم عن المحرمات، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، قال ابن الحاج: وفي قيام الليل من الفوائد: أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، وينور القلب، ويحسن الوجه، ويذهب الكسل، وينشط البدن، وترىٰ الملائكة موضعه من السماء كما يتراءىٰ الكوكب الدري لنا من السماء(٩٦).

فضل قيام الليل:

قال الله تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٦،١٧].

وقال في صفة المتقين: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات:١٧،١٨].

وفي صفة عباد الرحمن قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٤].

وبوَّب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه بابًا بعنوان: «فضل قيام الليل»، وأورد بسنده عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأىٰ رؤيا قصها علىٰ رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرىٰ رؤيا فأقصها علىٰ رسول الله ﷺ وكنت غلامًا شابًا وكنت أنام في المسجد علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرأيت في

(٩٦) فيض القدير (٤/ ٤٦٢،٤٦٣).

نوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلىٰ النار فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع.

فقصصتها علىٰ حفصة، فقصصتها حفصة علىٰ رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلًا»(٩٧).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل»(٩٨).

هدي النبي ﷺ في قيام الليل:

١- صفة القيام:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة فلم يزل قائمًا حتىٰ هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ(٩٩).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وفي الحديث دليل علىٰ اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قويًّا محافظًا علىٰ الاقتداء بالنبي ﷺ، وما هم بالقعود الا بعد طول كثير ما اعتاده(١٠٠).

---

(٩٧) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٩٨) صحيح: أخرجه مسلم (١١٦٣).

(٩٩) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١٠٠) فتح الباري (٣/ ١٩).

٢- عدد ركعاته:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: إن رجلًا قال: يا رسول الله كيف صلاة الليل؟ قال: «مثنىٰ مثنىٰ، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة»[١٠١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر»[١٠٢].

وعنها أيضًا قالت: كان النبي ﷺ يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلىٰ الفجر إحدىٰ عشرة ركعة، يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة»[١٠٣].

٣- وقت القيام:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتىٰ نظن أنه لا يصوم، ويصوم حتىٰ نظن أنه لا يفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًّا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته»[١٠٤].

قال الحافظ في الفتح: فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام في أول الليل وفي وسطه وفي آخره، إلا أنه ﷺ قد أخبر عن أحب القيام إلىٰ الله عز وجل، فقال ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «أحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلىٰ الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا»[١٠٥].

---

(١٠١) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٨٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١٠٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٨٩).

(١٠٣) صحيح: أخرجه مسلم (٧٣٦).

(١٠٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٩٠).

(١٠٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٠٦٩)، ومسلم (١١٥٩).

قال المهلَّب: كان داود عليه السلام يَجِمُّ[١٠٦] نفسه ينوم أول الليل، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه هل من سائل فأعطيه سؤله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، وهذا هو النوم عند السحر، وإنما صارت بهذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشىٰ منها السآمة، وقد قال ﷺ: «إن الله لا يمل حتىٰ تملوا»[١٠٧]، والله يحب أن يديم فضله ويوالي إحسانه، وإنما كان ذلك أرفق؛ لأن النوم بعد القيام يريح البدن، ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم، بخلاف السهر إلىٰ الصباح، وفيه من المصلحة أيضًا استقبال الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال، وأنه أقرب إلىٰ عدم الرياء؛ لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوىٰ فهو أقرب إلىٰ أن يخفي عمله الماضي علىٰ من يراه، وأشار إلىٰ ذلك ابن دقيق العيد[١٠٨].

الأسباب المعينة على قيام الليل:

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعلم أن قيام الليل صعب إلا علىٰ من وفق للقيام بشروطه الميسرة له.

فمن الأسباب ظاهر وباطن.

فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، وكان بعضهم يقول: يا معشر المريدين لا تأكلوا كثيرًا؛ فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا.

---

(١٠٦) يُريح.

(١٠٧) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٠٨) البحر الرائق في الزهد والرقائق (١٢٩، ١٣٠).

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار؛ فإنها تعين علىٰ قيام الليل.

ومنها: أن يجتنب الأوزار.

قال الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة:

فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوّه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث علىٰ ذلك: الحب لله تعالىٰ، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجىٰ ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة علىٰ طول القيام.

قال أبو سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ قال: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا آتاه إياه، وذلك كل ليلة**»(١٠٩)(١١٠).

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ قيام الليل.

٢- أن من صفات الصالحين قيام الليل.

---

(١٠٩) صحيح: أخرجه مسلم (٧٥٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١٠) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (٧٥).

٣- بيان أن قيام الليل يكفر السيئات ويشفي الأمراض.

٤- أن من أعظم القربات قيام الليل.

استحباب التطهر والتطيب يوم الجمعة

عن عِكْرِمَةَ: أَنَّ أُنَاسًا من أَهْلِ الْعِرَاقِ جاءوا فقَالُوا: يا ابن عَبَّاسٍ، أَتَرَى الْغُسْلَ يوم الْجُمُعَةِ وَاجِبًا؟ قال: لا، وَلَكِنَّهُ أَطْهَرُ وَخَيْرٌ لِمَن اغْتَسَلَ، وَمَنْ لم يَغْتَسِلْ فَلَيْسَ عليه بِوَاجِبٍ، وَسَأُخْبِرُكُمْ كَيْفَ بَدْءُ الْغُسْلِ، كان الناس مَجْهُودِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ وَيَعْمَلُونَ على ظُهُورِهِمْ، وكان مَسْجِدُهُمْ ضَيِّقًا مُقَارِبَ السَّقْفِ إنما هو عَرِيشٌ، فَخَرَجَ رسول الله ﷺ في يَوْمٍ حَارٍّ وَعَرِقَ الناس في ذلك الصُّوفِ حتى ثَارَتْ منهم رِيَاحٌ آذَى بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فلما وَجَدَ رسول الله ﷺ تِلْكَ الرِّيحَ، قال: «أَيُّهَا الناس إذا كان هذا الْيَوْم فَاغْتَسِلُوا وَلْيَمَسَّ أحدكم أَفْضَلَ ما يَجِدُ من دُهْنِهِ وَطِيبِهِ»، قال ابن عَبَّاسٍ: ثُمَّ جاء الله بِالْخَيْرِ وَلَبِسُوا غير الصُّوفِ وَكُفُوا الْعَمَلَ وَوُسِّعَ مَسْجِدُهُمْ وَذَهَبَ بَعْضُ الذي كان يُؤْذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا من الْعَرَقِ[١١١].

معاني الكلمات:

مجهودين: أي: متعبين وكانوا في مشقة بسبب الفقر.

علىٰ ظهورهم: علىٰ دوابهم.

عريش: جريد النخل وما شابه.

ثار: هاج.

---

(١١١) حسن: أخرجه أبو داود (٣٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

دهنه: أي: طيبه نحو المسك وغيره.

المعنى الإجمالي:

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين جاءه جماعة من أهل العراق وسألوه عن غسل يوم الجمعة أواجب هو؟ فقال: إنه ليس بواجب، وإنما هو مستحب، ومن اغتسل فالغسل أطهر وأفضل، ثم أخبرهم ببدء الغسل، وأنه كان بسبب الروائح الكريهة التي تنبعث منهم بسبب كونهم يأتون متعبين من العمل، ويأتون إلىٰ الجمعة بهيئتهم وبثيابهم التي عملوا فيها وفيهم تلك الروائح، فالنبي ﷺ قال: «إذا كان هذا اليوم فاغتسِلوا»، فأرشدهم إلىٰ الاغتسال، ومعنىٰ هذا أن الاغتسال إنما هو لأجل إزالة هذه الروائح الكريهة، فإذا لم يكن هناك شيء من هذه الروائح التي يحصل بها أذىٰ فإنه لا يكون الغسل لازمًا؛ لأن المقصود به هو إزالة الروائح وإزالة الأذىٰ الذي يكون في الإنسان بسبب مهنته وعمله، ومعنىٰ هذا: أنه إذا لم يكن شيء من ذلك فإنه لا محذور ولا مانع من أن يأتي المرء الجمعة دون أن يغتسل، لكن غسل يوم الجمعة متأكد استحبابه، وينبغي للإنسان أن يحرص عليه ولو كان ليس فيه روائح، ولكن من لم يفعله فإنه لا يأثم؛ لأنه مستحب وليس بواجب.

وفي قصة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين دخل وعمر يخطب فقال له: أي ساعة هذه؟ فقال: إنني لما سمعت النداء بادرت إلىٰ الوضوء وجئت. فقال: والوضوء أيضًا! فعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء بدون اغتسال، ولم يأمره أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يذهب فيغتسل؛ ليؤدي ذلك الواجب لو كان واجبًا، فدل ذلك علىٰ أنه مستحب، ويدل عليه أيضًا قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنه مستحب وليس بواجب، وبين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبب الغسل وأصله، وأنه كان بسبب ما يحصل من روائح تنبعث

بسبب مجيئهم علىٰ هيئتهم، وقد كانوا هم خدم أنفسهم وليس لهم من يخدمهم[١١٢].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ التطهر والتطيب يوم الجمعة.

٢- بيان أن الغسل كان فيه اختلاف من حيث الوجوب والاستحباب؛ لأن الناس سألوا ابن عباس عن وجوبه، وهذا يقتضي أن أحدًا قال بذلك.

٣- بيان سعة علم ابن عباس حيث إنه ليس ترجمان القرآن فحسب، بل إنه عالم حديثي حيث يعلم أسباب ورود الحديث.

٤- الرد علىٰ الصوفية حيث يلبسون الصوف علامة علىٰ الزهد وهذا غلط من أكثر من ناحية: **أولًا**: لأن النبي ﷺ لبس الصوف وغيره. **ثانيًا**: أن الصحابة لما وسَّع الله عليهم تركوا الصوف. **ثالثًا**: أن لبس الصوف إن كان يريد به تقربًا فهذا بدعة؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر بلبس الصوف تقربًا. **رابعًا**: إن كان لبسوا الصوف تصنعًا فهذا رياء، وإن كانوا صادقين فقد شهروا أنفسهم، والنبي ﷺ نهىٰ عن لباس الشهرة.

---

(١١٢) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٣/ ١٠، ١١).

من منهيات الصلاة

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ بِثَلاَثٍ ونهاني عن ثَلاَثٍ؛ أمرني بركعتي الضُّحَى كُلَّ يَوْمٍ، وَالْوِتْرِ قبل النَّوْمِ، وَصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ من كل شَهْرٍ، ونهاني عن نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ(١١٣).

معاني الكلمات:

كنقرة الديك: يقصد بذلك أن الرجل يسرع في السجود ولا يطمئن فيه.

الإقعاء: هو أن يلصق إليته بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض.

الالتفات: حركة الرأس يَمْنة ويَسْرة بالنظر إلى من حوله.

المعنى الإجمالي:

مرَّ بنا -قبل قليل- الكلام على الأوامر الثلاثة الأولى، ثم نهى النبي ﷺ عن ثلاث صفات ذميمة في الصلاة.

الصفة الأولى: «نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ»: وفي رواية أخرى «كنقرة الغراب»: وهو كناية عن تخفيفها جدًّا بحيث لا يمكثُ فيها إلا قدر وضع الديك أو الغراب منقاره فيما يُريد أكله(١١٤).

---

(١١٣) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣١١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٥٥).

(١١٤) شرح سنن أبي داود لبدر الدين العيني (٢/ ٢٧٨).

الصفة الثانية: «إِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ»: وقد فسر هذا الإقعاء المنهيّ عنه بنصب الساقين، ووضع الأليتين واليدين على الأرض. وروى مسلم وغيره عن ابن عباس، قال: الإقعاء بين السجدتين هي سنة نبيكم. وعن طاوس، قال: رأيت العبادلة يقعون. قال الحافظ: وأسانيدها صحيحة. وفسر هذا الإقعاء بأن ينصب القدمين، ويجلس عليهما فلا منافاة. قال البيهقي: الإقعاء ضربان: **أحدهما**: أن يضع أليتيه على عقبيه، وتكون ركبتاه في الأرض، وهذا هو الذي رواه ابن عباس، وفعلته العبادلة ونص الشافعي على استحبابه بين السجدتين. لكن الصحيح أن الافتراش أفضل منه؛ لكثرة الرواة له، ولأنه أعون للمصلي. وأحسن في هيئة الصلاة. **والثاني**: أن يضع أليتيه ويديه على الأرض وينصب ساقيه، وهذا هو الذي وردت الأحاديث بكراهته[١١٥].

الصفة الثالثة: «الْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ»: لأنه منافٍ للخشوع وسوء أدب، فالمصلي إنما هو قائم بين يدي ربه ﷻ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن التلفت في الصلاة فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[١١٦]، وهذا إذا ما كان بالوجه، أما الالتفات بجميع البدن والتحول به عن القبلة فهو مبطل للصلاة اتفاقًا للإخلال بواجب الاستقبال[١١٧].

فوائد الحديث:

١- بيان ما أمر به النبي ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه وقد مر بيانه.

---

(١١٥) مرقاة المفاتيح (٣/ ٢٢٤).

(١١٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١١٧) فقه السنة (١/ ٣١٢).

٢- النهي عن النقر في الصلاة كنقر الديك، ويعني به النبي ﷺ السرعة وعدم الاطمئنان في السجود.

٣- النهي عن الإقعاء في التشهد.

٤- النهي عن الالتفات في الصلاة وأنه اختلاس من الشيطان كما في حديث آخر.

النهي عن قراءة القرآن في الركوع أو السجود

عَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا؛ فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(١١٨).

معاني الكلمات:

اجتهدوا في الدعاء: أكثروا منه.

فقمن أن يستجاب لكم: أي جدير أن يستجاب لكم.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث كما يبدو كان في آخر حياة النبي ﷺ لما أثقله المرض فأمر صاحبه أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يؤم الناس في الصلاة، ويؤيد ذلك ما جاء في الرواية الأخرى في (صحيح مسلم) عن ابن عباس قال: (كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه...)(١١٩).

ومبشرات النبوة هي التي يحصل البدء بها، فالرسول ﷺ أول ما بُدئ به

---

(١١٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٧/ ٤٧٩).

(١١٩) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٨/ ٤٧٩).

من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ومن المعلوم أن الرؤيا بالنسبة للأنبياء يحصل فيها إخبار عن أمور مغيبة، وهي وحي؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي، وغيرهم رؤاهم ليست وحيًا، ولكن الرؤيا يمكن أن يستدل بها علىٰ أمر مستقبل، أو يتوقع أن يحصل أمر مستقبل، فهي تدل عليه، والمستقبل من أمور الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ لكن قد يعرف عن طريق الرؤيا حصول شيء يحصل في المستقبل بسبب الرؤيا، وعندما تقع الرؤيا تكون مطابقة للشيء الذي يحصل في المستقبل، مثل: قصة صاحبي يوسف في السجن، فإن كل واحد منهما رأىٰ رؤيا، وقصها وهي كلها تخبر عن أمر مستقبل أو ترشد إلىٰ أمر مستقبل، وكان تأويل هذه الرؤيا طبقًا للشيء الذي رئي... وقد تكون الرؤيا علىٰ سبيل ضرب المثال لا تطابق الذي يراه في المنام، وهي رؤيا الشخص الثاني الذي رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، فهذا لم يحمل خبزًا حقيقة، ولكنه صلب وقطع رأسه، ثم أتت الطير وأكلت من رأسه، فكلها إخبار عن أمر مستقبل.

فالرؤيا قد يراها المسلم نفسه، فيرىٰ أنه يحصل له كذا وكذا، أو شخص آخر من الناس يراها له، كأن يقول: إن فلانًا حصل له كذا. والرؤيا قد تكون أضغاث أحلام؛ لأنه ليس كل ما يجري في المنام يقال له: رؤيا. أيضًا: إذا كانت الرؤيا طيبة فإنه يخبر بها، وإذا كانت غير ذلك فلا يخبر بها أحدًا؛ لأنه قد يترتب عليها فتنة أو مضرة أو ما إلىٰ ذلك.

والرؤيا الصالحة إذا استبشر بها العبد وفرح فليس عليه من حرج، لكن لا ينبغي للناس أن يهتموا بالرؤىٰ وأن يحرصوا عليها، وأن يكون الإنسان فقط مشغولًا يحب أن يرىٰ رؤيا أو كذا إلىٰ آخره، لا، الرؤيا تأتي دون قصد، وأحيانًا

قد يشغل الإنسان نفسه في شيء ثم يراه في المنام؛ بسبب أنه مشغول به دائمًا وأبدًا[١٤٠] .

ثم ينهىٰ النبي ﷺ عن قراءة القرآن أثناء الركوع أو السجود، فلا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن وهو راكع، ولا يجوز أن يقرأ القرآن وهو ساجد لكن له أن يدعو بالدعاء الذي يوافق القرآن مثل أن يقول مثلًا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا علىٰ القوم الكافرين، أما أن يقرأ القرآن فهذا حرام عليه أن يقرأ وهو راكع أو يقرأ وهو ساجد؛ الركوع له التعظيم يعظم ربه: سبحان ربي العظيم، سبحان الملك القدوس وما أشبه ذلك، السجود يقول: سبحان ربي الأعلىٰ، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، ويدعو ويكثر من الدعاء؛ لأنه حري أن يستجاب له[١٤١] .

فوائد الحديث:

١- بيان أن الوحي انقطع بموت رسول الله ﷺ ، فمن ادعىٰ النبوة بعده فإنما هو كافر ضال مخادع ويجب قتله.

٢- أن الرؤيا الصالحة من المبشرات التي يستبشر بها المؤمن.

٣- النهي عن قراءة القرآن في الركوع أو السجود.

٤- الحض علىٰ الإكثار من الدعاء وخاصة في السجود.

---

(١٤٠) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٥/ ١٩٢) وما بعدها بتصرف.

(١٤١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٤٢٧).

استحباب صيام التطوع

عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: قلت: يا رَسُولَ الله، مُرْنِي بِعَمَلٍ، قال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فإنه لَا عِدْلَ له»، قلت: يا رَسُولَ الله، مُرْنِي بِعَمَلٍ، قال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فإنه لَا عِدْلَ له»(١٢٢).

معاني الكلمات:

مرني بعمل: أأمرني بعمل

عليك بالصوم: الزمه.

لا عدل له: أي لا مثل له.

المعنى الإجمالي:

يأمر النبي ﷺ أبا أمامة رضي الله عنه بالصوم إذ هو يقوي القلب والفطنة ويزيد في الذكاء ومكارم الأخلاق، وإذا صام المرء اعتاد قلة الأكل والشرب، وانقمعت شهواته، وانقلعت مواد الذنوب من أصلها، ودخل في الخير من كل وجه، وأحاطت به الحسنات من كل جهة(١٢٣).

والغاية القصوى من الصوم: إعداد القلوب لتحقيق التقوى والخشية والاستقامة على شرع الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

---

(١٢٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(١٢٣) فيض القدير (٤/ ٤٣٥).

[البقرة:١٨٣].

فالصوم لا عدل له؛ لأنه عبادة السادات، وعبادة السادات سادات العبادات.

يقول ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن في الصوم خصيصة ليست لغيره، وهي إضافته إلىٰ الله عز وجل، حيث يقول سبحانه: «الصوم لي وأنا أجزي به»(١٢٤)، وكفىٰ بهذه الإضافة شرفًا، كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج:٢٦].

وإنما فُضل الصوم لمعنيين:

أحدهما: أنه سرٌّ وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء.

الثاني: أنه قهر لعدو الله؛ لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوىٰ الشهوات بالأكل والشرب، وما دامت أرض الشهوات مخصبة، فالشياطين يترددون الىٰ ذلك المرعىٰ، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك(١٢٥).

من فوائد الصيام:

في الصيام حكم وفوائد كثيرة مدارها علىٰ التقوىٰ التي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣](١٢٦).

ومن ضمن هذه الفوائد:

١- معرفة نعم الله تعالىٰ علىٰ العبد في تناول ما يشتهيه من الأكل والشرب

---

(١٢٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٢٥) مختصر منهاج القاصدين (٤٦).

(١٢٦) من كتاب سبعون مسألة في الصيام للشيخ المنجد.

والنكاح؛ لأن قدر النعم لا يُعرف إلا بضده، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

٢- تعويد النفس علىٰ الصبر والتحمل علىٰ فقد المحبوب.

٣- أن يعرف الغني حاجة الفقير فيرق له ويرحمه؛ ولهذا كان الرسول ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن(١٢٧).

والإنسان قد لا يعرف حاجة المضطر إذا كان هو شبعانًا، لكن إذا جاع عرف وقدَّر.

٤- أن فيه تضييقًا لمجاري الشيطان؛ لأن بكثرة الغذاء تمتلئ العروق دمًا وتتسع، وبقلته تضيق، ومجاري الدم هي مسالك الشيطان؛ لقول النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم»(١٢٨)؛ ولهذا أُمر الإنسان الذي لا يستطيع الباءة أن يصوم لتضييق مجاري الدم فيقل الشبق(١٢٩).

٥- أن فيه حمية عن كثرة الفضولات والرطوبات في البدن؛ ولهذا بعض الناس يزداد صحة بالصوم لأن الرطوبات التي ترسبت علىٰ البدن تزول وتتسرب حيث إن البدن يضمر وييبس فتتسرب تلك الرطوبات فيكون بذلك فائدة للبدن.

---

(١٢٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. أخرجه البخاري (٦).

(١٢٨) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٠٧)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها.

(١٢٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له.

٦- ما يحصل بين يديه وخلفه من عبادة لله عز وجل، فبين يديه السحور، والسحور عبادة؛ لقول النبي ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»[١٣٠]، وما يحصل من الإفطار فأحب عباد الله إليه أعجلهم فطرًا[١٣١].

٧- أن الغالب على الصائمين التفرغ للعبادة، وليس يوم فطره ويوم صومه سواء، إلا الغافل فله شأن آخر[١٣٢].

صور من صيام التطوع:

قال ابن قدامة: فأما صوم التطوع، فاعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، كصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان، وكصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وعشر ذي الحجة، والمحرم.

وبعضها يتكرر في كل شهر، كأوله، وأوسطه، وآخره، فمن صام أول الشهروأوسطه وآخره فقد أحسن. غير أن الأفضل أن يجعل الثلاثة أيام البيض.

وبعضها يتكرر في كل أسبوع وهو يوم الاثنين، ويوم الخميس.

وأفضل صوم التطوع: صوم داود عليه السلام، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وذلك يجمع الثلاثة معان:

---

(١٣٠) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٨٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١٣١) إشارة إلى الحديث الذي رواه الترمذي (١٣) من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا». وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ولكن هذا لا يمنع من كون الفطر وتعجيله من سنن الصيام، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر». أخرجه البخاري (١٨٥٦)، ومسلم (١٠٩٨).

(١٣٢) أفاده العلامة ابن عثيمين في شرحه لمقدمة كتاب الصيام من «بلوغ المرام». .

أحدها: أن النفس تعطىٰ يوم الفطر حظها، وتستوفى في يوم الصوم تعبدها، وفي ذلك جمع بين ما لها وما عليها، وهو العدل.

والثاني: أن يوم الأكل يوم شكر، ويوم الصوم يوم صبر، والإيمان نصفان: شكر وصبر.

والثالث: أنه أشق علىٰ النفس من المجاهدة؛ لأنها كلما أنست بحالة نقلت عنها.

فأما صوم الدهر: ففي أفراد مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ فقال: «لا صام ولا أفطر، أو«لم يصم ولم يفطر»(١٣٣)، وهذا محمول علىٰ سرد الصوم في الأيام المنهي عن صيامها، فأما إذا أفطر يومي العيدين وأيام التشريق فلا بأس بذلك، فقد روىٰ عن هشام بن عروة رحمه الله أن أباه كان يسرد الصوم، وكانت عائشة رضي الله عنها تسرد.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عامًا .

تنبيه:

اعلم: أن من رزق فطنة، علم المقصود بالصوم، فحمل نفسه قد ما لا يعجزه عما هو أفضل منه.

فقد كان ابن مسعود قليل الصوم، وكان يقول: إذا صمت ضعفت عن الصلاة وأنا أختار الصلاة علىٰ الصوم.

---

(١٣٣) صحيح: أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

وكان بعضهم إذا صام ضعف عن قراءة القرآن، فكان يكثر الفطر حتىٰ يقدر علىٰ التلاوة، وكل إنسان أعلم بحاله وما يصلحه[١٣٤].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الصيام وأنه لا يعادله شيء من حيث الثواب العظيم.

٢- بيان مراعاة أحوال السائلين له؛ لأنه ﷺ تارة يجيب بأن أفضل الأعمال الصلاة، وتارة الإيمان، وتارة الجهاد، وتارة بر الوالدين، إلىٰ غير ذلك مما يدل علىٰ أن النبي ﷺ يجيب بما ينفع السائل.

---

(١٣٤) مختصر منهاج القاصدين (٤٨، ٤٩).

النهي عن الوصال في الصوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ». قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَاكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»(١٣٥).

معاني الكلمات:

الوصال: التتابع في الصوم إلىٰ السحور أو أكثر.

فاكلفوا: أي خذوا وتحملوا.

تطيقون: تتحملون.

المعنى الإجمالي:

نهىٰ النبي ﷺ عن تتابع الصوم بغير فطر؛ لأنه يورث الضعف والملل والعجز عن المواظبة علىٰ كثير من وظائف العبادات والقيام بحقها.

قالوا: فإنك تواصل! قال: «إنكم لستم في ذلك مثلي»؛ أي: علىٰ صفتي أو منزلتي من ربي «إني أبيت» في رواية: «أظل»، والبيتوتة والظلول يعبر بهما عن الزمن كله ويخبر بهما عن الدوام؛ أي: أنا عند ربي دائمًا أبدًا وهي عندية تشريف «يطعمني ربي ويسقيني» حقيقة بأن يطعمه من طعام الجنة وهو لا يفطر أو مجازًا عما يغذيه الله به من المعارف ويفيض علىٰ قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه، وغذاء القلوب ونعيم الأرواح أعظم أثرًا من غذاء الأجسام

---

(١٣٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٩٦٦) ومسلم (٥٨/ ١١٠٣) واللفظ له.

والأشباح، فللأنبياء جهة تجرد وجهة تعلق، فبالنظر للأول الذي يفاض عليهم به من المبدأ الأول مصونون عما يلحق غيرهم من البشر من ضعف وجوع وعطش وفتور وسهر، وبالنظر للثاني الذي به يفيضون يلحقهم ذلك ظاهرًا لموافقته للجنس لتؤخذ عنهم آداب الشريعة ولولا ذلك لم يمكنهم الأخذ عنهم، فظواهرهم بشرية تلحقهم الآفات وبواطنهم ربانية مغتذية بلذة المناجاة، فلا منافاة بين ما ذكر هنا وبين ربطه الحجر علىٰ بطنه من شدة الجوع لما تقرر أن أحوالهم الظاهرة يساوون فيها الجنس وأحوالهم الباطنة يفارقونهم فيها فظواهرهم للخلق كمرآة يبصرون فيها ما يجب عليهم وبواطنهم في حجب الغيب عند ربهم لا يعتريها عجز البشرية من جوع ولا غيره، فهاك هذا الجمع عفوًا صفوًا فقلما تراه مجموعًا في كتاب، وقلَّ من تعرض له من الأنجاب.

ثم بيَّن النبي ﷺ وجه حكمة النهي وهو خوف الملل في العبادة والتقصير فيما هو أهم وأرجح من وظائف الدين من القوة في أمر الله والخضوع في فرائضه والإتيان بحقوقها الظاهرة والباطنة وشدة الجوع تنافيه وتحول بين المكلف وبينه، ثم الجمهور علىٰ أن الوصال للنبي مباح(١٣٦).

فوائد الحديث:

١- النهي عن وصال يومين بالصيام فما فوق.

٢- حرص الصحابة علىٰ الاقتداء بالنبي ﷺ حتىٰ فيما هو فوق طاقتهم فرضي الله عنهم أجمعين.

٣- حرص النبي ﷺ علىٰ التخفيف عن أمته.

---

(١٣٦) فيض القدير (٣/ ١٥٩، ١٦٠).

٤- في الحديث بيان أن النبي ﷺ قد يختص بأمور ليس لبقية المسلمين فعلها، وهذا ما يسمونه في الأصول خصائص النبي ﷺ، وله أمثلة كثيرة جدًّا، وأشهرها: أن الله أباح له التعدد المطلق في النساء بخلافنا فليس لنا أن نزيد على أربعة.

٥- في الحديث الحث على القصد في العبادة أي التوسط وعدم الغلو وأن نعبد الله تعالى بما نطيق، قال جل وعلا: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

السكينة عند الإفاضة من عرفة

عن عبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أَفَاضَ رسول الله ﷺ من عَرَفَةَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَرَدِيفُهُ أُسَامَةُ، وقال: «أَيُّهَا الناس عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فإن الْبِرَّ ليس بِإِيجَافِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ»؛ قال: فما رَأَيْتُهَا رَافِعَةً يَدَيْهَا عَادِيَةً حتى أتى جَمْعًا، ثُمَّ أَرْدَفَ الْفَضْلَ بن الْعَبَّاسِ، وقال: «أَيُّهَا الناس إِنَّ الْبِرَّ ليس بِإِيجَافِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ قال فما رَأَيْتُهَا رَافِعَةً يَدَيْهَا حتى أتى منى»(١٣٧).

معاني الكلمات:

أفاض: نزل

رديفه: راكبٌ خلفه، فالرديف: من يركب خلف الراكب.

السكينة: الطمأنينة والاستقرار.

بإيجاف: أي بإسراع الخيل والإبل.

المعنى الإجمالي:

أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وعليه السكينة ورديفه أسامة، وأمر الناس لأن البر ليس بالإسراع؛ فإنه عليه الصلاة والسلام -كما جاء عنه- شنق زمام ناقته حتىٰ إنه ليصيب مورك رحله؛ أي: موضع رجليه، وإذا جاء حبل من الحبال أرخىٰ لها حتىٰ تصعد، وما رآها رافعة يديها تعدو وتسرع؛ لأن الرسول ﷺ أخذ بخطامها ومنعها من السرعة، وإنما كان يرخي لها إذا كان أمامها حبل

(١٣٧) صحيح: أخرجه أبو داود (١٩٢٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

من الحبال؛ أي: تل من التلال؛ لأنها لا تستطيع أن تسرع في ذلك المكان؛ ولهذا قال: (فما رأيتها رافعة يديها عادية حتىٰ أتىٰ جمعًا)؛ أي: حتىٰ أتىٰ مزدلفة، وكان الدفع بالسكينة والهدوء وعدم الإسراع، ولهذا قال: «ليس البر بإيجاف الخيل»، وجاء في بعض الروايات: «ليس البر بالإيضاع» الذي هو الإسراع[١٣٨].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ السكينة عند النزول من عرفة.

٢- بيان تواضع النبي ﷺ حيث أردف وراءه أسامة وهو شاب صغير، وهذا يدل علىٰ بشرية النبي ﷺ وتواضعه.

٣- رحمة النبي ﷺ بالحيوان.

---

(١٣٨) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (١٠/ ١٤٦).

الرفق في رمي الجمرات

عن سُلَيْمَانُ بن عَمْرِو بن الْأَحْوَصِ عن أُمِّهِ قالت: رأيت رَسُولَ اللَّه ﷺ يَرْمِي الْجَمْرَةَ من بَطْنِ الْوَادِي وهو رَاكِبٌ يُكَبِّرُ مع كل حَصَاةٍ، وَرَجُلٌ من خَلْفِهِ يَسْتُرُهُ، فَسَأَلْتُ عن الرَّجُلِ فَقَالُوا: الْفَضْلُ بن الْعَبَّاسِ، وَازْدَحَمَ الناس، فقال النبي ﷺ: «يا أَيُّهَا الناس لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وإذا رَمَيْتُمْ الْجَمْرَةَ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ»(١٣٩).

معاني الكلمات:

الجمرة: الجمرة اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل، ومن هذا قيل لمواضع الجمار التي ترمى بمنى: جمرات(١٤٠).

يستره: يغطيه.

حصى الخذف: هو ما يساوي حبة الباقلاء.

المعنى الإجمالي:

كان النبي ﷺ يرمي جمرة العقبة يوم العيد وهو راكب، وقد نهى النبي ﷺ الناس عن الزحام حتى لا يقتل بعضهم بعضًا بسبب الزحام، أو بسبب الحصى التي يرمى بها، خاصة إذا كانت كبيرة فتكون سببًا في قتلهم، وحتى لو كانت الحصى صغيرة فعلى الحاج ألا يرمي بها من مكان بعيد فتقع على رءوس

---

(١٣٩) حسن: أخرجه أبو داود (١٩٦٦) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

(١٤٠) لسان العرب لابن منظور (٤/ ١٤٥).

الناس ولا تقع في المرمى، وإنما ينبغي أن يرمي بحصى صغيرة مثل حصى الخذف، ولا بد أن تكون في المرمى، وأما لو رمى من مكان بعيد فقد تقع على رءوس الناس، فيكون بذلك لم يرم الجمرة، وفي نفس الوقت ألحق الضرر بغيره، ولهذا فعلى المسلم أن يحرص أن يصل حصى الرمي إلى الحوض، أو يكون قريبًا من الحوض، فيقع في المرمى، وينبغي ألا تكون الحصى كبيرة، بل بمقدار حصى الخذف، فوق الحمص ودون البندق، مثل نوى التمر تقريبًا [١٤١].

فوائد الحديث:

١- الحث على رمي الحجارة أن يكون حصى حذف حتى لا يؤذي أحدًا.

٢- أنه يسن التكبير مع كل حصاة.

---

[١٤١] شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (١٠/ ٢٣٧) بتصرف.

كتاب الأدعية والأذكار

من دعاء النبي ﷺ

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النبي ﷺ قال: «أَتُحِبُّونَ أيها الناس أَنْ تَجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا على شُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[١٤٢].

معاني الكلمات:

تجتهدوا: تكثروا.

أعنا: وفقنا.

المعنى الإجمالي:

يرشدنا النبي ﷺ في هذه الوصية إلى الاجتهاد في الدعاء، وكل قول يقرب إلى الله كل شيء يقرب إلى الله كل تفكير يقرب إلى الله فهو من ذكر الله، ويوصينا بشكر النعم واندفاع النقم، فكم من نعمة لله علينا، وكم من نقمة اندفعت عنا، فنشكر الله على ذلك، ونسأل الله أن يعيننا عليه.

وقول النبي ﷺ: «وعلى حسن عبادتك»: حسن العبادة يكون بأمرين: بالإخلاص لله عز وجل، كلما قوي الإخلاص كان أحسن، وبالمتابعة لرسول الله ﷺ[١٤٣].

وأوصى النبي ﷺ بهذا الدعاء في دبر كل صلاة، فعند أبي داود عن معاذ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك -فقال:- أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك

---

[١٤٢] صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١).

[١٤٣] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٤٢٢) بتصرف يسير.

وشكرك وحسن عبادتك».

ولكن ما المراد بدبر الصلاة؟ يحتمل أن يكون قبل الفراغ من الصلاة، ويحتمل أن يكون بعدها؛ لأن الدبر هو آخر الشيء وما يلي آخر الشيء، والصلاة آخرها السلام؛ فيكون الذي قبله وما بعده ويكون هو آخرها، هذا دبر وهذا دبر، وكونه يؤتى بهذا الدعاء قبل السلام أو بعده كل ذلك يمكن أن يدخل تحت هذا الحديث، وقد جاء الدعاء بعد السلام عن النبي ﷺ كما في الحديث: (كان إذا انصرف من صلاته قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت»[١٤٤]، هذا فيه الدعاء بعد الصلاة. فإذًا: يكون دعاؤه قبل وبعد الصلاة، وهنا جاء بلفظ مطلق وهو الدبر وهو يشمل ما قبل وما بعد الصلاة[١٤٥].

فوائد الحديث:

١- بيان لحرص النبي ﷺ أن يوصل أمته للخير من أقرب طريق حيث إن الدعاء مطلوب ولكن لما كان هناك من الأدعية أفضل من الدعاء المطلق حثنا عليه النبي ﷺ.

٢- إن قول: «اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك» من الأدعية المفضلة وأنها تساوي الاجتهاد في الدعاء.

٣- وجوب طلب الإعانة من الله تعالى حتى على الطاعة والشكر والذكر.

---

(١٤٤) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٠٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(١٤٥) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٨/ ٢٧٢).

ما يمحو الله به الخطايا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(١٤٦).

معاني الكلمات:

أدلكم: أرشدكم.

يمحو: يزيل.

الدرجة: الرتبة والمكانة.

إسباغ الوضوء: إتقانه وإتمامه.

المكاره: ما يكرهه الإنسان ويشق عليه.

الرباط: الحراسة في سبيل الله.

المعنى الاجمالي:

يرشد النبي ﷺ أمته إلىٰ ما به رفعة درجاتهم في الآخرة وتكفير ذنوبهم ومحو خطاياهم، وشك علىٰ سبيل الاستفهام من أجل أن يتنبه السامع لما يلقي إليه لأن الأمر مهم فقال: «ألا أنبئكم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات...» فأوصىٰ بثلاثة أشياء:

---

(١٤٦) صحيح: أخرجه مسلم (٤١/ ٢٥١).

أولها: «إسباغ الوضوء علىٰ المكاره»؛ يعني: أن الإنسان يتوضأ وضوءه علىٰ كره منه؛ إما لكونه فيه حُمىٰ ينفر من الماء فيتوضأ علىٰ كره، وإما أن يكون الجو باردًا وليس عنده ما يسخن به الماء فيتوضأ علىٰ كره، وإما أن يكون هناك أمطار تحول بينه وبين الوصول لمكان الوضوء فيتوضأ علىٰ كره، المهم أنه يتوضأ علىٰ كره ومشقة لكن بدون ضرر، أما مع الضرر فلا يتوضأ بل يتيمم هذا مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، ولكن هذا لا يعني أن الإنسان يشق علىٰ نفسه ويذهب يتوضأ بالبارد ويترك الساخن، أو يكون عنده ما يسخن به الماء ويقول: لا، أريد أن أتوضأ بالماء البارد لأنال هذا الأجر فهذا غير مشروع؛ لأن الله يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧]، ورأىٰ النبي ﷺ رجلًا واقفًا في الشمس قال: «ما هذا؟» قالوا: نذر أن يقف في الشمس فنهاه عن ذلك وأمره أن يستظل، فالإنسان ليس مأمورًا ولا مندوبًا في أن يفعل ما يشق عليه ويضره، بل كلما سهلت عليه العبادة فهو أفضل، لكن إذا كان لا بد من الأذىٰ والكره فإنه يؤجر علىٰ ذلك؛ لأنه بغير اختياره.

ثانيها: «كثرة الخطا إلىٰ المساجد»: فيه دليل علىٰ أن الجماعة تكون في المسجد ولا تكون في البيت، وأن الإنسان إذا كثرت خطاه إلىٰ المساجد يرفع الله له به الدرجات ويمحو عنه الخطايا، وقد ثبت عن النبي ﷺ: أن الرجل إذا توضأ في بيته فأسبغ الوضوء ثم خرج إلىٰ المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخطُ خطوة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة. وهذه نعمة عظيمة، فإذا وصل المسجد وصلىٰ لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه تقول: «اللهم صل عليه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر

الصلاة». وكثرة الخطا معناه: أن يأتي الإنسان للمسجد ولو من بُعد، وليس المعنىٰ: أن يقصد الطريق البعيد أو أن يقارب الخطا هذا غير مشروع، بل يمشي علىٰ عادته ولا يتقصد البعد، يعني مثلًا لو كان بينه وبين المسجد طريق قريب وآخر بعيد لا يترك القريب، لكن إذا كان بعيدًا ولا بد أن يمشي إلىٰ المسجد فإن كثرة الخطا إلىٰ المساجد مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

ثالثها: «انتظار الصلاة بعد الصلاة» بمعنىٰ أن الإنسان إذا فرغ من هذه الصلاة يتشوق إلىٰ الصلاة الأخرىٰ وهكذا يكون قلبه معلقًا بالمساجد كلما فرغ من صلاة فهو ينتظر الصلاة الأخرىٰ، هذا أيضًا مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

وهذا هو الرباط؛ يعني: المرابطة علىٰ الخير، وهو داخل في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠][١٤٧].

فوائد الحديث:

١- حرص النبيﷺ علىٰ أن تلقىٰ أمته ربها بدون خطايا وذنوب، وحرصه علىٰ تطهيرهم من ذلك.

٢- يدل الحديث علىٰ أن الإنسان مذنب لا محالة، ولكن المهم المسارعة بالتوبة أو بعمل يمحو الذنوب.

٣- الرد علىٰ الصوفية الذين يقولون: إن الولي لا يخطئ أو هو معصوم؛ لأن في الحديث دليلًا علىٰ أن الإنسان يخطئ ويذنب لا محالة.

---

(١٤٧) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٠٣٠) بتصرف.

٤- الحث علىٰ إتقان الوضوء وإتمامه والمشي إلىٰ المساجد وانتظار الصلاة.

الاستعانة بالله والتوكل عليه

عن أبي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قد الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟!»، فَكَأَنَّ ذلك ثَقُلَ على أَصْحَابِ النبي ﷺ فقال لهم: «قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، على الله تَوَكَّلْنَا»(١٤٨).

معاني الكلمات:

كيف أنعم: كيف يطيب لي عيش في الدنيا.

صاحب القرن: إسرافيل الذي ينفخ في الصور.

التقم القرن: أي وضع طرف القرن في فمه.

ثقل: شقَّ.

حسبنا: كافينا.

المعنى الإجمالي:

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه: كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور، والظاهر أن كلًّا من الالتقام والإصغاء على الحقيقة وأنه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به(١٤٩).

فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا:

---

(١٤٨) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١٤٩) تحفة الأحوذي (٧/ ١٠).

حسبنا الله ونعم الوكيل، علىٰ الله توكلنا».

وفيه إشارة من النبي ﷺ لأصحابه إلىٰ الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، والاعتماد عليه، والتبرؤ من الحول، والقوة، والنظر إلىٰ أفعالهم، والاعتماد علىٰ أعمالهم، والسكون إلىٰ شيء دون الله في أحوالهم، ألا يرىٰ أنهم لما غيروا، وألقوا بأيديهم، وتثاقلوا في نفوسهم، لم يدلهم علىٰ عمل من أعمالهم يرجعون إليه، ولا أمرهم بفعل شيء من أفعالهم يعتمدون عليه، بل ردَّهم إلىٰ الله، وصرفهم عما سواه إليه، فقال: « قولوا: حسبنا الله » إظهارًا للافتقار، وإقرارًا بالاضطرار، وأنه لا نجاة من الله إلا بالله، ولا مفر منه إلا إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ ﴾[الذاريات:٥٠] (١٥٠).

فوائد الحديث:

١- قرب قيام الساعة.

٢- مدىٰ خشية النبي ﷺ وخوفه من الله.

٣- أهمية التوكل علىٰ الله والاستعانة به.

٤- لا نجاة من أهوال يوم القيامة إلا بصدق الاستعانة والتوكل علىٰ الله في الدنيا.

(١٥٠) بحر الفوائد المسمىٰ بمعاني الأخبار للكلاباذي (١/ ١٧٩).

استحباب التكبير في السفر على كل مرتفع

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قال: يا رَسُولَ الله، إني أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي! قال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله، وَالتَّكْبِيرِ على كل شَرَفٍ»، فلما أَنْ وَلَّى الرَّجُلُ قال: «اللَّهُمَّ اطْوِ له الْأَرْضَ وَهَوِّنْ عليه السَّفَرَ»(١٥١).

معاني الكلمات:

التقوى: خشية الله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

شرف: المكان العالي.

اطو له الأرض: قرِّب له المسافة.

هوِّن عليه السفر: سهله عليه.

المعنى الاجمالي:

يوصي النبي ﷺ بلزوم التقوى والمداومة عليها بجميع أنواعها فإنها الوصية التي وصى الله بها عباده كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وتقوى الله: مخافته والحذر من عصيانه. وهذه هي الوصية الأولى.

والوصية الثانية: التكبير عند كل مكان عالٍ؛ أي: بقول: الله أكبر، ومناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع: أن الاستعلاء والارتفاع محبوب

(١٥١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء؛ فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالىٰ وأنه أكبر من كل شيء فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله. قاله الحافظ.

فلما انصرف الرجل دعا له بظهر الغيب فإنه أقرب إلىٰ الإجابة «اللهم اطو له الأرض»؛ أي: قرِّب له البعد بطي الأرض. قال الجزري: أي: قربه له وسهل له السير حتىٰ لا يطول. قال القاري: والمعنىٰ: ارفع عنه مشقة السفر بتقريب المسافة البعيدة له حسًّا أو معنىٰ، «وهون عليه السفر»؛ أي: أموره ومتاعبه وهو تعميم بعد تخصيص(١٥٢).

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ تقوىٰ الله جل وعلا في كل وقت ويتأكد ذلك في السفر.

٢- استحباب دعاء المقيم للمسافر بأن يهون الله عليه السفر ويطوي له الأرض.

٣- بيان لحرص الصحابة ﭫ علىٰ وصايا النبي ﷺ حتىٰ في سفرهم.

٤- استحباب التكبير علىٰ كل مكان عال في السفر أو علىٰ كل مطلع.

(١٥٢) مرقاة المفاتيح (٨/ ١٩٠، ١٩١).

من كنوز الجنة

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ -أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ- أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّا وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ». وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. قَالَ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ»(١٥٣).

معاني الكلمات:

غزا: يقال: غزا العدو؛ أي: سار إلىٰ قتاله.

أشرف الناس علىٰ واد: ارتفعوا عليه.

أربعوا علىٰ أنفسكم: ارفقوا.

الأصم: الذي لا يسمع.

المعنى الاجمالي:

ينبغي للمسافر إذا علا وارتفع أن يكبر، وإذا هبط أو نزل أن يسبح(١٥٤)،

---

(١٥٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٢٠٥) ومسلم (٤٤/ ٢٧٠٤).

(١٥٤) ووجه ذلك: أن الإنسان إذا علا فإنه يرىٰ نفسه في مكان عالٍ فقد يستعظم نفسه فيقول: الله أكبر؛ =

ولكن ينبغي للإنسان إذا فعل هذا ألا يجهد نفسه ولا يشق عليها ولا يرفع صوته رفعًا بالغًا، كما في هذا الحديث أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر فكانوا يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم»؛ يعني: هونوا عليها ولا تشقوا على أنفسكم في رفع الصوت، فإنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا مجيبًا قريبًا وهو الله عز وجل لا يحتاج أن تجهدوا أنفسكم في رفع الصوت عند التسبيح والتحميد والتكبير؛ لأن الله تعالى يسمع ويبصر وهو قريب جل وعلا مع أنه فوق السماوات، لكنه محيط بكل شيء جل وعلا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم. فهو جل وعلا محيط بكل شيء وهو فوق كل شيء، وفي هذا دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه في العبادات؛ لا في أدائها ولا في المداومة عليها، ولهذا لما بلغ النبي ﷺ أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال من شدة رغبته في الخير: لأقومن الليل ما عشت، ولأصومن النهار ما عشت؛ يعني: يريد أن يصوم كل النهار ويقوم كل الليل، فبلغ النبي ﷺ ذلك فدعاه، وقال: «أنت الذي قلت هذا»، قال: نعم يا رسول الله؛ قال: «إنك لا تطيق ذلك»، ثم أمره أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أن يقوم وينام فقال: إني أطيق أكثر من ذلك، فما زال به حتى قال

=

يعني: يرد نفسه إلى الاستصغار، أمام كبرياء الله عز وجل فيقول: الله أكبر.

يعني: لو علوتِ أيتها النفس فإن فوقك من هو أعلى منك وهو الله عز وجل، أما إذا نزل فالنزول سفول ودنو وذل فيقول: سبحان الله؛ يعني: أنزّه الله سبحانه وتعالى عن السفول والنزول؛ لأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء. [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٩٧٦)]

النبي ﷺ له: «صم يومًا وأفطر يومًا»، قال: فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: «لا أفضل من هذا، هذا صوم داود ﷺ يصوم يومًا ويفطر يومًا؛ ليتقوىٰ بيوم الفطر علىٰ يوم الصيام»، فلما كبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شق عليه ذلك، شق عليه أن يصوم يومًا ويفطر يومًا، فقال: «ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ»، ثم صار يصوم خمسة عشر يومًا سردًا ويفطر خمسة عشر يومًا سردًا؛ لأنه عجز أن يصوم يومًا ويفطر يومًا، أما في القيام فقال له: «أعظم ما يكون أن ينام نصف الليل ويقوم ثلث الليل وينام سدس الليل»، قسمه ثلاثة أقسام: ينام النصف، ويقوم الثلث، وينام السدس، وقال: «لا أفضل من ذلك»، والحاصل: أنه لا ينبغي للإنسان أن يشق علىٰ نفسه في العبادة متىٰ تسهلت فليحمد الله بعض الناس في أيام الشتاء يكون عنده الماء الساخن والبارد، يتوضأ بالبارد ويترك الساخن، يعذب نفسه والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧] نعم، إذا لم يكن عندك إلا الماء البارد واستعملته وشق عليك فلك أجر، أما أن تعدل عن السهل إلىٰ الصعب طلبًا للأجر فهذا ليس بصواب، متىٰ تسهل الأمر فافعله، كذلك بعض الناس مثلًا يقول: امشي علىٰ رجلي للحج؛ لأنه أصعب من المشي بالسيارة قلنا: هذا خطأ، إذا سهل الله لك العبادة فافعل أو أنك تقرأ علىٰ نور ضعيف ولا تقرأ علىٰ نور قوي؛ لأن القراءة علىٰ النور الضعيف أصعب هذا أيضًا خطأ كلما تسهلت العبادة فافعل ما تيسر ولكن لا تقصر، أما إذا لم يمكن إلا مع تعب فهذا الأمر إلىٰ الله ومتىٰ تعبت في العبادة فلك أجر. والله الموفق(١٥٥).

---

(١٥٥) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٩٧٩).

فوائد الحديث:

١- النهي عن رفع الصوت بالذكر إلا ما ورد بالنص.

٢- إثبات صفة السمع لله تعالىٰ.

٣- الحث علىٰ الحوقلة وهي أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة.

٤- بيان لأدب الصحابة مع النبي ﷺ، فهذا أبو موسىٰ الأشعري تارة يقول للنبي ﷺ: لبيك، وتارة يقول له: فداك أبي وأمي.

عمل يسير وأجر كبير

عن أُمِّ هَانِئٍ رضي الله عنها قالت: أَتَيْتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رَسُولَ الله، دُلَّنِي على عَمَلٍ فَإِنِّي قد كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدُنْتُ، فقال: «كَبِّرِي الله مِائَةَ مَرَّةٍ، وَاحْمَدِي الله مِائَةَ مَرَّةٍ، وَسَبِّحِي الله مِائَةَ مَرَّةٍ، خَيْرٌ من مِائَةِ فَرَسٍ مُلْجَمٍ مُسْرَجٍ في سَبِيلِ الله، وَخَيْرٌ من مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَخَيْرٌ من مِائَةِ رَقَبَةٍ»(١٥٦).

معاني الكلمات:

بدنت: سمنت.

ملجم: هو موضع اللجام على الفم حتى يعرف الفارس قيادة فرسه.

مسرج: موضع السرج وهو الذي يوضع عليه قدما الفارس حتى يحكم نفسه فلا يسقط.

بدنة: ناقة.

رقبة: عبد أو أمة.

المعنى الإجمالي:

سألت أم هانئ النبي ﷺ عن عمل يسير ترجو به جزيل الثواب بعد أن تقدم سنها وضعف بدنها، فقال لها النبي ﷺ: «كَبِّرِي الله مِائَةَ مَرَّةٍ»؛ أي قولي: الله أكبر مائة، «واحمدي الله»؛ أي قولي: الحمد لله «مائة مرة، وسبحي الله»: قولي: سبحان الله «مائة مرة» فإن ثواب هذه الكلمات لك أعظم من ثواب

(١٥٦) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٨١٠) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

إعداد تلك الخيول للجهاد، وأعظم من ثواب مائة بدنة تنحر ويفرق لحمها علىٰ الفقراء، وخير من عتق مائة رقبة؛ أي: خلاصها من الرق[١٥٧] .

فوائد الحديث:

١- الحديث حرص نساء الصحابة علىٰ الخير وهن لنسائنا نماذج مضيئة للاقتداء بهن رضي الله عنهن.

٢- بيان فقه أم هانئ رضي الله عنها حيث أرادت أن يدلها النبي ﷺ علىٰ عمل يكون خفيفًا لمراعاة حالها علىٰ أن يكون العمل ثوابه كبير جدًّا.

٣- الحث علىٰ التكبير والتحميد والتسبيح في الكبر فضلًا عن الصغر.

(١٥٧) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٤٠١) بتصرف.

لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله

عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قال: يا رَسُولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قد كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا من ذِكْرِ الله»(١٥٨).

معاني الكلمات:

شرائع الإسلام: أي نوافله.

أتشبث به: أتمسك به.

رطبًا: لينًا طريًا، والمقصود: الاشتغال بذكر الله.

المعنى الإجمالي:

قال الطيبي: الشريعة مورد الإبل على الماء الجاري، والمراد: ما شرع الله وأظهره لعباده من الفرائض والسنن. انتهى. قال القاري: والظاهر: أن المراد بها ههنا النوافل؛ لقوله: (قد كثرت علي)؛ أي: غلبت علي بالكثرة حتى عجزت عنها لضعفي(١٥٩).

قال ابن عثيمين: المعنى أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل.

أما الفرائض فلا يغني عنها قول لا إله إلا الله ولا غيره. الفرائض لا بد منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما يحصل به

---

(١٥٨) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١٥٩) مرقاة المفاتيح (٧/ ٤١٣، ٤١٤).

الخلل[١٦٠].

قال الطيبي: التنكير في (بشيء) للقليل المتضمن لمعنى التعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، ومعناه: أخبرني بشي يسير مستجلب لثواب كثير أتعلق به وأعتصم وأستمسك. فأوصاه ﷺ بقوله: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»؛ أي: طريًا مشتغلًا قريب العهد منه، وهو كناية عن المداومة على الذكر. قال ابن القيم في الوابل الصيب: الفائدة السابعة والخمسون للذكر: إن أدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون. فقال: «ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة»، الحديث متفق عليه. فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم التعبد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين فنافسهم الفقراء وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال: «﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد:٢١]»، وفي حديث عبد الله بن بسر قال:

---

(١٦٠) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٤٣٨).

جاء أعرابي فقال: يا رسول الله! كثرت علي خلال الإسلام وشرائعه فأخبرني بأمر جامع يكفيني. قال: «عليك بذكر الله تعالىٰ» قال: ويكفيني يا رسول الله! قال: «نعم ويفضل عنك». فدله الناصح ﷺ علىٰ شيء يبعثه علىٰ شرائع الإسلام والحرص والاستكثار منها، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالىٰ شعاره أحبه وأحب ما يحب، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام، فدله ﷺ علىٰ ما يتمكن به من شرائع الإسلام وتسهل به عليه وهو ذكر الله عزو جل.

فوائد الحديث:

١- أن الأعمال يجوز إطلاق لفظ الشرائع عليها.

٢- أن الرجل كان فقيهًا نبيهًا حيث سأل عن شيء يدوم عليه ولا يشتت نفسه في العبادات.

٣- فضيلة ذكر الله جل وعلا.

الحث على التوبة

عن مُعَاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رَسُولَ الله أَوْصِنِي، فقال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله ما اسْتَطَعْتَ، وَاذْكُرِ الله عِنْدَ كل حَجَرٍ وشَجَرٍ، وما عَمِلْتَ من سُوءٍ فَأَحْدَثْ للهِ فيه تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلانِيَةُ بِالْعَلانِيَةِ»(١٦١).

معاني الكلمات:

فأحدث لله توبة: أي جدد توبة لله.

المعنى الإجمالي:

«عليك بتقوى الله ما استطعت»: أي: مدة دوامك مستطيعًا وذلك بتوفر الشروط والأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها.

«واذكر الله عند كل حجر وشجر»: أراد بالحجر: السفر، وبالشجر: الحضر، أو أراد الشدة والرخاء، فالحجر عبارة عن الجدب، والشجر كناية عن الخصب.

«وما عملت من سوء فأحدث لله فيه توبة»: أشار إلى عجز النفس البشرية وضعفها، كأنه قال: إن توقيت الشر جهدك لا تسلم فعليك بالتوبة والرجوع بقدر الإمكان.

«السر بالسر والعلانية بالعلانية»: السر: فعل القلب، والعلانية: فعل

---

(١٦١) حسن: أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٩/ برقم:٣٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٤٤).

الجوارح، فيقابل كل شيء بمثله[١٦٢].

فوائد الحديث:

١- الحث على تقوى الله وأن ذلك رأس الأمر كله، فالنجاة في التقوى والهلاك في عدمها.

٢- الحث على ذكر الله في كل وقت ومكان.

٣- الحث على التوبة فإن التوبة كفارة للذنوب.

٤- الحث على التوبة السرية؛ أي: يتوب الإنسان لربه في السر بدون إعلام أحد ما دام الذنب سرًّا، أما إذا كان علانية ومتعلقة بحقوق العباد فلا بد من الجهر بالتوبة والبراءة من أذى المسلمين وإرجاع الحقوق إلى أهلها.

---

(١٦٢) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٣٦٩).

الوصية بالإكثار من ذكر هاذم اللذات

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ»؛ يَعْنِي: الْمَوْتَ[١٦٣].

معاني الكلمات:

اللذات: الشهوات حسية كانت أو معنوية.

المعنى الإجمالي:

هذا تنبيه من النبي ﷺ للأحياء كي يتنبهوا ويتعظوا، فالموت هو الحقيقة التي لا مراء فيها، والغائب المنتظر، والضيف الذي لا تستطيع رده أو الاعتذار منه.

وهاذم اللذات هو الموت؛ لأن كل إنسان مهما كانت حياته منعمة؛ إذا كان في القمة في العالم كله، أغنىٰ أغنياء العالم، أقوىٰ أقوياء العالم، أسعد سعداء العالم، حينما يتذكر الموت فإنه تنهزم أمامه كل لذة، ولو ذكر العريس ليلة عرسه الموت لما دخل علىٰ عروسه.

فذكر هاذم اللذات الذي هو الموت هو أكبر واعظ، وأكبر زاجر، وأكبر دافع لفعل الخير[١٦٤].

وأعقل الناس وأكيسهم أكثرهم ذكرًا للموت، فعن ابن عمر قال: كنت مع

---

(١٦٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(١٦٤) شرح بلوغ المرام للشيخ محمد عطية سالم (٢/ ١١٢).

رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقًا»، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس»(١٦٥).

فوائد الحديث:

١- أهمية تذكر الموت.

٢- تقصير الأمل في الدنيا.

٣- الرضا بالقليل.

٤- عدم الجزع عند المصيبة.

٥- توريث الخشية من الله.

---

(١٦٥) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

التخويف من الموت

عن الطُّفَيْلِ بن أُبَيِّ بن كَعْبٍ عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قام فقال: «يا أَيُّهَا الناس اذْكُرُوا الله، اذْكُرُوا الله، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جاء الْمَوْتُ بِمَا فيه، جاء الْمَوْتُ بِمَا فيه»[١٦٦].

معاني الكلمات:

ذهب: مضىٰ.

الراجفة: النفخة الأولىٰ بها يموت الخلائق قبل يوم القيامة.

الرادفة: النفخة الثانية وبها يحيياالناس ليوم القيامة.

المعنى الإجمالي:

أراد النبي ﷺ بهذا النداء: النائمين من أصحابه، الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالىٰ والتهجد، وفي هذا مأخذ للمذكرين من المؤذنين، وأنه ينبغي لهم أن لا يقوموا قبل مضي الثلثين من الليل، وفيه إشارة إلىٰ استحباب القيام في الثلث الأخير من الليل استحبابًا مؤكدًا.

ووجه ﷺ أمته إلىٰ ذكر الله بوحدانية ذاته وسائر صفاته، وذكر عقابه وثوابه؛ لتكونوا بين الخوف والرجاء، وممن قال تعالىٰ فيهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦].

وأشار ﷺ بقوله: «جاءت الراجفة» إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾

---

(١٦٦) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[النازعات:٦]، وعبَّر بصيغة الماضي لتحقق وقوعها، فكأنها جاءت، والمراد: أنه قارب وقوعها فاستعدوا؛ لتهويل أمرها، والراجفة هي الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذٍ من الأرض والجبال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل:١٤]، أو مجاز عن الواقعة التي ترجف الأجرام عندها، وهذا المعنىٰ أنسب بالحديث في هذا المقام، وهي النفخة الأولىٰ «تتبعها الرادفة»؛ أي: التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر، أو النفخة الثانية وهي التي يحيا فيها الخلق.

قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: أراد بالراجفة: النفخة الأولىٰ التي يموت منها جميع الخلق، والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمحص، وأراد بالرادفة: النفخة الثانية، ردفت النفخة الأولىٰ أنذرهم باقتراب الساعة لئلا يغفلوا عن الاستعداد لها.

وأراد ﷺ تذكير أصحابه بالموت مع ما فيه من الشدائد الكائنة في حالة النزع والقبر وما بعده، وفيه إشارة إلىٰ أن من مات فقد قامت قيامته، فهي القيامة الصغرىٰ الدالة علىٰ القيامة الكبرىٰ، لعل الأول بيان ما وقع وتحقق لمن قبلنا موعظة لنا فقد ورد: «كفىٰ بالموت واعظًا»، والثاني إشارة إلىٰ قرب مجيئه بالموجودين[١٦٧].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ ذكر الله جل وعلا.

٢- الحث علىٰ تذكر الموت فإنه سبب لخشية الله جل وعلا.

---

(١٦٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (١٥/ ٢٨٣،٢٨٤) بتصرف يسير.

٣- الحث علىٰ تذكر الآخرة وأهوالها؛ لأن ذلك باعث علىٰ تقوىٰ الله جل وعلا.

٤- فضيلة قيام الليل.

٥- حرص النبي ﷺ علىٰ اغتنام الصحابة فرص الخير.

كتاب الآداب والبر والصلة

الحث على الحياء

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[١٦٨].

معاني الكلمات:

الحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

المعنى الاجمالي:

الحديث في جملته حثٌ على الحياء، وهو عند العلماء من أعلى الأخلاق ومكارمها وذروتها، مما يُعطي لنا دلالةً واضحة أن مكارم الأخلاق قدر مشترك بين النبوات وبين جميع الرسالات، ويؤيد هذا ما صح عنه ﷺ من قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١٦٩]، هناك مكارم أخلاق في الرسالات الأولى، وهناك مكارم أخلاق جاء بها الأنبياء المتقدمون، والرسول ﷺ إنما جاء يتمم ما جاء به من قبله.

وإذا نظرنا إلى هذا الحث الشديد منه ﷺ على لزوم الحياء وهو قمة الأخلاق نجد أن أهم ما في سلوك المسلم، وأهم ما في تعاليمه هو مكارم الأخلاق، ولذا المولى سبحانه مع تكريمه لسيد الخلق ﷺ بكل أنواع التكريم

---

(١٦٨) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٨٤).

(١٦٩) صحيح: أخرجه البيهقي في سننه (٢٠٥٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٥).

حينما وصفه سبحانه في ذاته، وصفه بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وهكذا يقول العلماء: من كرمت أخلاقه، وحسن سلوكه، ربما ترك المعاصي حياءً من الله.

ومن الناس من لم يعص الله مروءةً، كما قال ﷺ: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»[١٧٠]؛ يعني: يترك عصيان الله حياءً من الله، وقد يترك المعصية مروءةً وإباءً، كما جاء عن هند عند بيعة النسوة لرسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة:١٢]، قالت: «يا رسول الله! أَوَ تزني الحرة؟!» تستبعد وتستنكر، ولا يخطر في بالها أن الحرة الأبيَّة ترضىٰ أن يعلوها رجل غير بعلها.

قوله: «فاصنع ما شئت» هل هو للإباحة في أن يصنع كل شيء؟

لا، إنما هو علىٰ سبيل الوعيد والتهديد كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، باختياركم! الذي يريد أن يؤمن فلنفسه، والذي يريد أن يكفر فعلىٰ نفسه ومآله إلىٰ النار، هل هذا تخيير أو تهديد؟ يكون تهديدًا[١٧١].

---

(١٧٠) هذا الحديث مع شهرته لا أصل له قاله الحفاظ، ولا يعرف له سند، قال الألباني في الضعيفة: (١٠٠٦): قال السخاوي في «الفتاوي الحديثية»: (١٢/ ٢): قد اشتهر في كلام الأولين و أصحاب المعاني و العربية من حديث عمر بن الخطاب، و ذكر الشيخ بهاء الدين السبكي أنه لم يظفر به في شيء من الكتب، و كذا قال جمع من أهل اللغة، ثم رأيت بخط شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ظفر به في «مشكل الحديث» لأبي محمد بن قتيبة، لكن لم يذكر له ابن قتيبة إسنادًا، و قال: أراد أن صهيبًا إنما لم يعص الله حياء لا مخافة عذابه. انتهىٰ.

(١٧١) شرح الأربعين النووية لعطية محمد سالم.

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الحياء.

٢- الإشارة إلىٰ صحة القاعدة الأصولية: أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخه ناسخ.

٣- بيان لحسن بلاغة النبي ﷺ؛ وذلك لأنه كان أبلغ الناس وأوتي جوامع الكلم.

٤- هذا الحديث مثل من الأمثال النبوية، ولقد تناولها أهل العلم في كتبهم المصنفة في الأمثال.

الحث على إفشاء السلام وإطعام الطعام

عن عبد الله بن سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لَمَّا قَدِمَ رسول الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ الناس إليه وَقِيلَ: قَدِمَ رسول الله ﷺ، قَدِمَ رسول الله ﷺ، قَدِمَ رسول الله ﷺ، فَجِئْتُ في الناس لِأَنْظُرَ إليه، فلما اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رسول الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ ليس بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وكان أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قال: «أَيُّهَا الناس: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تدخلون الْجَنَّةَ بِسَلَام»[١٧٣].

معاني الكلمات:

أفشوا: فشا الشيء: ظهر وانتشر.

انجفل الناس إليه: أسرع الناس بالذهاب إليه.

استثبت وجهه: تبين لي وعرفته.

المعنى الاجمالي:

(انجفل الناس إليه)؛ أي: ذهبوا مسرعين إليه، (فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ) قال في (الصراح): استبان الشيء؛ أي: ظهر وتبين مثله، واستبنته أنا: عرفته وتبينته أنا كذلك. انتهى.

(ليس بوجه كذاب)؛ أي بوجه ذي كذب، فإن الظاهر عنوان الباطن.

«يا أيها الناس»: خطاب العام بكلمات جامعة للمعاملة مع الخلق والحق.

«أفشوا السلام»؛ أي: أظهروه وأكثروه على من تعرفونه وعلى من لا تعرفونه.

---

(١٧٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

«وأطعموا الطعام»؛ أي: لنحو المساكين والأيتام.

«وصلوا» أي بالليل «والناس نيام»؛ لأنه وقت الغفلة، فلأرباب الحضور مزيد المثوبة، أو لبعده عن الرياء والسمعة.

«تدخلوا الجنة بسلام»؛ أي: من الله، أو من ملائكته من مكروه أو تعب ومشقة [١٧٣].

فوائد الحديث:

١- الإشارة إلىٰ أن الصالحين فضلًا علىٰ الأنبياء لهم سيم وصفات تدل علىٰ الصلاح.

٢- الإشارة إلىٰ أن منقبة لعبد الله بن سلام حيث إنه أسلم وكان يهوديًّا، وقلَّ أن تجد هذا في اليهود.

٣- الإشارة إلىٰ بيان لفراسة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام وتثبته حتىٰ عرف أن محمد بن عبد الله القرشي نبي حقًّا.

٤- الحث علىٰ إفشاء السلام علىٰ الغير سواء عرفته أم لم تعرفه كما هو مبين في حديث آخر.

٥- الحث علىٰ إطعام الفقراء وإكرام الضيف وابن السبيل، فالحديث فيه إطعام الطعام ولم يحدد.

٦- الحث علىٰ قيام الليل، وأنه من الأسباب الموجبة لدخول الجنة.

٧- بيان لعلو همة النبي ﷺ حيث إنه بمجرد وصوله أخذ يعظ الناس بما ينفعهم.

---

(١٧٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٧/ ١٥٨).

لا يقبل الله من الصدقات إلا ما كان طيبًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، -ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»(١٧٤).

معاني الكلمات:

الطيب: الطاهر والخالص.

أشعث: رث الهيئة.

أغبر: أي عليه غبار الطريق.

غُذِّي: الغذاء: ما يكون به تمام الجسم وقوامه من الطعام والشراب.

أنَّىٰ: أداة استفهامية بمعنىٰ: متىٰ.

المعنى الإجمالي:

من أسماء الله عز وجل: الطيِّب، ويقبل من الأعمال ما كان موصوفًا بالطِّيب، وهو عام في جميع الأعمال، ومنها الكسب، فلا يعمل المرء إلاَّ صالحًا، ولا يكتسب إلاَّ طيبًا، ولا ينفق إلاَّ من الطيِّب.

---

(١٧٤) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥/ ١٠١٥).

«وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسَلين، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]»: في الآيتين أمر المرسَلين والمرسَل إليهم بالأكل من الطيِّبات، وكما أنَّ المرسَلين لا يأكلون إلاَّ الطيِّب، فإنَّ علىٰ أتباعهم ألَّا يأكلوا إلَّا طيِّبًا.

وبعد أن بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ الله لا يقبل إلاَّ طيِّبًا، وأنَّ المرسلين والمؤمنين أُمروا بالأكل من الطيِّبات، بيَّن أنَّ من الناس مَن يخالف هذا المسلك، فلا يكون أكله طيِّبًا، بل يعمد إلىٰ اكتساب الحرام واستعماله في جميع شئونه من مأكل وملبس وغذاء، وأنَّ ذلك من أسباب عدم قبول دعائه، مع كونه أتىٰ بأسباب قبول الدعاء، وهي في هذا الحديث أربعة: السفر مع إطالته، وكونه أشعث أغبر، وكونه يَمدُّ يديه بالدعاء، وكونه ينادي الله بربوبيَّته، مع إلحاحه علىٰ ربِّه بتكرار ذلك، ومع ذلك يستبعد حصول الإجابة لوجود الأسباب المانعة من قبول الدعاء[١٧٥].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ أكل الحلال والرزق الحلال.

٢- بيان أن الرسل هم القدوة لنا حيث أمرنا بما أمر به المرسلين.

٣- بيان أنَّ أكل الحرام سبب في عدم استجابة الدعاء.

٤- إثبات اسم الله الطيب.

---

(١٧٥) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين لعبد المحسن العباد (٤٩،٥٠) بتصرف يسير.

٥- الإشارة إلىٰ أن الله لا يقبل إلا الطيب من الرزق، أما الخبيث أو ما شابه شيء من الخبيث فلا يقبل.

الوصية بالجار

عن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: سمعت رَسُولَ الله ﷺ وهو على نَاقَتِهِ الجَدْعَاءِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يقول: «أُوصِيكُمْ بِالجَارِ»، حتى أَكْثَرَ فقلت إنه لَيُوَرِّثُهُ[١٧٦].

معاني الكلمات:

ناقته الجدعاء: أي المقطوعة الأذن.

فقلت إنه ليورثه: ظننت أنه سيجعل له نصيبًا من الميراث.

المعنى الإجمالي:

الجار هو الملاصق لك في بيتك والقريب من ذلك، وقد وردت بعض الآثار بما يدل على أن الجار أربعون دارًا من كل جانب، ولا شك أن الملاصق للبيت جار، وأما ما وراء ذلك فإن صحَّت الأخبار بذلك عن النبي ﷺ فالحق ما جاءت به، وإلا فإنه يرجع في ذلك إلى العرف فما عدَّه الناس جوارًا فهو جوار[١٧٧].

والنبي ﷺ يوصي بالجار: بالإحسان إليه وكف صنوف الأذى والضرر عنه وإكرامه بسائر الممكن من وجوه الإكرام لما له من الحق المؤكد الذي ما يزال جبريل عليه السلام يؤكد فيه حتى كاد يورثه. قال بعض العارفين: احفظ حق الجوار والجار، وقدم الأقرب دارًا، وتفقدهم بما أنعم الله به عليك؛ فإنك

---

(١٧٦) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (٧٥٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٨).

(١٧٧) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٣٠٣).

مسئول، وادفع عنهم الضرر، وأردِف عليهم الإحسان، وما سمي جارًا لك إلا لميلك بالإحسان له ودفع الضرر عنه[١٧٨].

وفي حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه»[١٧٩]؛ أي: سينزل الوحي بتوريثه، وليس المعنىٰ أن جبريل يشرع توريثه؛ لأن جبريل ليس له حق في ذلك، لكن المعنىٰ أنه سينزل الوحي الذي يأتي به جبريل بتوريث الجار، وذلك من شدة إيصاء جبريل به النبي ﷺ[١٨٠].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ إكرام الجار ومعاملته بالحسنىٰ.

٢- الحث علىٰ التكافل الاجتماعي حتىٰ يستقر الأمن والأمان بين الناس، فالجار ما هو إلا عضو في المجتمع؛ فحث النبي ﷺ علىٰ الإحسان إليه.

٣- بيان لحفظ الصحابة رضي الله عنهم لعلم رسول الله ﷺ، حتىٰ إنهم ليحفظون المكان والزمان، بل وصفة الناقة التي ركبها النبي ﷺ، بل وتكرار النبي ﷺ للوصية مما يدل علىٰ متانة حفظ الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١٧٨) فيض القدير للمناوي (٣/ ١٠٣).

(١٧٩) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠١٥) ومسلم (١٤١/ ٢٦٢٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١٨٠) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٣٠٣).

من صور الإحسان إلىٰ الجار

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»(١٨١).

معاني الكلمات:

المرقة: الماء الذي غلي فيه لحم.

تعاهد جيرانك: تفقدهم وجدِّد العهد بهم.

المعنى الإجمالي:

هذه من وصايا النبي ﷺ بالإحسان إلىٰ الجار، والحديث فيه حث علىٰ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، كما أن فيه تحريكًا للشعور نحو الآخرين بتفقد أحوالهم ومعرفة حاجاتهم.

فيأمر النبي ﷺ أبا ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا طبخ أن يكثر من ماء مرقته بما يزيد عن حاجته وحاجة أهله وأن يتعاهد جيرانه، قال التوربشتي: قوله: «تعاهد جيرانك»؛ أي: تفقدهم بزيادة طعامك وجدد عهدك بذلك، وتحفظ به حق الجوار. والتعهد التحفظ بالشيء وتجديد العهد به، والتعاهد ما كان بين اثنين من ذلك، يقال: تعاهد الشيء وتعهده واعتهده؛ أي: تحفظ به وتفقده وجدد العهد به(١٨٢).

---

(١٨١) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٢/ ٢٦٢٥).

(١٨٢) مرقاة المفاتيح (٦/ ٣٧٣).

وقال الحافظ العراقي: وفيه ندب إكثار مرق الطعام لقصد التوسعة علىٰ الجيران والفقراء، وأن المرق فيه قوة اللحم فإنه يسمىٰ أحد اللحمين؛ لأنه يخرج خاصية اللحم فيه بالغليان.

قال: وفيه أفضلية اللحم المطبوخ علىٰ المشوي لعموم الانتفاع؛ لأنه لأهل البيت والجيران، ولأنه يجعل فيه الثريد وهو أفضل الطعام، وفيه ندب الإحسان إلىٰ الجار، وفيه يندب أن يفرق لجاره من طعامه[(١٨٣)].

فوائد الحديث:

١- الإشارة إلىٰ التكافل الاجتماعي، والنبي ﷺ حثَّ عليه من أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان.

٢- الإشارة إلىٰ ذم ما عليه أهل الكفر في الغرب من تركهم الجار لا يعرفون عنه شيئًا، وللأسف انتقلت هذه العدوىٰ إلىٰ كثير من المجتمعات الإسلامية.

٣- الحث علىٰ إهداء الجار شيئًا مما طبخ أو غير ذلك مما يتألف به القلوب.

٤- حرص النبي ﷺ علىٰ الجار حتىٰ يستتب الأمن والأمان في المجتمع.

---

(١٨٣) فيض القدير (١/ ٥١٠).

من وصايا النبي ﷺ في أدب الطريق

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ». فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»(١٨٤).

معاني الكلمات:

إياكم: أحذركم.

ما لنا بد: ما لنا عنها غنىٰ.

الطرقات: الشوارع التي يمر بها الناس.

غض البصر: كفه عمَّا لا يجوز له.

المعنى الإجمالي:

يبين النبي ﷺ في هذه الوصية أنه لا يجوز الجلوس في الطريق إلا بحقه وشرطه وهو ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ، فإذا لم يكن هناك بد من الجلوس في الطريق فعلىٰ من يجلس أن يعطي الطريق حقه، وقد بين النبي ﷺ حق الطريق لما سأله الصحابة الكرام رضي الله عنهم عن ذلك، فينبغي البعد عن الجلوس في الطرقات، وإذا دعا الأمر إلىٰ ذلك، ولم يكن هناك بد، فلا بد من إعطاء الطريق حقه، وهو الذي بينه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في

(١٨٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٦٥) واللفظ له، ومسلم (٣/ ٢١٢١).

حديث أبي سعيد هذا.

فمن حقوق الطريق: غض البصر، وكف الأذىٰ؛ أي: فلا ينظر إلىٰ ما لا يجوز له النظر إليه، كالنظر إلىٰ النساء، وكذلك كف الأذىٰ عن الناس فلا يؤذيهم بقول ولا فعل.

ومنها: رد السلام؛ أي: عندما يسلم أحد يرد عليه؛ لأنهم جالسون، فالذي يأتي ماشيًا يبدأ بالسلام فيرد عليه الجالس؛ ولهذا قال: «ورد السلام»، ولم يقل: ابتداء السلام؛ لأن الجالس هو الذي يسلَّم عليه، ولا يسلِّم هو علىٰ الناس، فإذا جاء أحد يمشي فلا يقول الجالس: السلام عليكم، وإنما الذي يمشي يقول: السلام عليكم، والجالس يرد السلام؛ ولهذا قال: «ورد السلام».

ومنها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: فإذا حصل أمر يقتضي أن يوجه إلىٰ خير، وأن يُبَصَّر بحق، فإنه يأمر بالمعروف، وكذلك إذا رأىٰ أمرًا منكرًا، فإنه ينبه الذي حصل منه المنكر علىٰ ذلك، ويحذر من ذلك، ويخوف منه، فيكون هذا الجلوس فيه جلب مصلحة، ودفع مضرة، فغض البصر وكف الأذىٰ فيه دفع للمضرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد السلام من المنفعة والمصلحة التي أمر بها.

فالرسول ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات»: فدل هذا علىٰ أن الأصل هو ألا يجلس في الطرقات، ولكن إذا كان هناك حاجة إلىٰ الجلوس كما في قولهم: (ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها) فعليهم أن يعطوا الطريق حقه، وقد قال الرسول ﷺ: «فأعطوا الطريق حقه»؛ ليلفت أنظارهم إلىٰ أن يعرفوا حق الطريق، فهو لم يقل: افعلوا كذا وكذا، وإنما قال: «فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق؟»؛ لأنهم حينما سألوا عنه فإن هذا يكون أدعىٰ إلىٰ ثبوته

وفهمه؛ لأن الشيء الذي يحصل له أمر يقتضيه، ويحصل له سبب كأن يكون مجملًا، ثم يستفسر عن تفصيله، فإن ذلك التفصيل عندما يذكر للسائل ينتبه له، ويتهيأ له، ويكون على استعداد وتشوق لاستيعابه، وعدم فوات شيء منه، فقال لهم ﷺ: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر»، وهذا من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام[(١٨٥)].

فوائد الحديث:

١- التحذير من الجلوس في الطرقات.

٢- جواز الجلوس في الطرقات بشرطين: إن كان ضروريًا، وفيه قضاء للمصالح، والشرط الثاني: أن يؤدى حق الطريق.

٣- في الحديث بيان لحقوق الطريق وهو غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١٨٥) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٧/ ٤٦٨،٤٦٩).

الوصية بمصاحبة المؤمن

عن أبي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ»(١٨٦).

معاني الكلمات:

المصاحبة: المرافقة.

المعنى الاجمالي:

أوصىٰ الرسول ﷺ في هذا الحديث بأمرين:

أولهما: «لا تصاحب إلا مؤمنًا»؛ أي: من يُعرف بالإيمان والتقىٰ، فمن كان كذلك فللإنسان أن يصاحبه ويرافقه ويجالسه؛ لأن الفائدة تعود عليه من وراء مجالسته.

والثاني: «ولا يأكل طعامك إلا تقي»؛ أي: صاحب تقىٰ، والمقصود من ذلك: أن الإنسان لا يدعو إلا أناسًا طيبين، ولا يدعو أناسًا ليسوا أتقياء، إلا إذا كان يريد من وراء ذلك استمالتهم وتوجيههم ودعوتهم وإصلاحهم ونصحهم، فإذا كان ذلك لهذه المصلحة فلا بأس في ذلك، وإلا فإن الأصل أن الإنسان تكون مجالسته ومخالطته ومؤاكلته مع أناس طيبين، وأما إذا كان يخالط أناسًا فيهم سوء، ولا يكترث بذلك فإن ذلك يؤثر فيه، ولكن إذا كان من أجل أن يدعوهم وينبههم ويستميلهم ويذكرهم، ويسعىٰ لإصلاحهم، فهذا مقصد طيب.

---

(١٨٦) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

والمقصود من قوله: «لا يأكل طعامك إلا تقي»: أن يدعوه، أما أن يحسن الإنسان إلىٰ غيره ممن هو بحاجة إلىٰ الإحسان، فإنه يحسن إلىٰ التقي وغير التقي، لا سيما إذا كان هذا الإحسان يؤثر في غير التقي(١٨٧).

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الصحبة الصالحة.

٢- النهي عن الصحبة السيئة.

٣- الحث علىٰ مؤاكلة التقي.

---

(١٨٧) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٧/ ٥٥).

الوصية بكظم الغضب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي! قَالَ «لاَ تَغْضَبْ». فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[١٨٨].

معاني الكلمات:

الغضب: استجابة لانفعال تتميز بالميل إلىٰ الاعتداء.

مرارًا: أكثر من مرة.

المعنى الإجمالي:

هذه وصية جامعة من وصايا النبي ﷺ، كرر الرجل طلبه أكثر من مرة: (أوصني)، والنبي ﷺ يرد عليه في كل مرة: «لا تغضب»، وفي رواية أخرىٰ أن الرجل قال: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[١٨٩]، وذلك لما يترتب علىٰ الغضب من الأمور الخطيرة والأمور السيئة التي لا تحمد عقباها سواء كانت قولية أو فعلية، وقد يهذي بشيء لا يعقله بسبب تمكن الغضب منه واستيلائه عليه، وقد يصل به الحال إلىٰ أنه لا يعقل ما يقول والعياذ بالله[١٩٠].

---

(١٨٨) صحيح: أخرجه البخاري (٦١١٦).

(١٨٩) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (٢٧٤٦).

(١٩٠) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٧/ ٣٩١).

والغضب من الصفات المذمومة التي هي من وسائل إبليس، فالغضب دائمًا يكون معه الشر.

فكثير من حوادث القتل والاعتداءات كانت من نتائج الغضب، كثير من الكلام السيئ الذي ربما لو أراد الإنسان أن يرجع فيه لرجع، لكنه أنفذه من جراء الغضب، كثير من العلاقات السيئة بين الرجل وبين أهله، وحوادث الطلاق، وأشباه ذلك كان منشؤها الغضب، وكثير من قطع صلة الرحم، وتقطيع الأواصر التي أمر الله جل وعلا بوصلها كان سببَ القطيعةِ الغضبُ، ومجاراة الكلام، وتبادل الكلام والغضب إلىٰ أن يخرجه عما يعقل، ثم بعد ذلك لات ساعة إصلاح.

وهكذا في أشياء كثيرة، فالغضب مذموم، وهو من الشيطان، ومن وسائل الشيطان لإحداث الفرقة بين المؤمنين، وإشاعة الفحشاء والمحرمات فيما بينهم.

علاج الغضب:

جاء في السنة أحاديث كثيرة في علاج الغضب، نجملها في الآتي:

١- أن الغضب يعالج بالوضوء؛ لأنه فيه ثورة، والوضوء فيه تبريد؛ ولأن الغضب من الشيطان، والوضوء فيه استكانة لله جل وعلا وتعبد لله، فهو يُسكِّن الغضب، فمن غضب فيشرع له الوضوء[١٩١].

٢- كذلك مما جاء في السنة: أنه إذا غضب وكان قائمًا أن يقعد، وهذا من

(١٩١) لم يرد حديث صحيح في دفع الغضب بالوضوء، غير أن الوضوء يساعد علىٰ استقرار النفس وسكونها.

علاج آثار الغضب؛ لأنه يسكن نفسه.

٣- ومن علاج الغضب أن يسعىٰ في إبداله بالكلام الحسن، لمن قدر علىٰ ذلك(١٩٢).

ومن المعلوم أن الإنسان يبتلىٰ، وابتلاؤه يكون مع درجاته وأجره وثوابه، فإذا ابتلىٰ بما يغضبه فكظم ذلك، وامتثل أمر النبي وما حث الله جل وعلا عليه بقوله: ﴿وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وكظم غيظه، وهو يقدر علىٰ إنفاذه، كان حريًا بكل فضل مما جاء في الأحاديث، بأن يدعىٰ علىٰ رءوس الخلائق إلىٰ الجنة، وأشباه ذلك.

فهذا الحديث دل علىٰ هذا الأدب العظيم، فحري بطالب العلم، وبكل مستقيم علىٰ أمر الله أن يوطن نفسه علىٰ ترك الغضب، وترك الغضب لا بد له من صفة تحمل عليه، والصفة التي تحمل عليه: الحلم والأناة، ومن اتصف بالحلم والأناة كان حكيمًا؛ ولهذا الغضوب لا يصلح أن يكون معالجًا للأمور، بل يحتاج إلىٰ أن يهدأ حتىٰ يكون حكيمًا.

وكان للغضب بعض الآثار السيئة في قصص متنوعة؛ ولهذا نقول: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تغضب» ينبغي أن يكون بين أعيننا دائمًا في علاقاتنا مع إخواننا، ومع أهلينا، ومع الصغار، ومع الكبار، فكلما كان المرء أحلم وأحكم في لفظه وفعله كان أقرب إلىٰ الله جل وعلا، وهذا من صفات خاصة عباد الله(١٩٣).

---

(١٩٢) وذلك كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

(١٩٣) شرح الأربعين النووية لصالح آل الشيخ (١٣٩) وما بعدها.

فوائد الحديث:

١- حرص الصحابة على وصايا النبي ﷺ حيث يطلبون منه أن يوصيهم.

٢- ذم الغضب.

٣- استحباب تكرار الوصية أو الموعظة حتى تكون بليغة في نفس المستمع.

أمسك عليك لسانك

عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رَسُولَ الله، ما النَّجَاةُ؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ على خَطِيئَتِكَ»[١٩٤].

معاني الكلمات:

أمسك عليك لسانك: احفظه.

وليسعك بيتك: الزمه فإنه يسعك.

الخطيئة: الذنب على عمد.

المعنى الإجمالي:

أوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر رضي الله عنه بثلاث وصايا؛ أولها: حفظ اللسان، فبين النبي ﷺ في هذا الحديث طريق النجاة فقال: «أمسك عليك لسانك»؛ أي: احفظه وصُنه لعظم خطره وكثرة ضرره، قال ذو النون رحمه الله: أصون الناس لنفسه أملكهم للسانه، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما على الأرض أحوج إلى طول سجن من اللسان.

قال بعض الحكماء: لا شيء أحق بالسجن من اللسان، وقد جعله خلف الشفتين والأسنان، ومع ذلك يكثر القول ويفتح الأبواب.

الوصية الثانية: لزوم المنزل: ثم أمره بلزوم بيته ولا سيما في زمن الفتن، فقال: «وليسعك بيتك».

---

(١٩٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

قال الطيبي: الأمر في الظاهر وارد على البيت، وفي الحقيقة على المخاطبة أي تعرض لما هو سبب لزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلو عن الأغيار.

والثالثة: البكاء على الذنوب: ضمَّن بكى معنى الندامة وعداه بعلى، أي: اندم على خطيئتك باكيًا، فإن جميع أعضائك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على ملإ من الخلق، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤](١٩٥).

فوائد الحديث:

١- الحث على حفظ اللسان.

٢- الحث على العزلة عند الفتن وعدم الإكثار من مخالطة الناس.

٣- الحث على الندم ومراجعة الإنسان نفسه ماذا عمل، وبماذا عمل، ولمن يعمل، إلى آخر هذه المراجعات.

٤- حرص الصحابة على الخير والنجاة من النار وذلك لسلامة قلوبهم وفطرهم.

٥- جواز البكاء، وأسباب البكاء كثيرة منها: الندم، والفرح، والقلق، والألم، والهم، والخشوع، والخوف من الله، والتدبر في آيات القرآن، وغير ذلك.

(١٩٥) فيض القدير (٢/ ١٤٨، ٢٤٩).

الوصية بترك الإنسان ما لا يعنيه

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ»(١٩٦).

معاني الكلمات:

يعنيه: يخصه.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث على وجازة ألفاظه يعده بعض العلماء نصف الإسلام، وبعضهم يقول: هو الإسلام، وبعضهم يقول: ربع الإسلام؛ لأنه من جوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ؛ فمع قصر ألفاظه، وقلة كلماته، اشتمل على آداب الإسلام.

والحسن في الشيء: زيادة في جماله وكماله وتحسينه.

إذاً: هناك محسنات لغيرها، وورد فيما يتعلق بعنصر الإحسان حديث جبريل عليه السلام، حينما جاء إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، وكان الجواب النبوي الكريم عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه»، فالعبادة أصل، وإحسانها: أن تراقب الله حال عبادتك إياه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فيوجد عبادة، وإحسان تلك العبادة.

وهكذا الإنسان إذا بنى بيته، وأقام أركانه، يأتي بمحسنات، ويأتي بوسائل

(١٩٦) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

التجميل لهذا البيت.

إذاً: «من حسن إسلام المرء»، يعمل بهذا الحديث من اكتمل إسلامه بأركانه، ثم هو يأخذ في المحسنات، ومن هنا قالوا: محسنات الإسلام، قد تندرج تحت هذا الحديث وقد لا تندرج، كما جاء عنه ﷺ: «البر حسن الخلق»، وحسن الخلق من محسنات الإسلام، وهنا أيضًا: «من حسن إسلام المرء»، و(المرء) هنا مذكر، ويؤنث بامرأة، والأصل في الأسماء الذكورة، ثم تأتي الأنوثة لها علامة زائدة، فتقول: امرؤ وامرأة، والتاء للتأنيث تكون زائدة عن لفظ المذكر، وقد يطلق (المرء وامرؤ) ويشمل الجميع بالتبع، كقوله هنا: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وهذا الحديث يتعلق بجوانب الترك، والترك هو الكف، وفي عرف الشرع واللغة: الكف فعل، ومن كف عن سيئة فله حسنة، وكما قال القائل عند بناء المسجد النبوي، والرسول ﷺ يشارك معهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل

لذاك منا العمل المضلل

فجعل قعودهم عن العمل عملًا، إذاً: الكف فعل على الصحيح من أقوال العلماء.

إذاً: ترك ما لا يعني فعل، ومن هنا كان هذا الترك من محسنات الإسلام.

ما يعني المرء وما لا يعنيه

ما الذي يعني المسلم وما الذي لا يعنيه؟ «يعنيه»؛ أي: تتعلق العناية به، وتتعلق مصلحته بعين ذلك الشيء، فهذا الفعل يعنيه، وهذا الفعل لا يعنيه، ولذا قسم العلماء الأعمال بالنسبة لهذا الحديث أربعة أقسام:

- أمر يعنيك فعله.

- وأمر لا يعنيك فعله
- وأمر يعنيك تركه
- وأمر لا يعنيك تركه.

فإذا فعلت ما يعنيك وتركت ما لا يعنيك فقد جمعت الحسنيين، أما إذا تركت فعل ما يعنيك فهذا تقصير، وإذا فعلت ما لا يعنيك فهذا فضول، والكمال في فعل ما يعنيك وترك ما لا يعنيك، ولم يبق في عمل الإنسان وحياته قسم خامس بعد هذا.

والعاقل لا يضيع وقته عن أمر يعنيه ولا يفعله، فهذا تفريط في حقه وضياع، والعاقل لا يترك الأمر الذي يعنيه، ولا يتبع ما لا يعنيه ويفعله، وقد ذكر العلماء أن من علامة سخط الله علىٰ العبد أن يشغله بما لا يعنيه خِذلانًا له.

وما اشتغل إنسان بما لا يعنيه إلا ضيع ما يعنيه؛ لأن العمل إما يكون في الحق وإما الباطل، وليس بعد الحق إلا الضلال، فإن شغلت وقتك في الحق وما يعنيك لم يبق عندك وقت لما لا يعنيك، وإن ذهبت إلىٰ ما لا يعنيك فوت وضيعت ما يعنيك.

قال العلماء: أهم ما يعنيك فعل الواجبات، وأهم ما لا يعنيك فعل المحرمات، فمن حسن إسلام المسلم تركه ما لا يجوز له فعله؛ لأنه لا يعنيه، فترك المحرمات والمكروهات، وترك الكبائر والصغائر مما يعني الإنسان تركه، والشخص إذا ترك المحرمات والشبهات والمكروهات يسلم ولو قصَّر في الواجبات، لكن إذا أخذ من هنا، ومن هنا، فقد خلط عملًا سيئًا وآخر صالحًا.

إذاً: هذا الحديث كما يقول العلماء: ربع الإسلام، أو نصفه، أو كله. «من

حسن إسلامه تركه ما لا يعنيه»، هذا منطوقه، ومفهومه المقابل: (فعله ما يعنيه)، وكأن هذا الحديث يضع المقياس للإنسان المسلم في حياته، ليعلم: ماذا يفعل، وماذا يترك.

أمثلة من الواقع لترك ما لا يعني:

لو نظرنا إلىٰ حياة الناس في كل زمان ومكان، نجد الأمثلة علىٰ ذلك، فإذا كنت طالبًا تمشي في الطريق، ووجدت اثنين يتحادثان، وجلست تتسمع لهما، فهل هذا يعنيك؟ هذا لا يعنيك، وقد أضعت وقتًا، وارتكبت إثمًا، ونظر الناس إليك بما لا يليق، وتركت ما لا يعنيك، فلا تتجسس علىٰ أحد، ولا تتبع عورات الناس.

ولو تزوج إنسان ثم سُئل: كم دفع صداقًا؟ ومن المرأة؟ وكيف خطب؟ وكيف؟ وكيف؟ فهذا لا يعنينا.

أو إنسان مات، فتأتي تسأل: كم عنده من الأولاد؟ وكم؟ وكم؟ والعوام يقولون: أردب ما هو لك، لا تحضر كيله، ما ينوبك إلا شيله، وهذا مثل عامي يحذر من التدخل فيما لا يعني.

وإذا رأيت مزارعًا في أرضه يحرثها أو يعمل فيها، فنقول: كيف تحرثها؟ ولأي شيء تحرثها؟ وماذا ستزرع فيها؟ فهذا لا يعنيك، أما إذا كنت تريد أن تشتري أرضًا، وتريد زراعتها، فعند ذلك لك أن تسأل.

وقد أكثر العلماء من الأمثلة علىٰ ترك ما لا يعني، والقاعدة العامة: أن تنظر ماذا سيعود عليك هذا العمل من نفع؟ فإن كان سيعود عليك نفع منه فهذا يعنيك، وإن كان لن يعود عليك منه نفع فهو لا يعنيك، ونفع المسلم قد يكون في دينه، يتعلم علمًا ويعمل به، وقد يكون في بدنه يحفظه ويصونه ويغذيه، أو

يستر عورته وقد يكون في ماله يحفظه ويصونه وينميه، وقد يكون عرضه يصونه عما يدنسه.

في دينك: كأن تتعلم شيئًا تجهله، وأن تعمل بشيء أنت تاركه.

وفي بدنك: أن تعالجه وتحافظ عليه وتطعمه وتكسوه.

وفي مالك: بأن تنميه وتحفظه عن الحرام وغير ذلك.

وفي عرضك: بأن تحفظه وتصونه من مواقف السوء كما علَّمنا ﷺ، فقد ورد (أنه كان معتكفًا في رمضان، وجاءت زوجه صفية رضي الله عنها، فتحدثت عنده ساعة، ثم أرادت أن ترجع، فقام معها ليقلبها إلىٰ بيتها، فرأىٰ رجلين يسرعان الخطىٰ، فوقف ووقفت معه وقال: «علىٰ رسلكما! إنها صفية»، فقالا: سبحان الله! يا رسول الله! فقال: «إني خشيت أن يقذف الشيطان بشيء في نفوسكما فتهلكا»[(١٩٧)].

فيجب علىٰ المسلم ألا يقف في موقف شبهة[(١٩٨)].

فوائد الحديث:

١- حثَّ علىٰ فضيلة ترك الفضول، وأن الفضول مكروه في الإسلام.

٢- الإسلام يحافظ علىٰ شعور الناس وأحاسيسهم لأن الدخول فيما لا يعني المرء يسبب للطرف الآخر إحراجًا، وربما يرد الطرف الآخر علىٰ الذي دخل فيما لا يعنيه بأذى وإحراج فيكون الإحراج واقع لا محالة لأحد الطرفين

---

(١٩٧) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٠) من حديث صفية رضي الله عنها، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(١٩٨) شرح الأربعين النووية لعطية محمد سالم صـ٢٤ وما بعدها.

إن لم يكن لكليهما.

٣- بان حسن عبارة النبي ﷺ حيث اختصر الكلام وذلك لأنه أوتي جوامع الكلم ﷺ.

٤- هذا الحديث يعد مثلًا من الأمثال النبوية، وقد تناوله أهل العلم في كتبهم المصنفة في الأمثال.

الوصية بإكرام شعر الرأس

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «من كان له شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»(١٩٩).

معاني الكلمات:

فليكرمه: أي يعتنِ به ولا يهمله.

المعنى الإجمالي:

تأتي هذه الوصية في إطار حرص الإسلام على نظافة أتباعه وتجميل منظرهم وتحسين هيئتهم، فالإسلام دين النظافة والمسلمون هم عنوان هذا الدين، فالنبي ﷺ يأمر بأنه من كان له شعر فليكرمه بعدم إهماله، ولكن بالاعتدال والتوسط، فلا يكون هو شغله الشاغل ويعتني به دائمًا وأبدًا ويشغل نفسه بالترفه والتنعم، وإنما يكون بالتوسط والاعتدال(٢٠٠).

فوائد الحديث:

١- الحث على إكرام الشعر وتنظيفه.

٢- بيان محاسن الإسلام حيث إنه لم يهمل مظهر الإنسان كما أنه لم يهمل باطن الإنسان.

٣- الرد على المولعين بحضارة الغرب وأنهم حضارة كذا وكذا وأنها

---

(١٩٩) صحيح: أخرجه أبو داود (٤١٦٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢٠٠) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٣/ ٢٧٨) بتصرف واختصار.

حضارة النظافة، فالإسلام سبق هؤلاء بمراحل عديدة وبقرون مديدة، فالإسلام حث علىٰ الغسل وعلىٰ الوضوء خمس مرات في اليوم والليلة، وعلىٰ نظافة المكان والدور والملابس، والتطهر والتطهير، وغير ذلك مما لا يخفىٰ.

الحث على الزواج

عن عَبْدُ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لاَ نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(٢٠١).

معاني الكلمات:

الباءة: مؤنة النكاح.

وجاء: حماية ووقاية من المعاصي والنار.

المعنى الاجمالي:

بما أن التحصن والتعفف واجب، وضدهما محرم، وهو آتٍ من قبل شدة الشهوة مع ضعف الإيمان، والشباب أشد شهوة، خاطبهم النبي ﷺ مرشدًا لهم إلى طريق العفاف، وذلك أن من يجد منهم مؤنة النكاح من المهر والنفقة والسكن، فليتزوج؛ لأن الزواج يغض البصر عن النظر المحرم ويحصن الفرج عن الفواحش، وأغرى من لم يستطع منهم مؤنة النكاح وهو تائق إليه بالصوم، ففيه الأجر، وقمع شهوة الجماع وإضعافها بترك الطعام والشراب، فتضعف النفس وتنسد مجاري الدم التي ينفذ معها الشيطان، فالصوم يكسر الشهوة

(٢٠١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٦٦) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٤٠٠).

كالوجاء للبيضتين اللتين تصلحان المني فتهيج الشهوة[٢٠٢].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الزواج لمن استطاع المؤنة.

٢- الحث علىٰ غض البصر.

٣- الحث علىٰ الحفاظ علىٰ الشباب فهم القوة المحركة للأمة.

٤- الحث علىٰ العفة والفضيلة وذلك بقيام الأسباب المؤدية لذلك كالصيام أو الزواج.

٥- إ:ن الصيام وقاية من النار أو الذنوب.

٦- إن الزواج من أكبر الأسباب المعينة علىٰ غض البصر وحفظ الفرج.

---

(٢٠٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام (٢/ ٤٦).

كتاب الزهد والرقائق

وجوب التمسك بكتاب الله والوصية بآل النبي ﷺ خيرًا

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ الله فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ الله واسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي»(٢٠٣).

معاني الكلمات:

بماء يدعىٰ خمًّا: مكان بين مكة والمدينة بالجحفة.

ثقلين: أمرين عظيمين.

المعنى الاجمالي:

في هذا الحديث: أن النبي ﷺ خطب الناس يوم غدير خم وهو غدير بين مكة والمدينة، فوعد وذكر وحث علىٰ القرآن، وبيَّن أن فيه الشفاء والنور، ثم حث علىٰ أهل بيته فقال: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، ولم يقل: إن أهل بيته معصومون وإن أقوالهم

(٢٠٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٦/ ٢٤٠٨).

كالقرآن يجب أن يعمل بها كما تدعيه الرافضة، فإنهم ليسوا معصومين، بل هم يخطئون كما يخطئ غيرهم ويصيبون كما يصيب غيرهم، ولكن لهم حق قرابة النبي ﷺ كما سبق.

لكن قوله: «أذكركم الله في أهل بيتي»؛ يعني: اعرفوا لهم حقهم ولا تظلموهم ولا تعتدوا عليهم، هذا من باب التوكيد، وإلا فكل إنسان مؤمن له حق على أخيه لا يحق له أن يعتدي عليه ولا أن يظلمه، لكن لآل النبي ﷺ حق زائد على حقوق غيرهم من المسلمين، وإذا كان هذا في حق آل النبي ﷺ، فما بالك بحق الرسول ﷺ؟!

حق الرسول ﷺ أعظم الحقوق بعد حق الله، يجب أن يقدم على النفس والولد والأهل وعلى جميع الناس في المحبة والتعظيم وقبول هديه وسنته ﷺ فهو مقدم على كل أحد ﷺ.

نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين من أتباعه ظاهرًا وباطنًا(٢٠٤).

فوائد الحديث:

١- من السنة حمد الله والثناء عليه في بداية الخطبتين.

٢- استحباب الافتتاح بالكلام بـ«ألا» الدالة على التنبيه أي تنبهوا لما أقوله أيها الناس.

٣- الرد على الصوفية الذين يقولون: إن النبي مخلوق من نور؛ فإنه في الحديث يُقرُّ ﷺ ببشريته.

٤- الحث على التمسك بكتاب الله تعالى.

---

(٢٠٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٣٤٧).

٥- بيان لأوصاف للقرآن منها النور والهدىٰ.

٦- الحث علىٰ مراعاة حقوق آل بيت النبي ﷺ.

وجوب التمسك بسنة النبي ﷺ

عن عبد الرحمن بن عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْر بن حُجْرٍ قالا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بن سَارِيَةَ وهو مِمَّنْ نَزَلَ فيه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة:٩٢]، فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فقال الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رسول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ الله، كَأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فقال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بها وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢٠٥].

معاني الكلمات:

مقتبسين: محصلين للعلم

ذرفت منها العيون: دمعت وسالت.

ووجلت منها القلوب: خافت.

تعهد إلينا: توصي.

عضوا عليها بالنواجذ: الناجذة الضرس الأخير من الفم.

---

(٢٠٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

البدعة: الأمر المحدث في الدين وليس له أصل.

المعنى الإجمالي:

كان العرباض بن سارية رضي الله عنه من الفقراء الذين يحرصون على الجهاد في سبيل الله ولم يكن معهم ظهور يركبونها، فأتوا النبي ﷺ يطلبون منه أن يحملهم فاعتذر لهم؛ لأنه لا يجد ما يحملهم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع؛ لأنهم لم يتمكنوا من المجاهدة مع رسول الله ﷺ.

وقد جاء عبد الرحمن بن عمر السلمي وحجر بن حجر لزيارته وعيادته والاستفادة من علمه، فحدثهم بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ، فقال: (إن الرسول ﷺ وعظهم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون)؛ يعني: حصل التأثر لقلوبهم وعيونهم، فعيونهم بكت، وقلوبهم وجلت، (فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ قالوا: كأنها موعظة مودع)؛ أي: أنهم خشوا أن تكون نهايته قد قربت، فطلبوا منه أن يعهد إليهم، فالإنسان إذا أراد أن يسافر يبين ما يحتاج أن يفعله أهله من ورائه، فيبين لهم ما يريد أن يفعلوه في حال غيبته، فأوصاهم رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة»، وتقوى الله عز وجل هي: أن يجعل الإنسان بينه وبين غضب الله وقاية تقيه منه، وذلك يكون بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فهذه هي التقوى بالمعنى الشرعي، وأما معناها اللغوي فهو أوسع من الشرعي، وهو أن يجعل الإنسان بينه وبين أي شيء مخوف وقاية تقيه منه، فكل ما تخافه فإنك تجعل بينك وبينه وقاية، فالبرد مخوف فتجعل بينك وبينه وقاية بلبس الألبسة التي تقيك منه، والشوك والحصى والرمضاء في الأرض مخوف، فتلبس النعال والخفاف، وكذلك تتخذ البيت من أجل أن تتقي الشمس والبرد.. وهكذا.

ثم أمر ﷺ بعد ذلك بالسمع والطاعة لمن ولاه الله الأمر، فقال: «وإن عبدًا»؛ أي: وإن كان الذي تولىٰ عليكم عبدًا.

وقد أخبر الرسول ﷺ عن أمر سيقع، وهو من دلائل نبوته؛ لأنه يخبر عن الأمور الماضية فتكون واقعة طبقًا لما أخبر به، ويخبر عن الأمور المستقبلة فتقع طبقًا لما أخبر به ﷺ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أنه سيوجد الاختلاف، ومع وجوده فإنه يكون كثيرًا، وهذا الاختلاف -كما هو معلوم- إنما يكون في النحل والعقائد، وفي الاتجاهات المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، وذلك مثل البدع المختلفة التي حصلت في الأمة من التجهم والاعتزال والرفض، وغير ذلك من البدع التي حصلت بعد ذلك طبقًا لما أخبر به الرسول ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا».

وبعد هذا الذي أخبر به الرسول ﷺ من وجود الاختلاف كأن قائلًا يقول: وما طريق السلامة والنجاة من هذه الاختلافات؟ لذلك بين الرسول ﷺ ذلك دون أن يسأل عنه؛ لأنه في ظل وجود هذا الاختلاف لا بد من سلوك طريق مستقيم، فالنبي ﷺ بعد إخباره بهذا الاختلاف أرشد إلىٰ طريق السلامة والنجاة، فقال: «فعليكم» و«وإياكم»؛ فرغَّب ورهَّب.. رغَّب في السنن، ورهَّب من البدع، فأرشد عليه الصلاة والسلام إلىٰ السنن ورغب فيها، ثم حذر من البدع المخالفة لسنة الرسول ﷺ.

فقال: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ»، وهذا هو الذي رغب فيه الرسول ﷺ، وهو اتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم، وهذا يدل علىٰ أن طريق العصمة والسلامة والنجاة عند هذا الاختلاف أن يكون الإنسان علىٰ ما

كان عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم.

والخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

والحديث يدل علىٰ فضل هؤلاء الخلفاء رضي الله عنهم، وعلىٰ فضل خلافتهم، حيث وصفها بأنها راشدة، فهؤلاء الخلفاء راشدون ومهديون؛ أي: أنهم علىٰ هدىٰ ورشاد، وخلافتهم خلافة نبوة، كما جاء في حديث سفينة مولىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام رفعه: «خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»(٢٠٦)، فخلافتهم خلافة نبوة. وفي قوله: «وعضوا عليها بالنواجذ»: كناية عن شدة التمسك والأخذ بها، وعدم التهاون والتفريط بشيء منها، فعلىٰ الإنسان أن يُعوِّل علىٰ السنن، وأن يحرص عليها كما يحرص علىٰ الشيء الذي يعض عليه بالنواجذ، ثم إنه بعد أن رغب في السنن حذَّر من البدع، فقال: «وإياكم ومحدثات الأمور»، وهي البدع التي تحدث في دين الله وليست منه، وفي حديث عائشة: «من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد»(٢٠٧)؛ أي: فهو مردود عليه، فقوله: «إياكم ومحدثات الأمور»؛ أي: احذروها وابتعدوا عنها ولا تأخذوا بها، واكتفوا واقتصروا علىٰ ما جاء في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه صحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

وذلك لأن كل محدثة في دين الله بدعة، «وكل بدعة ضلالة»، وهذا من جوامع كلمه ﷺ، فالبدع المحدثة في دين الله كلها ضلالة، فهذا حكم عام

---

(٢٠٦) حسن صحيح: أخرجه ابو داود (٤٦٤٦) من حديث سفينة رضي الله عنه، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح.

(٢٠٧) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧/ ١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يشمل كل ما أحدث في الدين، فهي كلها ضد الهدى، والهدى إنما هو في الكتاب والسنة، وما جاء عن سلف هذه الأمة وهم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة). فاللفظ عامٌّ باقٍ على عمومه فلا يستثنى منه شيء، فكل البدع ضلالة، فلا يقال: إن هناك بدعة حسنة؛ لأنه يصادم قول الرسول ﷺ: «فإن كل بدعة ضلالة»، وقد تجد بعض المبتدعة، وبعض من يُسهل عليهم الأخذ بالبدع، أو التهاون بشأنها يقولون: هذه بدع حسنة!

أما ما جاء في الحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فهو ليس من هذا القبيل، وإنما المقصود به: أن يحيي سنة قد أميتت، فمثلًا: أن يأتي إلى بلد لا توجد فيه تلك السنة بل قد أهملت وأميتت فيحييها، فيكون بذلك محييًا لها لا محدثًا، أو يحمل على ما جاء في سبب الحديث، وهو: أن جماعة من مضر جاءوا وعليهم البؤس والفاقة وشدة الحاجة، ووجوههم شاحبة، وثيابهم بالية، والرسول ﷺ كما وصفه الله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، فتأثر صلوات الله وسلامه عليه، فجمع الناس وحثهم على الصدقة والإحسان إلى هؤلاء، فجاء رجل من الأنصار معه صرة يكاد يعجز عن حملها فوضعها، وتتابع الناس وراءه، فعند ذلك قال عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها»[٢٠٨].

فوائد الحديث:

١- أوصى النبي ﷺ بتقوى الله؛ لأن تقوى الله هي أساس الدين، فما

---

(٢٠٨) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٦/ ٢٥٦) وما بعدها بتصرف.

أرسل الرسل وأنزلت الكتب إلا لتقوىٰ الله جل وعلا والبعد عما يغضبه سبحانه.

٢- حرص الصحابة رضوان الله عليهم علىٰ النجاة فطلبوا من النبي ﷺ ما ينفعهم.

٣- وجوب الطاعة لولي الأمر ولو كان عبدًا حبشيًّا؛ لأن ذلك أدعىٰ لعدم سفك الدماء والاختلاف.

٤- الحض علىٰ اتباع سنة النبي ﷺ، وكذلك اتباع سنن الخلفاء الراشدين المهديين.

٥- في الحديث التحذير من البدع والمحدثات، وأن كل بدعة ضلالة.

٦- الرد علىٰ من يقول: إن البدع نوعان: حسنة وسيئة، فالحديث صريح بأن كل البدع ضلالة.

وصية جامعة

عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أمرني خليلي ﷺ بِسَبْعٍ؛ أمرني بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني وَلاَ أَنْظُرَ إلى من هو فَوْقِي، وأمرني أن أَصِلَ الرَّحِمَ وإن أَدْبَرَتْ، وأمرني أن لاَ أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وأمرني أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وإن كان مُرًّا، وأمرني أن لاَ أَخَافَ في الله لومه لاَئِمٍ، وأمرني أن أُكْثِرَ من قَوْلِ لاَ حَوْلَ ولاقوة الا بِالله فَإِنَّهُنَّ من كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ(٢٠٩).

معاني الكلمات:

الدنو منهم: القرب منهم.

أدبرت: ولَّت، والمقصود: إن هم قطعوها.

لومة لائم: عذل عاذل، وعتاب معاتب.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث سبعة أوامر من النبي ﷺ للأمة في شخص أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأمر الأول: حب المساكين والدنو منهم: أي حبهم في الله والتقرب منهم، ولازم ذلك الشفقة عليهم، والقيام على أمورهم، ورعاية شئونهم.

ومن فوائد حب المساكين، يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة؛ منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن نفعهم لا يرجى غالبًا، فأما

(٢٠٩) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨١١).

من أحسن إليهم ليمدح بذلك فما أحسن إليهم حبًّا لهم، بل حبًّا لأهل الدنيا، وطلبًا لمدحهم له بحب المساكين.

ومنها: أنها تزيل الكبر، فإن المستكبر لا يرضىٰ بمجالسة المساكين[٢١٠].

الأمر الثاني: النظر إلىٰ من هو أدنىٰ منه لا إلىٰ من فوقه: أي في الأمور الدنيوية فينظر الإنسان إلىٰ من هو أقل منه في المال أو المنصب فإن ذلك أدعىٰ إلىٰ التحقق من نعمة الله عليه وشكر الله عليها، أما النظر في مثل هذه الأمور لمن هو فوقه فإنه يكون داعيًا إلىٰ حسد من هو فوقه والحقد عليه، ونسيان العبد نعمة ربه عليه.

الأمر الثالث: صلة الرحم وإن أدبرت: أي ولت بأن غابت أو بعدت والمراد أهلها ويؤيده حديث: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام»[٢١١]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي وإن قطعت علىٰ ما ورد «صل من قطعك» وأسند الإدبار إلىٰ الرحم مجازًا؛ لأنه لصاحبها.

الأمر الرابع: عدم سؤال أحد شيئًا: أي لا أطلب أحدًا شيئًا، ومن دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

الأمر الخامس: قول الحق ولو كان مرًّا: أي أتكلم به وإن كان مرًّا علىٰ السامع أو صعبًا علي.

الأمر السادس: ألا يخاف من الله لومة لائم: أن لا أخاف ظاهرًا أو باطنًا

---

[٢١٠] اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ لابن رجب الحنبلي (١٧).

[٢١١] حسن: اخرجه الشهاب في مسنده (٦٥٤) من حديث سويد بن عامر الأنصاري، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣٨).

في الله؛ أي: في حقه أو في سبيله ولأجله ملامة أحد من خلقه.

الأمر السابع: الإكثار من قول لا حول ولا قوة إلا بالله: للاستعانة على الطاعة وإصابة المصيبة والاستعانة على دفع المعصية خصوصًا العجب والغرور والمخيلة؛ فإنهن -أي هذه الكلمات- من كنز تحت العرش[٢١٢].

فوائد الحديث:

١- الحث على حب المساكين والدنو منهم والرأفة بهم والرفق بهم.

٢- الحث على النظر على من هو دون الشخص ولا ينظر من هو فوقه فإن ذلك أدعى للسخط.

٣- الحث على قول الحق ولو كان مرًّا على بعض الناس أو حتى على نفسه.

٤- الحث على الخوف من الله مهما كان بطش الذي كان أمامك فإنه من الذين مصيرهم إلى الفناء.

٥- الأمر بصلة الرحم ولو أدبر أصحابها لك وحاربوك.

٦- الحض على عدم سؤال أحد، والمراد مما يجعل صاحبه في ذل واستكانة، وإنما يجوز إن كان لغير ذلك.

٧- الحض على قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن كثرتها أدعى لتوكل الإنسان على ربه حق التوكل والتبرؤ من كل حول وقوة إلا به.

٨- بيان حرص النبي ﷺ على تعليم الصحابة بما يصلح دنياهم وآخرتهم.

---

(٢١٢) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (١٥/ ١٦٧،١٦٨) بتصرف واختصار.

الوصية بتقوى الله وحسن الخلق

عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ الناس بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(٢١٣).

معاني الكلمات:

حيثما كنت: أي في أي مكان كنت.

تمحها: تزيل أثرها.

خالق الناس بخلق حسن: عاملهم وتخلق معهم بالخلق الحسن الجميل.

المعنى الإجمالي:

أوصى النبي ﷺ أبا ذر بثلاث وصايا عظيمة؛ **الوصية الأولى**: قال: «اتق الله حيثما كنت»: وتقوى الله هي: اجتناب المحارم وفعل الأوامر. هذه هي التقوى: أن تفعل ما أمرك الله به إخلاصًا لله واتباعًا لرسول الله ﷺ، وأن تترك ما نهى الله عنه امتثالًا لنهي الله عز وجل وتنزهًا عن محارم الله.

مثاله: تقوم بما أوجب الله عليك في أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي الصلاة فتأتي بها كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها وتكملها بالمكملات، فمن أخلَّ بشيء من شروط الصلاة أو واجباتها فإنه لم يتق الله، بل نقص من تقواه ما نقص من المأمور.

في الزكاة: تقوى الله فيها أن تحصي جميع أموالك التي فيها الزكاة وتخرج

(٢١٣) صحيح: أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

زكاتك طيبة بها نفسك من غير بخل ولا تقتير ولا تأخير فمن لم يفعل فإنه لم يتق الله.

في الصيام: تأتي بالصوم كما أمرت مجتنبًا فيه اللغو والرفث والصخب والغيبة والنميمة وغير ذلك مما ينقص الصوم ويزيل روح الصوم ومعناه الحقيقي وهو الصوم عما حرم الله عز وجل، وهكذا بقية الواجبات تقوم بها طاعة لله وامتثالًا لأمره وإخلاصًا له واتباعًا لرسوله. وكذلك في المنهيات؛ تترك ما نهى الله عنه امتثالًا لنهي الله عز وجل حيث نهاك فانتهي.

الوصية الثانية: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»؛ أي: إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة، فإن الحسنات يذهبن السيئات، ومن الحسنات بعد السيئات: أن تتوب إلى الله من السيئات، فإن التوبة من أفضل الحسنات، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وكذلك الأعمال الصالحة تكفر السيئات كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»[٢١٤]، وقال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»[٢١٥]، فالحسنات يذهبن السيئات.

الوصية الثالثة: «خالق الناس بخلق حسن»، والوصيتان الأوليان في معاملة الخالق، والثالثة في معاملة الخلق، أن تعاملهم بخلق حسن تحمد عليه ولا تذم

---

(٢١٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٦/ ٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢١٥) صحيح: أخرجه النسائي (٢٦٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

فيه، وذلك بطلاقة الوجه، وصدق القول، وحسن المخاطبة، وغير ذلك من الأخلاق الحسنة، وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضل الخلق الحسن، حتىٰ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»، وأخبر أن أولىٰ الناس به ﷺ وأقربهم منه منزلة يوم القيامة أحاسنهم أخلاقًا، فالأخلاق الحسنة مع كونها مسلكًا حسنًا في المجتمع ويكون صاحبها محبوبًا إلىٰ الناس هي فيها أجر عظيم يناله الإنسان في يوم القيامة. فاحفظ هذه الوصايا الثلاث من النبي ﷺ. والله الموفق[٢١٦].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ تقوىٰ الله في كل مكان.

٢- استحباب إتباع السيئة بالحسنة حتىٰ تمحوها.

٣- الحث علىٰ الخلق الحسن للناس.

٤- الحث علىٰ الخلق الحسن لكل أحد ولو كان ذميًّا؛ فلفظ الناس يشملهم.

---

(٢١٦) شرح رياض الصالحين، حديث رقم (٦١).

الحث على الصدق

عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً»(٢١٧).

معاني الكلمات:

عليكم: الزموا.

الصدق: مطابقة الخبر الواقع.

البر: كثرة الخير.

يتحرى الصدق: يقصده في جميع أحواله.

الكذب: مخالفة الخبر الواقع.

الفجور: الخروج عن طاعة الله.

المعنى الاجمالي:

يأمر النبي ﷺ بلزوم الصدق وعدم الحيدة عنه، والصدق يكون باللسان وبالأركان، فمتى طابق الخبر الواقع فهو صدق وهذا باللسان، ومتى طابقت أعمال الجوارح ما في القلب فهي صدق وهذا صدق بالأقوال.

---

(٢١٧) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٥/ ٢٦٠٧) بهذا اللفظ، وهو عند البخاري أيضًا.

ثم بين النبي عليه الصلاة والسلام عندما أمر بالصدق عاقبتهم فقال: «إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة».

والبر من نتائج الصدق، وقوله: «وإن البر يهدي إلىٰ الجنة» فصاحب البر -نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منه- يهديه بره إلىٰ الجنة، والجنة غاية كل مطلب؛ ولهذا يؤمر الإنسان أن يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

والصديق في المرتبة الثانية من الخلق من الذين أنعم الله عليهم كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:٦٩]، فالرجل الذي يتحرىٰ الصدق يكتب عند الله صديقًا، ومعلوم أن الصديقية درجة عظيمة لا ينالها إلا أفذاذ من الناس، وتكون في الرجال وتكون في النساء، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:٧٥]، وأفضل الصديقين علىٰ الإطلاق أصدقهم، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة الذي استجاب للنبي ﷺ حين دعاه إلىٰ الإسلام ولم يحصل عنده أي تردد وأي توقف، بمجرد ما دعاه الرسول إلىٰ الإسلام أسلم، وصدَّق النبي ﷺ حين كذَّبه قومه، وصدَّقه حين تحدث عن الإسراء والمعراج وكذَّبه الناس...

وأما الكذب فإنه قال: «وإياكم والكذب»؛ أي: احذروا الكذب، وهو الإخبار بما يخالف الواقع سواء كان بالقول أو بالفعل.

فإذا قال قائل: ما اليوم؟ فقلت: اليوم يوم الخميس، أو يوم الثلاثاء؛

فكذب لأنه لا يطابق الواقع؛ لأن اليوم الأربعاء -مثلًا-.

والمنافق كاذب؛ لأن ظاهره يدل علىٰ أنه مسلم وهو كافر فهو كاذب بفعله.

وعاقبة الكذب الخروج عن طاعة الله؛ لأن الإنسان يفسق ويتعدىٰ طوره ويخرج عن طاعة الله إلىٰ معصيته وأعظم الفجور: الكفر.

فإن الكفرة فجرة كما قال الله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس:٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المطففين:٧-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٤]، فالكذب يهدي إلىٰ الفجور والفجور يهدي إلىٰ النار.

والكذب من الأمور المحرمة، بل قال بعض العلماء: إنه من كبائر الذنوب؛ لأن الرسول ﷺ توعده بأنه يكتب عند الله كذابًا.

ومن أعظم الكذب ما يفعله الناس اليوم يأتي بالمقالة كذبًا، لكن من أجل أن يضحك الناس، وقد جاء في الحديث الوعيد علىٰ هذا، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «ويل لمن حدث فكذب ليضحك به القوم، ويل له، ثم ويل له»(٢١٨)، وهذا وعيد علىٰ أمر سهل عند كثير من الناس.

فالكذب كله حرام وكله يهدي إلىٰ الفجور ولا يستثنىٰ منه شيء، ولكن ورد في الحديث أنه يستثنىٰ من ذلك ثلاثة أشياء في الحرب، والإصلاح بين

---

(٢١٨) حسن: أخرجه أبو داود (٤٩٩٠) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

الناس، وحديث المرأة زوجها وحديثه إياها.

ولكن بعض أهل العلم قال: إن المراد بالكذب في هذا الحديث التورية وليس الكذب الصريح، وقال: التورية قد تسمىٰ كذبًا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين فيهن في ذات الله تعالىٰ، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، وواحدة في شأن سارة...»[٢١٩] الحديث، وهو لم يكذب، إنما ورَّىٰ تورية هو فيها صادق.

وسواء كان هذا أو هذا فإن الكذب لا يجوز إلا في هذه الثلاث علىٰ رأي كثير من أهل العلم.

وأشد شيء في الكذب أن يكذب ويحلف ليأكل أموال الناس بالباطل، مثل: أن يدعي عليه بحق ثابت فينكر ويقول: والله ما لك عليَّ حق، أو يدعي ما ليس له فيقول: لي عندك كذا وكذا وهو كاذب، فهذا إذا حلف علىٰ دعواه وكذب فإن ذلك هو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم، ثم تغمسه في النار والعياذ بالله.

وثبت عن النبي ﷺ قال: «من حلف علىٰ يمين صبر هو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»[٢٢٠]، فالحاصل أن الكذب حرام ولا يجوز للإنسان أن يكذب مطلقًا إلا في المسائل الثلاث علىٰ الخلاف

(٢١٩) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٥٨) ومسلم (١٥٤/ ٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٢٠) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٥٤٩) ومسلم (٢٢٠/ ١٣٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

السابق[٢٢١].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الصدق.

٢- النهي عن الكذب وذمه.

٣- الصدق سبب لدخول الجنة كما أن الكذب سبب لدخول النار.

٤- بيان لصفة الصديق وهو الذي يصدق ويتحرىٰ الصدق.

٥- الإشارة إلىٰ اللوح المحفوظ لقوله: «حتىٰ يكتب عند الله صديقًا».

٦- الإشارة إلىٰ أن الأعمال تكتب لقوله: «حتىٰ يكتب».

(٢٢١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٥٤).

الحث على الصبر عند المصيبة

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: فَتَحَ رسول الله ﷺ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الناس، أو كَشَفَ سِتْرًا فإذا الناس يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ فَحَمِدَ الله على ما رَأَى من حُسْنِ حَالِهِمْ ورجاء أَنْ يَخْلُفَهُ الله فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ فقال: «يأيها الناس، أَيُّمَا أَحَدٍ من الناس أو من الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عن الْمُصِيبَةِ التي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فإن أَحَدًا من أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عليه من مُصِيبَتِي»(٢٢٢).

معاني الكلمات:

المصيبة: كل مكروه يحل بالإنسان.

فليتعز بمصيبتي: يسلي نفسه ويُصبِّرها بها.

المعنى الاجمالي:

إن أعظم مصيبة منيت بها الأمة هي وفاة الحبيب المصطفى ﷺ، تلك المصيبة التي طار لأجلها لب الصحابة رضي الله عنهم.

ووقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها. قال أنس: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله

---

(٢٢٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٥٩٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

ﷺ، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه. يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه. يا أبتاه، إلىٰ جبريل ننعاه.

ووقف عمر بن الخطاب يقول: إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلىٰ ربه كما ذهب موسي بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات. ووالله، ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات.

وأقبل أبو بكر علىٰ فرس من مسكنه بالسُّنْح حتىٰ نزل، فدخل المسجد. فلم يكلم الناس، حتىٰ دخل علىٰ عائشة فتيمم(٢٢٣) رسول الله ﷺ، وهو مغشىٰ بثوب حِبَرَة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبَّله وبكىٰ، ثم قال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّهَا.

ثم خرج أبو بكر، وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبىٰ عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد. من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى

---

(٢٢٣) قصد.

تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: والله، ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعرفت أنه الحق، فعقرت حتىٰ ما تُقِلُّني رجلاي، وحتىٰ أهويت إلىٰ الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات[٤٢٤].

فموت النبي ﷺ أعظم مصيبة أصيب بها المؤمنون ولكن لا يشعر بذلك إلا أصحاب القلوب المؤمنة، المحبة لنبيها، فالنبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٤٢٥]، فإذا فقد الإنسان ولده أو والده أو حبيبًا إلىٰ قلبه من أهله فلا شك أنها مصيبة ثقيلة عليه، ففقد النبي ﷺ أعظم مصيبة وأشد بلاءً؛ فهو من أخرجنا به الله من الظلمات إلىٰ النور، ومن الضلالة إلىٰ الهداية، يصف أنس رضي الله عنه الناس يوم فقْد النبي ﷺ فيقول: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتىٰ أنكرنا قلوبنا[٤٢٦].

قال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه و يقول: يا عبد الله! اتق الله فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

اصــبر لكــل مــصيبة و تجلــد

و اعلــم بــأن المــرء غيــر مخلــد

---

(٤٢٤) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري (٤٧٥،٤٧٦).

(٤٢٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٦٩/ ٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤٢٦) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦١٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

واصبر كما صبر الكرام فإنها
نوب تنوب اليوم تكشف فى غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها
فاذكر مصابك بالنبى محمد

ولبعضهم:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا
فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا فمن
لم يمت فى يومه مات فى الغد

كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين؛ لما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنَّ إليه و صاح كما يصيح الصبي فنزل إليه فاعتنقه فجعل يهدي كما يهدي الصبي الذي يسكن عند بكائه فقال: لو لم أعتنقه لحن إلي يوم القيامة، كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه، وروي أن بلالًا كان يؤذن بعد وفاة النبي ﷺ قبل دفنه فإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك بلال الأذان(٢٢٧).

فوائد الحديث:

١- حث الولاة على تفقد الرعية، فالنبي ﷺ تفقد رعيته من باب له

---

(٢٢٧) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (١٦٠،١٦١).

وكشف الستر فرأى ما يسره فحمد الله جل وعلا.

٢- إن أعظم مصيبة في الدنيا هي مصيبة مرض النبي ﷺ وموته.

٣- إشارة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه حيث قالت عائشة: (فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم أي بالصلاة خلف أبي بكر رضي الله عنه).

٤- يستحب لمن أصيب بمصيبة أن يتذكر مصيبته في موت النبي ﷺ فهي أعظم من مصيبة أي مصاب.

وجوب الحياء من الله

عن عبد الله بن مَسْعُودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيُوا من الله حَقَّ الْحَيَاءِ»، قال: قُلْنَا: يا رَسُولَ الله إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قال: «ليس ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ من الله حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وما وَعَى، وَالْبَطْنَ وما حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذلك فَقَدْ اسْتَحْيَا من الله حَقَّ الْحَيَاءِ»(٢٢٨).

معاني الكلمات:

تحفظ الرأس وما وعىٰ: أي ما فيه من أذن وعين ولسان وأنف عن المحرمات.

والبطن وما حوىٰ: أي ما اتصل به من الرجلين واليدين والفرج والقلب.

ولتذكر الموت والبلىٰ: يعني ما يصير بعد ذلك من العظام البالية -المفتتة-.

المعنى الاجمالي:

أمر النبي ﷺ بالحياء من الله حياءً ثابتًا لازمًا صادقًا، قاله المناوي. وقيل: أي اتقوا الله حق تقاته، (قالوا: إنا نستحي): قال القاري: لم يقولوا حق الحياء اعترافًا بالعجز عنه، (والحمد لله) علىٰ توفيقنا له، «قال: ليس ذلك»؛ أي: ليس حق الحياء من الله تعالىٰ ما تحسبونه.

---

(٢٢٨) صحيح: أخرجه الترمذي (٧٩٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

والحياء من الله يكون بأمور:

منها: «أن تحفظ الرأس»؛ أي: عن استعماله في غير طاعة الله بأن لا تسجد لغيره ولا تصلي للرياء ولا تخضع به لغير الله ولا ترفعه تكبراً علىٰ عباد الله. «وما وعىٰ» من الوعي وهو الحفظ أي ما جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن عما لا يحل.

ومنها: حفظ البطن عن أكل الحرام «وما حوىٰ»؛ أي: ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالىٰ.

ومنها: ذكر الموت والبلىٰ، و(البِلىٰ) بكسر الباء من بلىٰ الشيء إذا صار خلقًا متفتتًا؛ يعني: وليذكر صيرورته في القبر عظامًا بالية؛ لأن من ذكر هذا هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة وأهمه ما يجب عليه من طلب الآجلة

ومنها: تك زينة الدنيا؛ لقوله: «ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا»: فإنهما لا يجتمعان علىٰ وجه الكمال حتىٰ للأقوياء، قاله القاري. وقال المناوي: لأنهما ضَرَّتان فمتىٰ أرضيت أحديهما أغضبت الأخرىٰ.

فمن فعل جميع ما ذكر فقد استحيا من الله حق الحياء، قال الطيبي: المشار إليه جميع ما سبق فمن أهمل من ذلك شيئًا لم يخرج من عهدة الاستحياء، فظهر من هذا أن جبلة الإنسان وخلقته من رأسه إلىٰ قدمه ظاهره وباطنه معدن العيب ومكان المخازي، وأن الله ﷻ هو العالم والواقف علىٰ ما ينشأ منها من القبائح، فحق الحياء أن يستحي منه ويصونها عما يعاب فيها[٢٢٥].

---

[٢٢٥] مرقاة المفاتيح (٥/ ٢٩٨) وما بعدها بتصرف يسير.

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ الحياء من الله.

٢- بيان أن الحياء من الله يتطلب حفظ الرأس وما فيه من أعضاء، والبطن وما يحتويه من أطراف عن كل شرٍّ وحرام.

٣- الحث علىٰ تذكر الموت.

٤- الحث علىٰ ترك زينة الدنيا؛ لأن الاغترار بزينة الدنيا غفلة عن الله تعالىٰ.

استحباب الوقف لله تعالىٰ

عَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا». قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ[٢٣٠].

معاني الكلمات:

يستأمره فيها: يستشيره في التصرف بها.

أصبت أرضًا بخيبر: اشتريت بها أرضًا.

خيبر: بلاد شمالي المدينة تبعد عنها ١٦٠ كم، لا تزال عامرة بالمزارع والسكان، وكانت مسكنًا لليهود حتىٰ فتحها النبي ﷺ عام سبع فأقرهم علىٰ فلاحتها حتىٰ أجلاهم عمر في خلافته. وأرض عمر هذه اسمها (تَمْغ) بفتح فسكون اشتراها من أرض خيبر.

أنفس: أثمن وأغلىٰ.

حبست أصلها: جعلته وقفًا فلا يتصرف فيه.

---

(٢٣٠) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧٣٧) ومسلم (١٥/ ١٦٣٢).

في الرقاب: أي: في إعتاق العبيد.

ابن السبيل: المسافر.

لا جناح: لا حرج ولا إثم.

المتمول: المتخذ مالًا أكثر من حاجته.

المعنى الإجمالي:

أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرضًا بخيبر، قدرها مائة سهم، هي أغلى أمواله عنده؛ لطيبها وجودتها، كانوا رضي الله عنهم يتسابقون إلى الباقيات الصالحات؛ فجاء رضي الله عنه إلى النبي ﷺ طمعًا في البر المذكور في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، يستشيره في صفة الصدقة بها لوجه الله تعالى؛ لثقته بكمال نصحه. فأشار عليه بأحسن طرق الصدقات، وذلك بأن يحبس أصلها ويقفه فلا يتصرف به ببيع، أو إهداء، أو إرث أو غير ذلك من أنواع التصرفات، التي من شأنها أن تنقل الملك، أو تكون سببًا في نقله، وتصدق بها في الفقراء والمساكين، وفي الأقارب والأرحام، وأن يَفُك منها الرقاب بالعتق من الرق، أو بتسليم الديات عن المستوجبين، وأن يساعد بها المجاهدين في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصر دينه، وأن يطعم المسافر الذي انقطعت به نفقته في غير بلده، ويطعم منها الضيف أيضًا، فإكرام الضيف من الإيمان بالله تعالى.

وبما أنها في حاجة إلى من يقوم عليها ويتعاهدها بالري والإصلاح، فقد رفع الحرج والإثم عمن وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف، فيأكل ما يحتاجه. ويطعم منها صديقًا غير متخذ منها مالًا زائدًا عن حاجته، فهي لم تجعل إلا

للإنفاق في طرق الخير والإحسان، لا للتمول والثراء[٢٣١].

فوائد الحديث:

١- بيان لحسن إسلام عمر وفطنته حيث يشاور النبي ﷺ حتى فيما يخصه من الأعمال الدنيوية.

٢- الحث على الوقف وأنه من الصدقات الجارية.

٣- بيان أن الوقف لا يجوز أن يوهب ولا يباع ولا يورث.

٤- بيان أنه يجوز لصاحب الوقف أن يأكل منها بالمعروف.

---

[٢٣١] تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام (٢/ ١٧، ١٨).

الحث على العمل ولو قامت الساعة

عن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فإن اسْتَطَاعَ أن لاَ يَقُومَ حتى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»(٢٣٢).

معاني الكلمات:

قامت الساعة: حدثت أشراطها.

الفسيلة: النخلة الصغيرة.

يغرسها: يضعها في الأرض.

المعنى الإجمالي:

قوله: «إن قامت الساعة»؛ أي: القيامة، «وفي يد أحدكم فسيلة» نخلة صغيرة «فإن استطاع أن لا يقوم» من مكانه «حتىٰ يغرسها فليغرسها» ندبًا، وأراد بقيام الساعة أماراتها، بدليل حديث: «إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرسها فإن للناس عيشًا بعد»، ومقصوده الأمر بالغرس لمن يجيء بعد وإن ظهرت الأشراط ولم يبق من الدنيا إلا القليل(٢٣٣).

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ العمل حتىٰ ولو قرب قيام الساعة.

---

(٢٣٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٤).

(٢٣٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٧٥٦).

٢- الإشارة إلىٰ فضل غرس النخل.

٣- الحث علىٰ المبادرة إلىٰ العمل وعدم الكسل قبل أن يفوت الأوان.

الغنى غنى النفس

عَنْ أبي هُرِيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ الغِنى ليسَ عَنْ كَثْرَةِ العرضِ، وَلكنَّ الغِنى غِنَى النَّفسِ، وَإنَّ اللهَ عز وجل يُوفي عبدَه مَا كَتَبَ لَهُ مِنَ الرزقِ فَأَجْمِلُوا في الطلبِ، خُذوا مَا حلَّ ودَعُوا ما حَرمَ»[٣٠٤].

معاني الكلمات:

العرض: ما يطرأ ويزول من متاع الدنيا قلَّ أو كثر.

يوفي عبده ما كتب له من الرزق: يعطيه إياه كاملًا.

فأجملوا في الطلب: اقتصدوا فيه.

ما حلَّ: الحلال.

دعوا: اتركوا.

ما حرم: الحرام.

المعنى الإجمالي:

ليس الغنىٰ الحقيقي في هذه الدنيا هو جمع حطامها والإكثار من أمتعتها؛ لأن كل ذلك إلىٰ زوال، فإما أن يزول عنك وأنت في الدنيا، وإما أن تتركه أنت وترحل من هذه الدنيا، لذلك فالغنىٰ الحقيقي هو غنىٰ النفس، وغنىٰ النفس يكون باستغنائها بالله عز وجل ورضاها بما رزقها الله سبحانه وتعالى لأن الله عز وجل تكفل بإيفاء كل عبد رزقه لا يبخس منه شيئًا.

---

(٣٠٤) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ (٦٥٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠١)

ثم أرشد النبي ﷺ إلىٰ ما يجب علىٰ الناس فعله فقال: «فأجملوا في الطلب»؛ أي: اطلبوا الرزق طلبًا رفيقًا، وبيَّن كيفية الإجمال بقوله: «خذوا ما حل» لكم تناوله، «ودعوا»؛ أي: اتركوا «ما حرم» عليكم أخذه، ومدار ذلك علىٰ اليقين، فإن المرء إذا علم أن له رزقًا قُدِّر له لا بد له منه؛ علم أن طلبه لما لم يقدر عناء لا يفيد إلا الحرص والطمع المذمومين فقنع برزقه، والعبد أسير القدرة سليب القبضة، وأفعاله تبعٌ لفعل الله به، فإنها إنما تكون بالله والعبد مصروف عن نظره إلىٰ أفعاله معترف بعجزه مقر باضطراره، عالم بافتقاره، والدنيا حجاب الآخرة، ومن كشف عن بصر قلبه رأىٰ الآخرة بعين إيقانه، ومن نظر إلىٰ الآخرة زهد في الدنيا، إذ الإنسان حريص والنفس داعية. قيل لابن عبد العزيز لما ولي الخلافة: زهدت في الدنيا! فقال: إن لي نفسًا تواقة تاقت إلىٰ أعظم مناصب الدنيا فلما نالت تاقت إلىٰ مناصب الآخرة[٤٣٥].

فوائد الحديث:

١- الحث علىٰ طلب الرزق الحلال.

٢- أن الرزق من القدر وأنه مكتوب علىٰ كل إنسان رزقه.

٣- النهي عن أكل الحرام.

٤- أن الرزق قد يتأخر بعض الشيء فلا يكون هذا باعثًا علىٰ أكل الحرام.

---

(٤٣٥) فيض القدير (٣/ ٢٠٦، ٢٠٧).

الوصية بالإياس بما في أيدي الناس

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جَاء رجلٌ إلى النَّبي ﷺ فَقَالَ: يا رسولَ الله أوْصِني وأوْجِز، فَقَال لَه النَّبيُّ ﷺ: «عَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاس»[٢٣٦].

معاني الكلمات:

الإياس: من اليأس؛ أي: لا تطمع فيما في أيدي الناس.

المعنى الإجمالي:

أوصىٰ النبي ﷺ ذلك الرجل بقطع الطمع عما في أيدي الناس، والقناعة والرضىٰ بالمقسوم؛ فهذا هو الغنىٰ المحمود المعتبر[٢٣٧].

يقول النبي ﷺ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ الله لك تَكُنْ أَغْنَىٰ الناس»؛ لأنه في هذه الحالة يكون مستغنيًا بالله عمن سواه، وهذا هو الغنىٰ الحقيقي، قال النبي ﷺ: «ليس الغنىٰ عن كثرة العرض إنما الغنىٰ غنىٰ النفس»، أما من عوَّد نفسه النظر إلىٰ ما في أيدي الناس والتطلع إلىٰ ما عندهم يكون بذلك قد فتح باب شرور علىٰ نفسه؛ مثل: كره الناس له، وقد قال النبي ﷺ: «ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»، وأيضًا الطمع، والطمع فيما في أيدي الخلق انقطاع عن الله ومن

---

(٢٣٦) حسن لغيره: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٣٢): حسن لغيره.

(٢٣٧) فيض القدير (٥/ ٥٤٤).

انقطع عنه خذل وخسر[٢٣٨].

فوائد الحديث:

١- الحث على الزهد في الدنيا.

٢- عدم التطلع إلى ما عند الغير.

٣- الرضا بما يهبه الله للعبد.

---

(٢٣٨) فيض القدير (٢/ ٦٧٢).

الوصية بالزهد في الدنيا

عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رَجُلٌ، فقال: يا رَسُولَ الله، دُلَّنِي على عَمَلٍ إذا أنا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي الناس! فقال رسول الله ﷺ: «ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله، وَازْهَدْ فِيمَا في أَيْدِي الناس يُحِبُّوكَ»(٢٣٩).

معاني الكلمات:

دلني: أرشدني.

الزهد: الإعراض عن الشيء وعدم الرغبة فيه.

المعنى الاجمالي:

اعلم أن رسول الله ﷺ قد حث على التقلل من الدنيا والزهد فيها وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وقال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وفي حديث آخر: «إن الزاهد في الدنيا يريح قلبه في الدنيا والآخرة، والراغب في الدنيا يتعب قلبه في الدنيا والآخرة».

واعلم أن من في الدنيا ضيف وما في يده عارية، وأن الضيف مرتحل، والعارية مردودة، والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وهي مبغضة لأولياء الله محبية لأهلها، فمن شاركهم في محبوبهم أبغضوه، وقد أرشد رسول الله ﷺ السائل إلى تركها بالزهد فيها، ووعد على ذلك حب الله تعالى، وأرشده إلى الزهد فيما في أيدي الناس إن أراد محبة الناس له، وترك حب الدنيا فإنه

(٢٣٩) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

ليس في أيدي الناس شيء يتباغضون عليه ويتنافسون فيه إلا الدنيا.

وقال ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه: جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه: شتت الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»، السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على بالية لا ينفد عذابها[٢٤٠].

فوائد الحديث:

١- الزهد في الدنيا سبب لمحبة الله.

٢- استحباب التقلل من الدنيا.

٣- رحمة الله بعباده أن أرشدهم إلى ما به يتحابون.

[٢٤٠] شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (٨٠).

استحباب التخشن وعدم التنعم

عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إلى الْيَمَنِ قال: «إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ، فإن عِبَادَ الله لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ»(٢٤١).

معاني الكلمات:

التنعم: الكثرة من الراحة والدعة والنعيم لقضاء الشهوات، وهو ضد التخشن.

المعنى الإجمالي:

حذَّر النبي ﷺ معاذًا من التنعم؛ لأن التنعم بالمباح وإن كان جائزًا، لكنه يوجب الأنس به، ثم إن هذا محمول على المبالغة في التنعم والمداومة على قصده، فلا ينافيه ما ورد في (المستدرك) وغيره: أن المصطفى ﷺ أهديت له حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيرًا وناقة فلبسها مرة، على أنه وإن داوم على ذلك فليس غيره مثله؛ فإن المعصوم واقف على حدود المباح فلا يحمله ذلك على ما يخاف غائلته من نحو بطرٍ وأشرٍ ومداهنةٍ وتجاوزٍ إلى مكروه ونحو ذلك، وأما غيره فعاجز عن ذلك، فالتفريج على تنعمه بالمباح خطر عظيم لإبعاده عن الخوف.

قال الجنيد: دخلت على العارف السري وهو يبكي فسألته فقال: جاءته البارحة الصبية، فقالت: يا أبت هذا الكوز أعلقه لك يبرد، فنمت فرأيت جارية

(٢٤١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٦٨).

من أحسن الخلق نزلت من السماء فقلت: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المبرد فكسرت الكوز[٢٤٢].

فوائد الحديث:

١- النهي عن التنعم.

٢- من صفات عباد الله: أنهم ليسوا من المتنعمين.

(٢٤٢) فيض القدير (٣/ ١٥٣).

الوصية بأداء الأمانة

عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إلى من ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ من خَانَكَ»[٢٤٣].

معاني الكلمات:

الأمانة: خلق ثابت في النفس يعف به عما ليس له بحق وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه.

الخيانة: الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحُرَم.

المعنى الإجمالي:

أوصىٰ النبي ﷺ في هذا الحديث أمته بشيئين:

الأول: أداء الأمانة أيًا كان نوعها علىٰ سبيل المجاز أو علىٰ سبيل الحقيقة، والمراد هنا: الأمانة الحقيقية العينية، ائتمنك علىٰ كتاب، ائتمنك علىٰ أوراق، ائتمنك علىٰ نقد، علىٰ آلة، علىٰ أي شيء، فأي عين ائتمنك عليها فأدها إليه[٢٤٤].

الثاني: النهي عن الخيانة: النهي هنا عن خيانة من يخون، فالإنسان إذا حصل له خيانة فلا يعاقِب بخيانة، وإنما يصفح ويتجاوز ويؤدي الأمانة إلىٰ

---

(٢٤٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢٤٤) شرح بلوغ المرام لعطية محمد سالم (٧/ ٢١٢) بتصرف يسير.

من ائتمنه[٢٤٥].

فوائد الحديث:

١- الحث على أداء الأمانة.

٢- النهي عن الخيانة.

٣- بلاغة الرسول ﷺ حيث اختصر الكلام اختصارًا مع أداءٍ كاملٍ للمعنى.

٤- في الحديث إشارة إلى القاعدة الإسلامية الأخلاقية: لا تسيء لمن أساء إليك بل أحسن إليه؛ وذلك أن من خانك لا تخنه بنص رسول الله ﷺ.

٥- الردُّ على من ادعى جواز سرقة واختلاس مال من أخذ مالك أو جحده، فإن هذا الرأي غير سديد لمخالفته للهدي النبوي، بل على صاحب المال رفع الشكوى إلى القاضي واسترجاع ماله بالطرق الشرعية.

(٢٤٥) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (١٩/ ٢١) بتصرف يسير.

كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[٢٤٦].

معاني الكلمات:

الغربة: البعد عن الوطن.

عابر سبيل: المسافر الذي يدخل بلدة غريبة أو يمر بها.

المعنى الاجمالي:

هاتان الكلمتان يمكن أن تكونا نبراسًا يسير الإنسان عليه في حياته «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، والفرق بينهما: أن عابر السبيل ماشٍ يمر بالقرية وهو ماشٍ منها.

وأما الغريب فهو مقيم فيها حتىٰ يرتحل عنها، يقيم فيها يومين، أو ثلاثه، أو عشرة، أو شهرًا، وكلٌّ منهما لم يتخذ القرية التي هو فيها وطنًا وسكنًا وقرارًا[٢٤٧].

هذا التمثيل الذي ذكره النبي ﷺ هو الواقع؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مسافر، فالدنيا ليست دار مقر بل هي دار ممر، سريع راكبه لا يفتر ليلًا ولا نهارًا، فالمسافر ربما ينزل منزلا فيستريح، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل، هو دائمًا

---

(٢٤٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٢٤٧) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٥٧٤).

في سفر، كل لحظة فإنك تقطع بها شوطًا من هذه الدنيا لتقرب من الآخرة.

فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير، أليس ينتهي بسرعة؟ بلىٰ؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝٤٦﴾[النازعات:٤٦]، والإنسان عليه أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضىٰ فالذي مضىٰ كأنه لا شيء حتىٰ أمسك الأدنىٰ كأنك لم تمر به أو كأنه حلم، وكذلك فما يستقبل من دنياك فهو كالذي تقدم، ولهذا لا ينبغي الركون إلىٰ الدنيا ولا الرضىٰ بها، وكأن الإنسان مخلد فيها.

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك (٢٤٨).

❊ ❊ ❊

(٢٤٨) السابق حديث رقم (٤٧١).

الوصية بطلبة العلم

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، فإذا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لهم: مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رسول الله ﷺ وَأَقْنُوهُمْ»[٢٤٩].

معاني الكلمات:

اقنوهم: أرضوهم وأكرموهم.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث حثٌّ من النبي ﷺ علىٰ إكرام طلاب العلم، وفي الترمذي عن أبي هارون قال: كنا نأتي أبا سعيد فيقول: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ.

قال المناوي: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبًا»؛ أي: رحبت بلادكم واتسعت وأتيتم أهلًا فلا تستوحشوا.

«بوصية رسول الله»، وقد درج السلف علىٰ قبول وصيته «وأقنوهم»؛ يعنىٰ: أرضوهم، وفي رواية «أفتوهم» بالفاء؛ أي: علموهم[٢٥٠].

فوائد الحديث:

١- فضل طلب العلم.

---

(٢٤٩) حسن: أخرجه ابن ماجه (٢٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٢٥٠) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ١٢٣) بتصرف.

٢- إيصاء النبي ﷺ بطلبة العلم.

٣- تعليم الطلاب وإكرامهم من أفضل الأعمال.

اغتنم خمسًا قبل خمس

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[٤٥١].

معاني الكلمات:

غنم الشيء: فاز به.

الشباب: الفتوة والحداثة، وشباب الشيء: أوله.

الهرم: بلوغ أقصىٰ الكبر.

السقم: المرض.

المعنى الإجمالي:

أمر النبي ﷺ باغتنام خمسة أشياء، فقال: «اغتنم خمسًا قبل خمس»؛ أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة[٤٥٢].

وأولها: «شبابك قبل هرمك»: الإنسان يجب أن ينتهز ويغتنم فرصة الشباب؛ لأن أمامه هرمًا، والهرم هو الكبر في السن، فإذا كنت في شبابك لا تعمل، فماذا ستفعل في هرمك؟ إذاً: من لم يغتنم شبابه، ويدخر فيه لوقت الهرم ضيع نفسه.

---

(٤٥١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٤٥٢) فيض القدير (٢/ ٢١).

وثانيها: «وصحتك قبل مرضك»: والصحة والمرض شيء بيد الله، ولكن يفوت على الإنسان شيء كثير مع المرض، ومن فضل الله على المسلم أنه إذا كان يعمل في صحته من أبواب الخير ويداوم عليه فمرض أو سافر وعجز عن ورده، أمر الله الملائكة أن تكتب له مدة مرضه وسفره ما كان يعمل في الصحة والإقامة حتى يعافى أو يرجع إلى بلده.

ويقول النبي ﷺ: **«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»**، فهل يقبل الله منك وأنت معافى، ثم وأنت مريض يتخلى عنك؟ لا والله! فهو أكرم الأكرمين.

وثالثها: «غناك قبل فقرك»: إذا كان المال معك فانتهز أبواب الخير، أنت لا تدري ماذا يصير؟ سبحان الله! وما يدري الفقير متى غناه، وما يدري الغني متى يعيل، كم من إنسان بات في القمة، وأصبح في الهاوية، أي: فما دام بيدك المال، وعندك الغنى، ووفرة المال، فافعل الخير، ولعل الخير الذي تفعله يحفظ لك مالك.

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه، لا يذهب الخير بين الله والناس.

ورابعها: «وفراغك قبل شغلك»: هذه نصيحة نقدمها لطلبة العلم قبل كل شيء، عليه أن ينتهز فراغه للتحصيل قبل أن يخرج من الدراسة إلى الحياة، ويواجه المشاكل العملية، فهو في فترة الدراسة متفرغ لها، وبعدما يتخرج ويأخذ الشهادة ويخرج إلى ميدان الحياة يُشغل، وأول شاغل يلقاه الزوجة والأولاد، ولذا كان بعض السلف يقول: (ذبح العلم بين أفخاذ النساء)، وقد تكون الزوجة تعين طالب العلم على دراسته، لكن مشاكل الأولاد ضريبة لا بد أن تؤديها في طريق الحياة، ويفرض عليك أن تشغل بما ليس من طلب العلم،

وقد يكون عملك لطلب العلم، ولكن ليس كوقت التفرغ، ولهذا يروىٰ عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يقول: لا ينبغي لإنسان أن يتولىٰ القضاء أكثر من ستين قالوا: لماذا؟ قال: مخافة أن ينسىٰ العلم؛ لأن مشاكل الناس تنسي العلم، ولكن الآخرون يقولون: كلما زاول القضاء تمكن فيه وتمرس، وعرف طرق الخصوم.

وأخيرًا: «وحياتك قبل موتك»: الحياة أمامك، ولكن الموت ليس عندك وليس بيدك، فالمولىٰ ﷻ قدر لكل أجل كتابًا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١].

إذاً: علىٰ العاقل أن يغتنم هذه الأمور الخمس، وقد جاء في الحديث الصحيح: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسمه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ما عمل به»(٢٥٣).

فوائد الحديث:

١- حرص النبي ﷺ علىٰ مصلحة أمته.

٢- من شكر الإنسان نعم ربه عليه اغتنامها.

٣- ترك الكسل والتسويف.

---

(٢٥٣) شرح الأربعين النووية للشيخ محمد عطية سالم (٨٢).

خذوا عني هذه الكلمات

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أو يُعَلِّمُ من يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» فقال أبو هُرَيْرَةَ: فقلت: أنا يا رَسُولَ الله، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وقال: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ الناس، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ الله لك تَكُنْ أَغْنَى الناس، وَأَحْسِنْ إلى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فإن كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[٢٥٤].

معاني الكلمات:

المحارم: ما يحرم انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما.

المعنى الإجمالي:

هذه الوصية من جوامع كلم النبي ﷺ، وفي قوله: «من يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أو يُعَلِّمُ من يَعْمَلُ بِهِنَّ»: إثارة لأذهان السامعين ولفت لانتباههم، فبادر أبو هريرة رضي الله عنه بالاستجابة.

وأول هذه الكلمات: قوله: «اتق المحارم»؛ أي: احذر الوقوع في جميع ما حرم الله عليك تكن من أعبد الناس؛ لأنه يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض، فابتّقاء المحارم تبقى الصحيفة نقية من التبعات، فالقليل من التطوع مع ذلك ينمو وتعظم بركته فيصير ذلك المتقي من أكابر العباد. وقال الذهبي: هنا والله

---

[٢٥٤] حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

تسكب العبرات فيريد أن يكون يسيرًا بكل واجب فيقوم به، وعارفًا بكل محرم فيجتنبه.

والثانية: الرضا بما قسمه الله لك؛ أي: أعطاك وجعله حظك من الرزق. فليس الغنىٰ بكثرة العرض، ولكن الغنىٰ غنىٰ النفس، والقناعة غنىٰ وعز بالله. وضدها فقر وذل للغير، ومن لم يقنع لم يشبع أبدًا، ففي القناعة العز والغنىٰ والحرية، وفي فقدها الذل والتعبد للغير، تعس عبد الدنيا، تعس عبد الدينار. فيتعين علىٰ كل عاقل أن يعلم أن الرزق بالقسم والحظ لا بالعلم والعقل، ولا فائدة للجد حكمة بالغة دل بها علىٰ قدرته وإجراء الأمور علىٰ مشيئته.

قال الحكماء: ولو جرت الأقسام علىٰ قدر العقول لم تعش البهائم. ونظمه أبو تمام فقال:

ينال الفتىٰ من عيشه وهو جاهل
ويكدىٰ الفتىٰ فى دهره وهو عالم
ولو كانت الأقسام تجرى علىٰ الحجا
هلكن إذن من جهلهن البهائم

ومن كلامهم: كم رأيت أعرج في المعالي عرج.

والثالثة: الإحسان إلىٰ الجار بالقول والفعل، والجار المجاور لك ومن قرب من منزلك عرفًا حتىٰ تكون مؤمنًا؛ أي: كامل الإيمان، فإذا لم تقدر على الإحسان إليه فكف عن أذاه، وإن كان مؤذيًا لك فيلزمك الصبر حتىٰ يجعل الله لك فرجًا.

قال الراغب: والإحسان يقال للإنعام علىٰ الغير وللإحسان في فعله. وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا، وعليه قول علي رضي الله عنه: (الناس

أبناء ما يحسنون): أي منسوبون إلىٰ ما يعلمون ويعملون من الأفعال الحسنة. والإحسان أعم من الإنعام والعدل؛ إذ العدل أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له.

والرابعة: حب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير تكن مسلمًا كامل الإسلام بأن تحب لهم حصول ما تحبه لنفسك من جهة لا يزاحمونك فيها، فإن انتفت المحبة لنحو حقد أو غل أو حسد انتفىٰ عنه كمال الإيمان. وغاير في ما بين لفظي الإيمان والإسلام تفننًا إذ المراد بهما هنا واحد. قال السدي: لي ثلاثون سنة في الاستغفار عن قولي: الحمد لله، وذلك أنه وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل فقال: نجا حانوتك فقلت: الحمد لله، فمذ قلتها فأنا نادم حيث أردت لنفسي خيرًا دون المسلمين.

والخامسة: عدم الإكثار من الضحك، وهو: كيفية يحصل منها انبساط في القلب مما يعجب الإنسان من السرور ويظهر ذلك في الوجه، والإكثار منه مضر بالقلب منهيٌّ عنه شرعًا، وهو من فعل السفهاء والأراذل، مورث للأمراض النفسانية؛ ولذا قال: «فإن كثرة الضحك تميت القلب»؛ أي تصيره مغمورًا في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها شيئًا من مكروه، وحياته وإشراقه مادة كل خير، وموته وظلمته مادة كل شر، وبحياته تكون قوته وسمعه وبصره وتصور المعلومات وحقائقها علىٰ ما هي عليه؛ ولهذا قال لقمان لابنه: (يا بني، لا تكثر الضحك من غير عجب، ولا تمش من غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك، ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما أخرت)، وقال موسىٰ للخضر: أوصني فقال: (كن بسامًا ولا تكن غضابًا، وكن نفاعًا ولا تكن ضرارًا، وانزع عن اللجاجة،

ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخطائين بخطاياهم، وابك على خطيئتك يا بن عمران)، وفي صحف موسى: (عجبًا لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبًا لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبًا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجبًا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها).

وفي الحديث إيذان بالإذن في قليل الضحك لا سيما لمصلحته[٢٥٥].

فوائد الحديث:

١- النهي عن انتهاك المحارم.

٢- الحث على الرضا بقضاء الله وقسمته.

٣- الحث على حسن الجوار.

٤- الحث على حب المرء للناس مثل ما يحب لنفسه.

٥- الحث على أن يكون المرء مسلمًا؛ إما الإسلام المعروف بأركانه، وإما أن يسلم المسلمون من لسانه ويده.

٦- حرص النبي ﷺ على تعليم الصحابة ما ينفعهم.

٧- بيان لحسن تربية النبي ﷺ لصحابته حيث أمسك بيد أبي هريرة رضي الله عنه وعلمه كلمات حتى يكون ذلك أكثر تأثيرًا فيه.

---

(٢٥٥) فيض القدير للمناوي (١/ ١٦١، ١٦٢).

كتاب المنهيات

التحذير من الغلو في الدين

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال: «أَيُّهَا الناس، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فإنه أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُم الْغُلُوُّ في الدِّين»[٤٥٦].

معاني الكلمات:

إياكم: أسلوب تحذير.

الغلو: مجاوزة الحد في الشيء المطلوب.

المعنى الاجمالي:

الغلو: هو مجاوزة الحد مدحًا أو ذمًّا، وقد يشمل ما هو أكثر من ذلك، أيضًا، فيقال: مجاوزة الحد في الثناء، وفي التعبد، وفي العمل.

وقوله: «أهلك» يحتمل معنيين:

الأول: أن المراد هلاك الدين، وعليه يكون الهلاك واقعًا مباشرة من الغلو؛ لأن مجرد الغلو هلاك.

الثاني: أنه هلاك الأجسام، وعليه يكون الغلو سببًا للهلاك؛ أي: إذا غلوا خرجوا عن طاعة الله فأهلكهم الله.

وفي هذا الحديث يحذر الرسول ﷺ أمته من الغلو، ويبرهن على أن الغلو سبب للهلاك؛ لأنه مخالف للشرع؛ ولإهلاكه للأمم السابقة، فيستفاد منه تحريم الغلو من وجهين:

---

(٤٥٦) صحيح: أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

الوجه الأول: تحذيره ﷺ، والتحذير نهي وزيادة.

الوجه الثاني: أنه سبب لإهلاك الأمم كما أهلك من قبلنا، وما كان سببًا للهلاك كان محرمًا.

أقسام الناس في العبادة:

والناس في العبادة طرفان ووسط، فمنهم المُفرِط، ومنهم المفرِّط، ومنهم المتوسط.

فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكون الإنسان معتدلًا لا يميل إلىٰ هذا ولا إلىٰ هذا؛ هذا هو الواجب، فلا يجوز التشدد في الدين والمبالغة، ولا التهاون وعدم المبالاة، بل كن وسطًا بين هذا وهذا.

والغلو له أقسام كثيرة؛ منها: الغلو في العقيدة، ومنها: الغلو في العبادة، ومنها: الغلو في المعاملة، ومنها: الغلو في العادات.

والأمثلة عليها كما يلي:

أما الغلو في العقيدة، فمثلَ ما تشدق فيه أهل الكلام بالنسبة لإثبات الصفات، فإن أهل الكلام تشدقوا وتعمقوا حتىٰ وصلوا إلىٰ الهلاك قطعًا، حتىٰ أدىٰ بهم هذا التعمق إلىٰ واحد من أمرين: إما التمثيل، أو التعطيل؛ إما أنهم مثلوا الله بخلقه، فقالوا: هذا معنىٰ إثبات الصفات، فغلوا في الإثبات حتىٰ أثبتوا ما نفىٰ الله عن نفسه، أو عطلوه وقالوا: هذا معنىٰ تنزيهه عن مشابهة المخلوقات، وزعموا أن إثبات الصفات تشبيه، فنفوا ما أثبته الله لنفسه؛ لكن الأمة الوسط اقتصدت في ذلك، فلم تتعمق في الإثبات ولا في النفي والتنزيه، فأخذوا بظواهر اللفظ، وقالوا: ليس لنا أن نزيد علىٰ ذلك، فلم يهلكوا، بل كانوا علىٰ الصراط المستقيم.

أما الغلو في العبادات، فهو التشدد فيها، بحيث يرىٰ أن الإخلال بشيء منها كفر وخروج عن الإسلام، كغلو الخوارج والمعتزلة، حيث قالوا: إن من فعل كبيرة من الكبائر، فهو خارج عن الإسلام وحلَّ دمه وماله، وأباحوا الخروج علىٰ الأئمة وسفك الدماء، وكذا المعتزلة، حيث قالوا: من فعل كبيرة، فهو بمنزلة بين المنزلتين: الإيمان والكفر، فهذا تشدد أدىٰ إلىٰ الهلاك، وهذا التشدد قابله تساهل المرجئة، فقالوا: إن القتل والزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من الكبائر، لا تخرج من الإيمان، ولا تنقص من الإيمان شيئًا، وإنه يكفي في الإيمان الإقرار، وإن إيمان فاعل الكبيرة كإيمان جبريل ورسول الله ﷺ؛ لأنه لا يختلف الناس في الإيمان حتىٰ إنهم ليقولون: إن إبليس مؤمن؛ لأنه مقر، وإذا قيل: إن الله كفَّره، قالوا: إذًا إقراره ليس بصادق، بل هو كاذب.

وهؤلاء في الحقيقة يصلحون لكثير من الناس في هذا الزمان، ولا شك أن هذا تطرف بالتساهل، والأول تطرف بالتشدد، ومذهب أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، وفاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر معصيته، ولا يخرج من الإيمان إلا بما برهنت النصوص علىٰ أنه كفر.

وأما الغلو في المعاملات، فهو التشدد في الأمور بتحريم كل شيء حتىٰ ولو كان وسيلة، وأنه لا يجوز للإنسان أن يزيد عن واجبات حياته الضرورية، وهذا مسلك سلكه الصوفية، حيث قالوا: من اشتغل بالدنيا، فهو غير مريد للآخرة، وقالوا: لا يجوز أن تشتري ما زاد علىٰ حاجتك الضرورية، وما أشبه ذلك.

وقابل هذا التشدد تساهل من قال: يحل كل شيء ينمي المال ويقوي الاقتصاد، حتىٰ الربا والغش وغير ذلك.

فهؤلاء -والعياذ بالله- متطرفون بالتساهل، فتجده يكذب في ثمنها، وفي

وصفها، وفي كل شيء لأجل أن يكسب فلسًا أو فلسين، وهذا لا شك أنه تطرف.

والتوسط أن يقال: تحل المعاملات وفق ما جاءت به النصوص، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]، فليس كل شيء حرامًا، فالنبي ﷺ باع واشترىٰ، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يبيعون ويشترون، والنبي ﷺ يُقِرُّهم.

وأما الغلو في العادات، فإذا كانت هذه العادة يخشىٰ أن الإنسان إذا تحول عنها انتقل من التحول في العادة إلىٰ التحول في العبادة، فهذا لا حرج أن الإنسان يتمسك بها، ولا يتحول إلىٰ عادة جديدة، أما إذا كان الغلو في العادة يمنعك من التحول إلىٰ عادة جديدة مفيدة أفيد من الأولىٰ، فهذا من الغلو المنهي عنه، فلو أن أحدًا تمسك بعادته في أمر حدث أحسن من عادته التي هو عليها نقول: هذا في الحقيقة غالٍ ومفرط في هذه العادة.

وأما إن كانت العادات متساوية المصالح، لكنه يخشىٰ أن ينتقل الناس من هذه العادة إلىٰ التوسع في العادة التي قد تخل بالشرف أو الدين، فلا يتحول إلىٰ العادة الجديدة [٢٥٧].

فوائد الحديث:

١- ذم الغلو والتنطع في الدين، وأن الدين غالب وليس مغلوب.

٢- بيان لذكاء النبي ﷺ وفطنته في تربيته للصحابة وتوجيههم حيث ربط ما نهىٰ عنه بنتائجه في الأمم السابقة.

٣- الغلو بريد الهلاك.

---

(٢٥٧) القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٣٦١) وما بعدها بتصرف.

اجتنبوا السبع الموبقات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ»(٢٥٨).

معاني الكلمات:

الموبقات: المهلكات.

يوم الزحف: القتال في سبيل الله.

المحصنات: العفائف اللاتي تعف نفسها عن الزنا.

الغافلات: أي تغفل عما نسب إليها كناية عن البراءة من الزنا.

المعنى الإجمالي:

يحذر النبي ﷺ في هذا الحديث من سبع مهلكات وذلك بقوله: «اجتنبوا السبع»؛ أي: احذروا فعلها وابعدوا عنها. «الموبقات» بموحدة مكسورة وقاف، أي: المهلكات جمع موبقة؛ سميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب، والمراد بها الكبائر، كما ثبت في روايات وأحاديث أخرى، ذكرها الحافظ في شرح باب رمي المحصنات، وفي أواخر المحاربين. والتنصيص على عدد لا ينفي غيره

(٢٥٨) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧٦٦) واللفظ له، ومسلم (١٤٥/ ٨٩).

وإلا فهي إلىٰ السبعين أقرب، روي ذلك عن ابن عباس، وهو محمول علىٰ المبالغة بالنسبة إلىٰ من اقتصر علىٰ سبع. وقيل في الجواب عن الحكمة في الاقتصار علىٰ سبع: إنه علم أولًا بالمذكورات، ثم علم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة إلىٰ السائل، أو من وقعت له واقعة، ونحو ذلك[(٢٥٩)].

وأول هذه الموبقات: «الشِّرْكُ بِاللهِ»: وهذا أعظم الموبقات أن تشرك بالله عَزَّوَجَلَّ وهو خلقك وأنعم عليك في بطن أمك وبعد وضعك، وفي حال صباك أنعم الله عليك بنعم كثيرة فتشرك به والعياذ بالله، هذا أظلم الظلم، أظلم الظلم أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، وهذا أعظم الموبقات الإشراك بالله، والإشراك بالله أنواع كثيرة؛ منها: أن يعظم الإنسان المخلوق كما يعظم الخالق، وهذا موجود عند بعض الخدم الأحرار وغير الأحرار، تجده يعظم رئيسه، يعظم ملكه، يعظم وزيره أكثر من تعظيم الله والعياذ بالله، هذا شرك عظيم، تعظم مخلوقًا مثلك أعظم من تعظيم الله، ويدل لهذا: أن أميره أو وزيره أو ملكه أو سيده إذا قال: افعل كذا وقت الصلاة؛ ترك الصلاة وفعل، حتىٰ لو خرج وقتها لا يبالي. معناه: أنه جعل تعظيم المخلوق أعظم من تعظيم الخالق.

ومن ذلك أيضًا: المحبة أن يحب أحدًا من المخلوقين كمحبة الله أو أعظم تجده يداري هذا الإنسان ويطلب محبته أكثر من محبة الله، وهذا يوجد -والعياذ بالله- في المفتونين بالعشق؛ سواء كان عشق نساء أو مردان، تجد قلبه مملوءًا بمحبة غير الله أكثر من محبة الله، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

---

(٢٥٩) مرقاة المفاتيح (١/ ١٢٤، ١٢٥).

يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، ومن ذلك وهو أمر خفي الرياء فإنه من الشرك بالله يقوم الإنسان يصلي ويزين صلاته؛ لأن فلانًا يراه ينظر إليه يصوم ليقال: إنه رجل عابد يصوم، يتصدق ليقال: إنه رجل كريم يتصدق، هذا رياء، وقد قال الله تعالىٰ: «أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(٦٦٠).

ومن ذلك أيضًا -من الشرك وهو خفي أيضًا-: أن تأخذ الدنيا لب الإنسان وعقله فتجد عقله وفكره وبدنه ونومه ويقظته كلها في الدنيا ماذا كسب اليوم وماذا خسر، ولذلك تجده يتحيل علىٰ الدنيا بالحلال والحرام والكذب والخديعة لولاة الأمور ولا يبالي؛ لأن الدنيا استعبدته والعياذ بالله.

والدليل علىٰ هذا الشرك: قول النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار» هل تظنون أن هذا يسجد للدينار؟ لا، لكن الدينار ملك قلبه. «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة»؛ يعني: الثياب «تعس عبد الخميلة»؛ يعني: الفرش، ما همُّه إلا تجميل ثيابه، تجميل فراشه أكبر عنده من الصلاة وغيرها من عبادة الله «إن أعطىٰ رضي، وإن لم يعط سخط»(٦٦١)، إن أنعم الله عليه قال: هذا الرب الكريم العظيم الجليل الذي يستحق كل شيء، وإن لم يعط سخط والعياذ بالله ﴿يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج:١١]، يقول الرسول ﷺ: «إن أعطي رضي

---

(٦٦٠) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٦٦١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس»: انتكس: انتكست عليه الأمور وأفسد الله عليه أمره، «وإذا شيك فلا انتقش»؛ يعني: معناه أن الله يُعسّر عليه الأمور حتىٰ الشوكة لا يقدر علىٰ إخراجها من بدنه. «إذا شيك»؛ أي: أصابته الشوكة «فلا انتقش».

ثم قال في مقابل هذا: «طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله»؛

طوبىٰ؛ يعني: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة لهذا العبد، لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، «أشعث» رأسه، مغبرة قدماه، انظر: الأول عبد خميصة وخميلة، أما الثاني ما يبالي بنفسه، أهمّ شيء عنده هو عبادة الله ورضا الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الساقة كان في الساقة؛ يعني: معناه أنه لا يبالي أية منزلة ينزلها إذا كانت فيها مصلحة الجهاد فإنه يكون فيها هذا هو الذي ربح الدنيا والآخرة. فالحاصل: أن من الناس من يشرك بالله وهو لا يعلم.

وأنت يا أخي إذا رأيت الدنيا قد ملأت قلبك وأنه ليس لك هم إلا هي: تنام عليها وتستيقظ عليها، فاعلم أن في قلبك شركًا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «تعس عبد الدينار» ويدل لهذا أنه يحرص علىٰ الحصول علىٰ المال سواء بالحلال أو بالحرام والذي يعبد الله حقًّا لا يمكن أن يأخذ المال بالحرام إطلاقًا؛ لأن الحرام فيه سخط الله، والحلال فيه رضا الله عز وجل، والإنسان الذي يعبد الله حقًّا يقول: لا يمكن أن آخذ المال إلا بطريقه ولا أصرفه إلا بطريقه.

الموبقة الثانية: السحر:

السحر: عبارة عن عقد ورقىٰ يعني قراءات مطلسمة في صور الشياطين وعفاريت الجن ينفث بها الساحر فيؤذي المسحور بمرض، أو موت، أو صرف، أو عطف، صرف يصرفه عما يريد، عطف؛ يعني: يعطفه علىٰ ما لا

يريد، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[البقرة:١٠٢]، وهو من كبائر الذنوب.

والساحر يجب أن يقتل حدًّا سواء تاب أو لم يتب؛ وذلك لعظم مضرته علىٰ الناس وشدة جرأته والعياذ بالله؛ ولهذا جاء في الحديث: «حد الساحر ضربه بالسيف»، وفي رواية: «ضربة بالسيف».

الموبقة الثالثة: وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق:

والنفس التي حرم الله قتلها أربعة نفوس:

١- المسلم. ٢- الذمي. ٣- المعاهد. ٤- المستأمن.

هذه أربعة نفوس محترمة لا يجوز قتلها؛ المسلم فظاهر. وأما الذمي فهو الذي يكون بيننا وفي بلدنا من أهل الكتاب أو غيرهم يدفع الجزية لنا ونحميه مما يؤذيه ونحترمه وإن كان علىٰ غير الإسلام. وأما المعاهد فهو الذي بيننا وبينهم عهد وإن كانوا في بلادنا كما جرىٰ بين النبي ﷺ وبين قريش في صلح الحديبية، فإذا كان من المعاهدين حرم عليك أن تقتله وهو نفس معصومة. وأما المستأمن فهو الذي يدخل لبلادنا بأمان نعطيه أمانًا إما لكونه تاجرًا يجلب تجارته ويشتري، أو لأنه يريد أن يبحث عن الإسلام ويعرف الإسلام، كما قال الله تعالىٰ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

أما الحربي الذي بيننا وبينه حرب وليس بيننا وبينه عهد ولا ذمة ولا أمان فهذا يحل قتله؛ لأنه ليس بيننا وبينه عهد، بل هو محارب لنا، لو تمكن منَّا لقتل من يقتل من المسلمين فهذا لا عهد له ولا ذمة. قوله ﷺ: «التي حرم الله إلا بالحق»؛ يعني: أن النفوس المحترمة قد يكون من الحق أن تقتل وهي محترمة

مسلم أو ذمي أو معاهد أو مستأمن تقتل، مثل قول الرسول ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث؛ الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٦٦٢].

الموبقة الرابعة: أكل الربا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد ورد من الوعيد على أكل الربا ما لم يرد مثله على أي ذنب سوى الشرك فهو عظيم والعياذ بالله، حتى إن الله قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩]، فبين الله عز وجل أنه إذا لم يترك الإنسان الربا فإنه معلن للحرب على الله ورسوله ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٩]، وأنه إذا تاب فإنه يحرم عليه أن يأخذ أكثر من ماله ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]، وقد استحسن بعض الناس بعقولهم استحسانًا مخالفًا لشرع الله عز وجل فقالوا: إن الإنسان إذا أودع بل إذا جعل أمواله عند أهل الربا فإنه يجوز أن يأخذ الربا ثم يتصدق به تخلصًا منه، وهذا القول مخالف للقرآن الكريم؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]، يقولون في وجه استحسانهم: إننا لو تركناه للبنوك لكانوا يستعينون به على بناء الكنائس، وإعانة الكفار على قتال المسلمين، وما أشبه ذلك من الأقوال التي يصادمون بها النص، ونقول لهم: أولًا: إن هذا الربح ليس داخلًا في ملكه حتى نقول: إنه

---

(٦٦٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٦١٤).

تبرع للبنك به، فهو من الأصل لم يدخل في ملكه. ماله الذي أودعه عند البنك ربما يشتري به الحاجات أو يدخل في مشروعات ويخسر فهذه الزيادة ليست نماء ملكه، بل هي زيادة محضة يسلمها البنك لمن أعطىٰ هذا المال. **وثانيًا**: من يقول: إنهم يستعينون بها يجعلونها في الكنائس والأسلحة ضد المسلمين من قال هذا؟! وثالثًا: أننا لو قلنا بذلك فهل إذا أخذنا منهم سوف يمسكون عن قتال المسلمين وعن إضلالهم عن دينهم! رابعًا: إذا قلنا بذلك، ثم قلنا: خذها وتصدق بها، فمعنىٰ ذلك: أننا قلنا له: تلطخ بالنجاسة، ثم حاول أن تغسل يدك منها، إذ ما الفائدة أن تأخذها ثم تتصدق بها، لا فائدة اتركها من الأصل تسلم منها، ثم إننا إذا قلنا بذلك فأخذها الإنسان فهل يضمن لنفسه أن يقوي نفسه علىٰ التصدق بها ولا سيما إذا كانت كثيرة؟! قد يأخذها بهذه النية ثم تغلبه نفسه فلا يتصدق بها ويأكلها سواء حصل ذلك في أول مرة، أو في ثاني مرة، أو في ثالث مرة. وأيضًا: إذا قلنا: خذها وتصدق بها، فأخذها أمام الناس فمن الذي يعلم الناس أنه تصدق بها. الناس لا يدرون وربما اتخذوا من فعله هذا قدوة وفعلوا مثل فعله وأكلوا الربا. وأيضًا: فإننا إذا قلنا بذلك استمرينا الدخول في الربا وسهل علينا وصرنا نأخذه، لكن إذا قلنا بالمنع سلمنا من الربا من وجه واضطررنا إلىٰ أن نجد سبيلًا إلىٰ معاملات شرعية لا تخالف الدين بإنشاء البنوك الإسلامية التي ليست فيها ربا(٦٦٣).

الموبقة الخامسة: أكل مال اليتيم:

اليتيم: هو الذي مات أبوه قبل أن يبلغ فيتولىٰ عليه الإنسان ويأكل ماله

---

(٦٦٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٧٣٩).

ينفقه علىٰ أهله، أو يتجه به لنفسه، أو ما أشبه ذلك. هذا أيضًا من السبع الموبقات.

الموبقة السادسة: التولي يوم الزحف:

والتولي يوم الزحف: التولي عن صف القتال يوم الزحف؛ يعني: يوم يزحف المسلمون علىٰ الكفار فيأتي إنسان ويتولىٰ فإن هذا من كبائر الذنوب من السبع الموبقات؛ لأنه يتضمن مفسدتين؛ المفسدة الأولىٰ: كسر قلوب المسلمين، والمفسدة الثانية: تقوية الكفار علىٰ المسلمين إذا انهزم بعضهم، لا شك أنهم سوف يزدادون قوة علىٰ المسلمين ويكون لهم بسبب ذلك نشاط، لكن الله عز وجل استثنىٰ في القرآن فقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:١٦]، فمن تولىٰ لهذين الأمرين متحيزًا إلىٰ فئة؛ يعني: بأن يقال: إن الفئة الفلانية قد حصرها العدو وخطر عليها أن يكتسحها العدو فانصرف لإنقاذهم فهذا لا بأس به؛ لأنه انتقل إلىٰ ما هو أنفع. والثاني: المتحرف لقتال وهو المذكور أولًا في الآية: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾ [الأنفال:١٦]؛ يعني: مثلًا انصرف لإصلاح سلاحه أو ارتداء دروعه أو ما أشبه ذلك من مصلحة القتال فهذا لا بأس به.

الموبقة السابعة: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

يعني: أن يقذف المرأة العفيفة المؤمنة فهذا من كبائر الذنوب بأن يقول لامرأة: إنها زانية، أنها قحبة، وما أشبه ذلك؛ هذا من كبائر الذنوب، والقائل يجلد ثمانين جلدة ولا تقبل شهادته ويكون من الفاسقين لا من أهل العدل، كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور:٤]، هذه أول عقوبة ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾ [النور:٤]، هذه

العقوبة الثانية ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [النور:٤-٥]، فإنه يرتفع عنهم الفسق ويكونون من أهل العدالة وقوله: ﴿يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور:٢٣]، مثله أيضًا قذف الغافل المحصن المؤمن؛ يعني: الرجل إذا قُذف فإنه يجلد القاذف ثمانين جلدة كالذي يقذف المرأة هذه هي السبع الموبقات. أعاذنا الله وإياكم منها، وأجارنا وإياكم من الفتن، إنه علىٰ كل شيء قدير[٢٦٤].

فوائد الحديث:

١- من الذنوب كبائر توبق صاحبها في نار جهنم.
٢- الشرك بالله أكبر الكبائر.
٣- عظم خطورة السحر.
٤- لا يحل قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.
٥- أكل الربا من كبائر الذنوب.
٦- أكل مال اليتيم من أكبر الكبائر.
٧- لا يحل لمسلم الفرار من ميدان الجهاد إلا أن يكون متحيزًا لفئة أو متحرفًا لقتال.
٨- حرمة الخوض في أعراض الناس دون وجه حق.

(٢٦٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٦١٤).

التحذير من أمهات الكبائر

عن أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: «أَنْ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شيئًا وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ، ولا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ منه الذِّمَّةُ، ولا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كل شَرٍّ»(٢٦٥).

معاني الكلمات:

خليلي: الخِل: الصديق المختص.

الصلاة المكتوبة: الصلاة المفروضة.

متعمدًا: قاصدًا.

مفتاح كل شر: أصله ومنبعه.

المعنى الإجمالي:

لما كان هذا الحديث في الوصية متناهيًا، وللزجر عن رذائل الأخلاق جامعًا وضع (خليل) مكان (رسول الله ﷺ) إظهارًا لغاية تعطفه وشفقته، قاله الطيبي.

وهنا أوصىٰ النبي ﷺ بثلاثة أمور:

أولها: «أن لا تشرك» بالجزم علىٰ أنه صيغة نهيٰ، والمراد: أن لا تظهر الشرك، «وإن قطعت» بالتشديد ويخفف «وحرقت» بالتشديد لا غير. وهذا يدل علىٰ أنه ينبغي اختيار الموت والقتل دون إظهار الشرك، وهو وصية بالأفضل والعزيمة، فإنه يجوز التلفظ بكلمة الكفر والشرك عند الإكراه؛ لقوله

(٢٦٥) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل:١٠٦].

ثانيها: عدم ترك الصلوات المكتوبة عمدًا احترازًا عن الخطأ، والنسيان والنوم والضرورة وعدم القدرة؛ لأن من تركها عمدًا فقد برئت منه الذمة؛ كناية عن الكفر تغليظًا[٢٦٦].

ثالثها: عدم شرب الخمر، قال صاحب «مرقاة المفاتيح»: قال الطيبي: قرن ترك الصلاة وشرب الخمر مع الشرك إيذانًا بأن الصلاة عمود الدين، وتركها ثلمة في الدين، وأن شرب الخمر كعبادة الوثن، ولأن أم الأعمال ورأسها الصلاة، وأم الخبائث الخمر فأنىٰ يجتمعان؟ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فالصلاة مفتاح كل خير، والخمر مفتاح كل شر؛ أي: لأنها تزيل العقل فلا يبالي بشيء، فقد انفتح له باب الشر بعد أن كان مغلقًا بقيد العقل[٢٦٧].

فوائد الحديث:

١- بيان لحرص النبي ﷺ علىٰ تعليم أصحابه وتربيتهم.

٢- ذم الشرك والأمر بالبعد عنه ولو قُطِّع الإنسان وحُرِّق فإنه لا يشرك بالله.

٣- بيان لأهمية الصلاة والتحذير من تركها عمدًا، فإن من تركها عمدًا كفر بالله.

٤- النهي عن شرب الخمر، وبيان أنها مفتاح لكل شر.

---

(٢٦٦) شرح مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (٢/ ٥٧١) بتصرف.

(٢٦٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري (٢/ ٢٨٤).

ذم العداوة والبغضاء

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ»(٢٦٨).

معاني الكلمات:

سوء ذات البين: العداوة والبغضاء

الحالقة: الماحية.

المعنى الاجمالي:

نهىٰ النبي ﷺ عن التسبب في المخاصمة والمشاجرة بين اثنين أو قبيلتين بحيث يحصل بينهما فرقة أو فساد، و(البين) من الأضداد: الوصل والفراق. وعلل ذلك بقوله: «فإنها الحالقة»؛ أي: الماحية للثواب المؤدية إلىٰ العقاب، أو المهلكة، من حلق بعضهم بعضًا؛ (أي: قتل) مأخوذ من حلق الشعر، وقال الزمخشري: الحالقة: قطيعة الرحم والتظالم؛ لأنها تجتاح الناس وتهلكهم كما يحلق الشعر، يقال: وقعت فيهم حالقة لم تدع شيئا إلا أهلكته(٢٦٩).

فوائد الحديث:

١- نهىٰ النبي ﷺ عن العداوة والبغضاء بين المسلمين.

٢- الذنوب تحلق الطاعات والثواب، فهي باعثة علىٰ محق الحسنات.

---

(٢٦٨) حسن: أخرجه الترمذي (٢٥٠٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢٦٩) فيض القدير (٣/ ١٦٣).

ذم التمادح

عن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فإنه الذَّبْحُ»[٢٧٠].

معاني الكلمات:

التمادح: أي المبالغة والتكلف في المدح.

المعنى الاجمالي:

شبه النبي ﷺ المبالغة في المدح بالذبح؛ لما فيه من الآفة في دين المادح والممدوح، وسماه ذبحًا؛ لأنه يميت القلب فيخرج من دينه، وفيه ذبح للممدوح فإنه يغره بأحواله، ويغريه بالعجب والكبر، ويرى نفسه أهلًا للمدحة، سيما إذا كان من أبناء الدنيا أصحاب النفوس وعبيد الهوى، وفي رواية: «فإنه من الذبح»؛ وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل، والمدح يوجب الفتور، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهو مهلك كالذبح فلذلك شبه به.

قال ابن بطال رحمه الله: حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالًا على ما وصف به[٢٧١].

---

(٢٧٠) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٧٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٢٧١) فتح الباري (١٠/ ٤٧٧)

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: فمن صنع بك معروفًا فإن كان ممن يحب الشكر والثناء فلا تمدحه؛ لأن قضاء حقه أن لا تقره علىٰ الظلم، وطلبه للشكر ظلم، وإلا فأظهر شكره ليزداد رغبة في الخير، وأما ما مدح به المصطفىٰ ﷺ فقد أرشد إلىٰ ما يجوز من ذلك بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ...»[٢٧٢]. اهـ.

ويستثنىٰ منه أيضًا ما جاء عن المعصوم كالألفاظ التي وصف بها المصطفىٰ ﷺ بعض أصحابه كقوله: «نعم العبد عبد الله»[٢٧٣].

فوائد الحديث:

١- ذم التمادح وهو المبالغة في المدح.

٢- بيان لحرص النبي ﷺ علىٰ الصدق والصراحة؛ لأن المبالغة في المدح قد يشوبه بعض النفاق والكذب وما لا أصل له.

٣- بيان لبلاغة النبي ﷺ حيث قال عن التمادح: «إنه الذبح»؛ لأننا مأمورون إذا أحسنا الظن بشخص أن نقول حين الثناء عليه: نحسبه علىٰ خير والله حسيبه ولا نزكي علىٰ الله أحدًا. فلما كان التمادح قد يشوبه شيء من غير الحقيقة وهذا هو الغالب؛ لعل هذا التمادح ألقىٰ بالممدوح إلىٰ الهاوية حيث يظن أنه علىٰ خير؛ فإما يرائي، وإما ينقطع، أو يعجب بنفسه، وعلىٰ كلٍّ فإن ذلك هلاك له، ولذا قال النبي ﷺ: «إنه الذبح».

---

(٢٧٢) صحيح: سبق تخريجه.

(٢٧٣) فيض القدير (٣/ ١٦٧).

ذم الخلاف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ:- ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»(٢٧٤).

معاني الكلمات:

الحج: القصد، والمقصود: حج بيت الله الحرام.

لوجبت: لفرضت.

ذروني: دعوني.

اختلافهم علىٰ أنبيائهم: أي مخالفتهم أمرهم.

المعنى الاجمالي:

الحج: هو قصد مكة للتعبد لله ﷻ بأداء المناسك، وهو أحد أركان الإسلام بإجماع المسلمين، ودليل فرضه: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]. وهذه الآية نزلت في العام التاسع من الهجرة وهو العام الذي يسمىٰ

(٢٧٤) صحيح: أخرجه مسلم (٤١٢/ ١٣٣٧).

عام الوفود وبها فرض الحج(٢٧٥).

كان بعض الصحابة -من حرصهم على العلم ومعرفة السنة- يسألون النبي ﷺ عن أشياء قد لا تكون حرامًا فتحرم من أجل مسألتهم، أو قد لا تكون واجبة فتجب من أجل مسألتهم؛ فلهذا أمرهم النبي ﷺ أن يتركوا ما تركه ما دام لم يأمرهم ولم ينههم فليحمدوا الله على العافية، ثم علل ذلك بقوله: «فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»؛ يعني: أن الذين من قبلنا أكثروا المسائل على الأنبياء فشدد عليهم كما شددوا على أنفسهم، ثم اختلفوا على أنبيائهم أيضًا فليتهم لما سألوا فأجيبوا قاموا بما يلزمهم، ولكنهم اختلفوا على الأنبياء(٢٧٦)، والاختلاف على الأنبياء؛ يعني: مخالفتهم...

المهم: أن كثرة السؤال للأنبياء قد تسبب شدة الأمر على الأمة، ومن ذلك ما وقع للنبي عليه الصلاة والسلام في قصة الأقرع بن حابس قال النبي ﷺ: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا»، فرض الحج مرة، وما دام لم يطلب منا أن نكرر فيكفي مرة واحدة، فقال الأقرع: أفي كل عام يا رسول الله؟ فهذا السؤال في غير محله، قال: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم...»، هذا أيضًا من التشديد، ففي عهد النبي ﷺ لا ينبغي أن يسأل عن شيء مسكوت عنه؛ ولهذا قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»، أما في عهدنا وبعد انقطاع الوحي بموت النبي ﷺ فاسأل عن

(٢٧٥) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٣٧٢).

(٢٧٦) من ذلك: قصة البقرة والتي اختلف فيها بنو إسرائيل على موسى عليه السلام اختلافًا عظيمًا وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

كل شيء تحتاج إليه؛ لأن الأمر مستقر الآن وليس هناك زيادة ولا نقص، لكن في عهد التشريع يمكن أن يزاد ويمكن أن ينقص، وبعض العوام يفهم من قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]، وقوله ﷺ: «ذروني ما تركتكم» فهمًا خاطئًا فتجده يفعل الحرام ويترك الواجب ولا يسأل، ويستدل بهذه الأدلة وتلك النصوص ويزين له الشيطان ذلك والعياذ بالله.

فالواجب علىٰ الإنسان أن يتفقه في دين الله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٢٧٧]، ثم قال ﷺ: «وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» فعمم في النهي وخص في الأمر، أما في النهي فقال: «ما نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» أيَّ شيء ينهانا عنه الرسول عليه الصلاة والسلام فإننا نتجنبه؛ وذلك لأن المنهي عنه متروك، فالنهي أمر بالترك، والترك ليس فيه مشقة، كل إنسان يستطيع أن يترك وليس عليه مشقة ولا ضرر، فما نهانا عنه فإننا نتجنبه إلا أن هذا مقيد بالضرورة فإذا اضطر الإنسان إلىٰ شيء محرم وكان لا يجد سواه وتندفع به ضرورته فإنه حلال؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، ولقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣]، فيكون قول الرسول ﷺ: (ما نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) مقيدًا بحال الضرورة؛ يعني: أنه إذا وجدت ضرورة إلىٰ شيء محرم صار هذا المحرم حلالًا بشرطين؛ الشرط الأول: أن لا تندفع ضرورته بسواه. والشرط

---

[٢٧٧] متفق عليه: أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (٩٨/ ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

الثاني: أن يكون مزيلًا للضرورة... وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» فهذا يوافق قول الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]؛ يعني: إذا أمرنا بأمر فإننا نأتي منه ما استطعنا وما لا نستطيعه يسقط عنا، مثلًا: أمرنا بأن نصلي الفرض قيامًا، فإذا لم نستطع صلينا جلوسًا، وإذا لم نستطع صلينا علىٰ جنب، كما قال ﷺ لعمران بن حصين: «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب»[٢٧٨]، وتأمل قوله: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» بخلاف النهي؛ لأن الأمر فعل وإيجاب قد يكون شاقًّا علىٰ النفس ولا يستطيع الإنسان أن يقوم به؛ فلهذا قيده بقوله: «فأتوا منه ما استطعتم»، ومع ذلك فإن هذا الأمر مقيد بقيد آخر وهو: أن لا يوجد مانع يمنع، فإذا وجد مانع يمنع فهذا يدخل في قوله: «فأتوا منه ما استطعتم»[٢٧٩]؛ ولهذا قال العلماء: لا واجب مع عجز ولا محرم مع الضرورة[٢٨٠].

فوائد الحديث:

١- بيان لفرضية الحج وأنه مرة في العام.

٢- بيان لرأفة النبي ﷺ بأمته.

٣- كراهية كثرة السؤال والاختلاف علىٰ الأنبياء وأن ذلك هو سبب الهلاك.

---

(٢٧٨) صحيح: أخرجه البخاري (١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢٧٩) مثال ذلك: أن يجد المتوضئ الماء ولكن يحول بينه وبينه سبع أو عدو فهنا يسقط عنه فرض استعمال الماء ويباح له التيمم بالتراب.

(٢٨٠) شرح رياض الصالحين، حديث رقم (١٥٦).

٤- بيان أن الله لا يكلف المرء إلا ما يستطيع.

٥- وجوب ترك ما نهىٰ عنه الله ورسوله.

ذم كثرة الحلف في البيع

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ»(٢٨١).

معاني الكلمات:

إياكم: أسلوب تحذير.

ينفق: أي: يروج المال في الحال.

ثم يمحق: أي: ثم ينقص ويذهب البركة.

المعنى الإجمالي:

يحذر النبي ﷺ عن كثرة الحلف في عمليات البيوع، (وتقييده بالكثرة يؤذن بأن المراد النهي عن إكثار الأيمان ولو صادقة؛ لأن الكثرة مظنة الوقوع في الكذب كالراعي حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه، مع ما فيه من ذكر الله لا علىٰ جهة تعظيمه، بل تعظيم السلعة فالحلف لها لا له، أما الكاذبة فحرام)(٢٨٢).

قال ابن عثيمين: (وإن زادت السلعة بالحلف فإن الله ينزع بركتها ويمحق كسبها؛ لأن هذا الكسب مبني علىٰ معصية الرسول ﷺ، ومعصية الرسول معصية لله، وكثير من الناس يبتلىٰ في هذا الأمر تجده مثلًا يقول للزبون: والله إنه

---

(٢٨١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٢/ ١٦٠٧).

(٢٨٢) فيض القدير (٣/ ١٦٠).

طيب، والله إني اشتريته بكذا وكذا، سواء كان صادقًا أو كاذبًا فهو منهي عنه، بع واشتر بلا يمين إذا أردت أن يبارك لك الله في كسبك)[٢٨٣].

فوائد الحديث:

١- نهى النبي ﷺ عن كثرة الحلف في البيع.

٢- أن من ممحقات البيع كثرة الحلف فيه حتى ولو كان صادقًا.

٣-ذم الحلف الكاذب؛ لأنه لمَّا ذمَّ كثرة الحلف ولو كان صادقًا، فمن باب أولى ذم الحلف إن كان كاذبًا.

---

(٢٨٣) شرح رياض الصالحين، حديث رقم (١٧٢١).

التحذير من الدخول على النساء

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ»(٢٨٤).

معاني الكلمات:

إياكم: احذروا.

النساء: الأجنبيات عنكم كابنة العم وابنة الخال.

الحمو: أخو الزوج وما شابهه من أقارب الزوج كابن عم الزوج وغيره.

المعنى الاجمالي:

يحذر النبي ﷺ من الدخول على النساء الأجنبيات، والخلوة بهن، فإنه ما خلا رجل بامرأة، إلا كان الشيطان ثالثهما فإن النفوس ضعيفة، والدوافع إلى المعاصي قوية، فتقع المحرمات، فنهى عن الخلوة بهن ابتعادًا عن الشر وأسبابه.

فقال رجل: أخبرنا يا رسول الله، عن الحمو الذي هو قريب الزوج، فربما احتاج إلى دخول بيت قريبه الزوج وفيه زوجته، أما له من رخصة؟

فقال ﷺ: «الحمو الموت»؛ لأن الناس قد جروا على التساهل بدخوله، وعدم استنكار ذلك، فيخلو بالمرأة الأجنبية، فربما وقعت الفاحشة وطالت

(٢٨٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٢٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٠/ ٢١٧٢).

علىٰ غير علم ولا ريبة، فيكون الهلاك الديني، والدمار الأبدي، فليس له رخصة، بل احذروا منه ومن خلواته بنسائكم إن كنتم غيورين [٢٨٥].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: قال: «الحمو الموت» وهذه كلمة من أبلغ ما يكون من التحذير؛ يعني: كما أن الإنسان يفر من الموت فيجب أن يفر من دخول أقاربه علىٰ زوجته وأهله بلا محرم، وهذا يدل علىٰ التحذير الشديد، ودخول أقارب الزوج علىٰ بيت الزوج أخطر من دخول الأجانب؛ لأن هؤلاء يدخلون باعتبارهم أقارب فلا يستنكرهم أحد، وإذا وقفوا عند الباب يستأذنون لم ينكر عليهم أحد؛ لذلك كان حرامًا علىٰ الإنسان أن يمكن أخاه من الخلوة بزوجته، وبعض الناس يتهاون في هذا الأمر تجد عنده زوجة وله أخ بالغ فيذهب الرجل إلىٰ العمل ويترك زوجته وأخاه في البيت وحدهما وهذا حرام لا يجوز؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، ولكن كيف الخلاص إذا كان البيت واحدًا؟ يجب أن يجعل بابًا بين محل الرجال، ومحل النساء مغلقًا مفتاحه معه يأخذه معه، ثم يقول لأخيه: هذا محلك ويقول لأهله: هذا محلك، ولا يجوز أن تبقىٰ الأبواب مفتوحة؛ لأنه قد يدخل عليها فيغويه الشيطان فيغتصبها وربما يغرها حتىٰ توافق وتكون كأنها زوجة له يدخل عليها ويخرج ولا يبالي. نسأل الله العافية [٢٨٦].

فوائد الحديث:

١- النهي عن الدخول علىٰ النساء الأجنبيات.

---

(٢٨٥) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام (٢/ ٢٧١).

(٢٨٦) شرح رياض الصالحين، حديث رقم (١٦٢٨).

٢- النهي عن دخول الحمو على زوج أخيه أو قريبه.

٣- بيان لبلاغة النبي ﷺ حيث قال: «الحمو الموت»؛ يعني بذلك أن دخول الحمو على المرأة الأجنبية وهي زوج أخيه أو قريبه سبب لهلاكه حيث إنه لو وقع بها لرجم أو جلد ونفي.

دعوة المظلوم

عَنْ أَنَس بنِ مَالكٍ رضي الله عنه يقولُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إياكمْ ودعوةَ المظلومِ وإنْ كانَ كافرًا فإنَّهُ ليسَ لهَا حِجاب دونَ اللهِ»[٢٨٧].

معاني الكلمات:

الحجاب: الحائل.

الظلم: مجاوزة الحد، والمظلوم: من أُخذ منه شيئًا ظلمًا.

المعنى الاجمالي:

يُحذر النبي ﷺ من جميع أنواع الظُلُم لئلا يدعو عليكم المظلوم.

فإن دعوته مستجابة قطعًا وليس لله حجاب يحجبه عن خلقه.

قال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ حق الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها؛ لأنه لا يقع غالبًا إلا لضعيف لا يمكنه الانتصار، وإنما نشأ الظلم من ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الحاصل بسبب التقوى اكتنفت الظالم ظلمات الظلم حتى لا يغني عنه ظلمه شيئًا[٢٨٨].

---

(٢٨٧) أخرجه ابن معين في تاريخه برواية الدوري عنه (٤/ ٤٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٢).

(٢٨٨) فيض القدير (٣/ ١٦٤).

فوائد الحديث:

١- التحذير من الظلم فإن الظلم من الكبائر.

٢- بيان حرمة الظلم ولو كان لكافر.

٣- بيان أن من الدعوات المستجابة دعوة المظلوم.

التحذير من الخذف

عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْخَذْفَ فَإِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَلا تنكئ الْعَدُوَّ»(٢٨٩).

معاني الكلمات:

الخذف: الرمي بالحصى.

ولا تنكئ العدو: أي لا تكثر الجرح والقتل في العدو مما يجعل العدو يغتاظ.

المعنى الإجمالي:

ينهى النبي ﷺ أن تأخذ حصاة أو نواة بين سبابتيك وترمي بها «فإنها»؛ أي: هذه الفعلة «تكسر السن»، وهذا مما يستوجب القصاص، قال تعالى: ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة:٤٥].

«وتفقأ العين» وفقء العين يستوجب القصاص أيضًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة:٤٥].

«ولا تنكئ العدو»: نكاية يعتد بها، فبالتالي لا فائدة من ورائها. فالنبي ﷺ يحذر مما قد تقع به الخصومة بين الناس، ومما يوجب على فاعله القصاص.

---

(٢٨٩) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٢٧/ برقم:٥٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٧٦).

فوائد الحديث:

١- النهي عن الخذف وهو الرمي بالحصى.

٢- بيان أن الخذف من اللغو؛ لأنه لا ينكئ عدوًّا، وتكسر السن، وتفقأ العين.

التحذير من التعريس على جواد الطريق والصلاة عليها

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ على جَوَادِّ الطَّرِيقِ وَالصَّلَاةَ عليها؛ فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ، وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ عليها فَإِنَّهَا من الْمَلَاعِنِ»(٢٩٠).

معاني الكلمات:

التعريس: النزول للاستراحة والنوم في آخر الليل.

جواد الطريق: أي وسط الطريق والمراد هنا الطريق كله.

مأوى: أي مرجع، والمقصود: أنها مكان مبيت الحيات.

الملاعن: جمع ملعنة اسم مكان، وكأن ذلك حامل وسبب للعن؛ لأن الإنسان إذا أصابه مكروه سب من أصابه بالمكروه، ولذلك سميت ملاعن.

المعنى الإجمالي:

نهى النبي ﷺ عن النزول آخر الليل في الطريق سواء للصلاة أو النوم فيها؛ وذلك لعلتين:

العلة الأولى: أنها مأوى الحيات والسباع فلا يأمن الإنسان على نفسه منها.

---

(٢٩٠) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

العلة الثانية: أنها مكان قضاء المارة والمسافرين حاجتهم فيها -إذ لم تكن ساعتها حشوش[٢٩١] أو أماكن لقضاء الحاجة كما في أيامنا هذه- فيكون ذلك جالبًا للَّعن والشتم لذلك؛ والمصطفىٰ ﷺ رءوفٌ بأمته رحيم بهم فأرشد إلىٰ تجنب ما هو مظنة حصول التأذي[٢٩٢].

وفي (شرح سنن ابن ماجه): وهو أمر إرشاد لأن الحشرات وذوات السموم تمشي في الليل علىٰ الطريق لسهولتها ولتأكل ما يسقط من مأكول ورمة[٢٩٣].

فوائد الحديث:

١- التحذير من التعريس في وسط الطريق في السفر.

٢- بيان لحرص النبي ﷺ علىٰ حماية أمته من الأضرار.

٣- بيان لقاعدة سد الذرائع وهو ترك الشيء وهو مباح سدًّا للذريعة إلىٰ محرم، فالنبي ﷺ نهىٰ عن التعريس في وسط الطريق في السفر وإن كان التعريس في أصله مباحًا والسفر في أصله مباحًا إلا أنه نهي عنه حتىٰ لا يؤدي إلىٰ محرم وهو اللعن.

---

[٢٩١] هي مواضع قضاء الحاجة، ويكنىٰ بها عن الغائط، انظر «النهاية» لابن الأثير (١/ ٣٩٠).

[٢٩٢] فيض القدير (٣/ ١٥٩).

[٢٩٣] شرح سنن ابن ماجه (١/ ٢٨).

اجتناب الظن

عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا»(٢٩٤).

معاني الكلمات:

الظن: العلم بغير يقين.

التجسس: تتبع عورات الناس.

التحسس: الاستماع لحديث القوم.

البغضاء: شدة الكراهية.

المعنى الإجمالي:

نهى النبي ﷺ عن أن أربعة أمور:

أولها: الظن، فقال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»: هذا مطابق لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢]، لكن في هذه الآية قال الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢]، ولم يقل الظن كله؛ لأن الظن المبني على قرائن لا بأس به، فهو من طبيعة الإنسان أنه إذا وجد قرائن قوية توجب الظن الحسن أو غير الحسن، فإنه لا بد أن يخضع لهذه القرائن، ولا بأس بذلك، لكن الظن المجرد هو الذي حذر منه النبي ﷺ وقال: «إنه أكذب الحديث»؛ لأن الإنسان إذا ظن صارت نفسه تحدثه، تقول له: فعل

---

(٢٩٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥١٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٨/ ٢٥٦٣).

فلان كذا وهو يفعل كذا وهو يريد كذا وما أشبه ذلك.

وثانيها: التجسس: وهو: أن يتتبع الإنسان أخاه ليطلع علىٰ عوراته سواء كان ذلك عن طريق مباشر، بأن يذهب هو بنفسه يتجسس لعله يجد عسرة أو عورة، أو كان عن طريق الآلات المستخدمة في حفظ الصوت، أو كان عن طريق الهاتف فكل شيء يوصل الإنسان إلىٰ عورات أخيه مسالبه فإن ذلك من التجسس، وهو محرم؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢] ، فنهىٰ ﷻ عن التجسس،...التجسس أذية، يتأذىٰ به المتجسس عليه، ويؤدي إلىٰ البغضاء والعداوة ويؤدي إلىٰ تكليف الإنسان نفسه ما لم يلزمه، فإنك تجد المتجسس والعياذ بالله، مرة هنا ومرة هنا، ومرة هنا، ومرة ينظر إلىٰ هذا ومرة ينظر إلىٰ هذا، فقد أتعب نفسه في أذية عباد الله، نسأل الله العافية، ومن ذلك أيضا أن يتجسس علىٰ البيوت، يقف عند الباب ويستمع لما يقال في المجلس ثم يبني عليه الظن الكاذب، والتهم التي ليس لها أصل[(٢٩٥)].

وثالثها: التحسس: قيل: التجسس، والتحسس بمعنىٰ واحد، وهذا مثل الكذب والمين والبهتان، فالكذب والبهتان والمين ألفاظ مترادفة مثل: قام ووقف، وجلس وقعد، كل هذه من الألفاظ المترادفة التي يختلف اللفظ فيها ويتحد المعنىٰ، ومنهم من قال: إن بينهما فرقًا، لكن لا أعرف فرقًا دقيقًا في ذلك، قال في «عون المعبود» في الفرق بينهما: قال المناوي: أي: لا تطلبوا الشيء بالحاسة، كاستراق السمع وإبصار الشيء خفية، «ولا تجسسوا»؛ أي: لا

---

(٢٩٥) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (١٥٧٠).

تتعرفوا خبر الناس بلطف كما يفعل الجاسوس[٢٩٦].

ورابعها: التباغض؛ أي: لا يُبغض بعضكم بعضًا، وهذا بالنسبة للمؤمنين بعضهم مع بعض، فلا يجوز للإنسان أن يبغض أخاه؛ أي: يكرهه في قلبه؛ لأنه أخوه، ولكن لو كان هذا لأخ من العصاة الفسقة، فإنه يجوز لك أن تبغضه من أجل فسقه لا تبغضه بغضًا مطلقًا، لكن أبغضه علىٰ ما فيه من المعصية وأحبه علىٰ ما فيه من الإيمان، ومن المعلوم أننا لو وجدنا رجلًا مسلمًا يشرب الخمر ويشرب الدخان ويجر ثوبه خيلاء فإننا لا نبغضه كما نبغض الكافر، فمن أبغضه كما يبغض الكافر فقد انقلب علىٰ وجهه، كيف تسوي بين مؤمن عاصٍ فاسق وبين الكافر؛ هذا خطأ عظيم[٢٩٧].

قوله: «وكونوا إخوانًا»؛ أي: اكتسبوا ما تصيرون به إخوانًا مما ذكر وغيره فإذا تركتم ذلك كنتم إخوانًا وإذا لم تتركوا صرتم أعداء[٢٩٨].

فوائد الحديث:

١- نهي النبيﷺ عن الظن.

٢- النهي عن التجسس والتحسس.

٣- النهي عن التباغض.

٤- في الحديث الحث علىٰ الأخوة في الله.

---

(٢٩٦) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٨/ ١٩٨).

(٢٩٧) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٢٣٥).

(٢٩٨) فيض القدير (٣/ ١٥٨).

النهي عن السباب

عن أبي جري جابر بن سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه قلت من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين قال: «لا تقل عليك السلام، عليك السلام تحية الموتى، قل: السلام عليك»، قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك»، قلت: اعهد لي، قال: «لا تسبن أحدًا»، قال: فما سببت بعده حرًّا ولا عبدًا، ولا بعيرًا ولا شاةً، «ولا تحقرن من المعروف شيئًا، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلي الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبالُ ذلك عليه»(٢٩٩).

معاني الكلمات:

يصدر الناس عن رأيه: يعملون بأمره.

عام سنة: الجدب والقحط.

فلاة: الصحراء.

---

(٢٩٩) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

اعهد إلي: أوصني.

لا تحقرن: لا تستصغرن.

المخيلة: الكبر.

المعنى الإجمالي:

عن جابر بن سليم رضي الله عنه (أنه قدم المدينة فرأىٰ رجلًا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدورا عنه)؛ يعني: أنهم يأخذون بما يقول وبما يوجه؛ لأنه رسول الله ﷺ، فسأل: من هذا؟ لأنه رجل لا يعرف النبي ﷺ. قالوا: رسول الله، فجاء إليه فقال: أنت رسول الله؟ قال: «نعم»، ولكنه قال: عليك السلام فقدم الخبر فقال النبي ﷺ: «لا تقل: عليك السلام، عليك السلام تحية الموتىٰ، ولكن قل: السلام عليك»، ومعنىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «عليك السلام تحية الموتىٰ»؛ يعني: أنهم كانوا في الجاهلية يسلمون علىٰ الأموات هكذا كما قال الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عامر
ورحمته ما شاء أن يترحم

فكانوا في الجاهلية إذا سلموا علىٰ الأموات يقولون: عليك السلام، لكن الإسلام نسخ هذا وصار السلام يقال لمن ابتدئ به: (السلام عليك)، حتىٰ الموتىٰ كان النبي ﷺ يخرج إليهم إلىٰ المقبرة يسلم فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، ولا يقول: عليكم السلام، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «قل السلام عليك»: دليل علىٰ أن الإنسان إذا سلَّم علىٰ الواحد يقول: السلام عليك، وهكذا جاء أيضًا في حديث الرجل الذي يسمىٰ المسيء في صلاته أنه جاء فسلَّم علىٰ النبي ﷺ فقال: (السلام عليك) بالإفراد، وهذا هو الأفضل،

وقال بعض العلماء: تقول: السلام عليكم، تريد بذلك أن تسلم على الإنسان الذي سلمت عليه ومن معه من الملائكة، ولكن الذي وردت به السنة أولىٰ وأحسن وهو أن تقول: السلام عليك إلا إذا كانوا جماعة فإنك تسلم عليهم بلفظ السلام عليكم.

ثم إن النبي ﷺ بيَّن له أنه رسول رب العالمين الذي يكشف الضر ويجلب النفع فإذا ضاعت البعير في فلاة من الأرض فدعوت الله ﷻ ردَّها عليك يقول: «وإذا أصابك سنة»؛ يعني: جدبًا في الأرض وعدم نبات فدعوت الله كشفه عنك أنبت الأرض لك.

وكذلك «إذا أصابك الضر فدعوت الله كشفه عنك»، كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[النمل:٦٢] فبين له أنه -أي الرب ﷻ- يجلب لعباده الخير وأنه إذا دعاه عبده لم يخب، وهكذا كل دعاء تدعو به ربك فإنك لا تخيب لو لم يأتك من هذا، إلا أن الدعاء عبادة تؤجر عليه الحسنة بعشر أمثالها، إلىٰ سبعمائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة لكفىٰ، وإذا لم يكن هناك موانع تمنع إجابة الدعاء فإن الله تعالىٰ إما أن يعطيك ما سألت وتراه رأي العين تدعو الله بالشيء فيحصل، وإما أن يكشف عنك من الضر ما هو أعظم، وإما أن يدخر ذلك لك عنده، وإلا فلن يخيب من دعا الله ﷻ أبدًا، ولكن إياك أن تستبطئ الإجابة فتقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي، فإن الشيطان قد يلقي في قلبك هذا ويقول: كم دعوت الله من مرة وما جاءك مطلوب؟ ثم يقنطك من رحمة الله والعياذ بالله، وهذه من كبائر الذنوب -القنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب- ولا تقنط من رحمة الله ولو تأخرت إجابة الدعاء فأنت لا تدري ما هو الخير؟ ما أمرك الله

تعالىٰ بالدعاء إلا وهو يريد أن يستجيب لك كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، لكنك تستعجل انتظر وألح علىٰ الله بالدعاء فربما أن الله عَزَّوَجَلَّ يؤخر إجابتك لأجل أن تكثر من الدعاء فتزداد حسناتك وتعرف قدر نفسك وتعرف قدر حاجتك إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فهذا خير، فإياك أن تستعجل وألح علىٰ الله في الدعاء والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحب الملحين في الدعاء المبالغين فيه؛ لأن الإنسان يدعو من إليه المنتهىٰ عَزَّوَجَلَّ، من بيده ملكوت كل شيء، وسواء كان ذلك في صلاتك أو في خلواتك ادع الله بما شئت، حتىٰ وأنت تصلي ادع الله بما شئت؛ لأن النبي ﷺ قال: «أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء»، وقال حين ذكر التشهد: «ثم ليتخذ من الدعاء ما شاء الله»، فليس للإنسان أحد سوىٰ الله فليلجأ إليه في كل دقيقه وجليله، حتىٰ إنه جاء في الحديث ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتىٰ يسأل شسع نعله إذا انقطع، شراك النعل أدنى شيء يسأله الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن السؤال عبادة والتجاء إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وإنابة إليه وارتباط به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يكون قلبك دائمًا مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فأكثر من الدعاء.

ثم إن النبي ﷺ أمر جابر بن سليم ألا يحقرن من المعروف شيئًا، كل معروف افعله سواء كان قولًا، أو فعلًا، أو جاهًا، أو أي شيء لا تحقر شيئًا من المعروف؛ فإن المعروف من الإحسان، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب المحسنين، فلو ساعدت إنسانًا علىٰ تحميل متاعه في السيارة فهذا معروف، لو أدنيت له شيئًا يحتاج إليه فهذا من المعروف، لو أعطيته القلم يكتب به فهذا من المعروف، لو أعطيته حافظة من أجل أن يحفظ بها شيئًا من الأشياء فهذا من المعروف، أَحْسِن فإن الله يحب المحسنين، واعلم أن هناك قاعدة إذا ذكرها الإنسان سهل عليه الإحسان وهي ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قوله: «ومن كان

في حاجة أخيه كان الله في حاجته»، وما ظنك إذا كان الله في حاجتك؟ هل تتعثر الأمور؟ الجواب: لا، إذا كان الله في حاجتك يساعدك علىٰ حاجتك ويعينك عليها، فلا شك أنها سوف تسهل، فأنت كلما كنت في حاجة أخيك كان الله في حاجتك؛ فأكثر من المعروف، أكثر من الإحسان، ولا تحقرن شيئًا ولو كان قليلًا، قال النبي ﷺ: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»؛ أي: لا تحقر ولو هذا الشيء القليل.

ثم قال النبي ﷺ لجابر بن سليم: «وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك»، إن ذلك من المعروف لما قال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا» بيَّن أن من المعروف أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق لا معبس ولا مكفهر، بل يكون منبسطًا؛ وذلك لأن هذا يدخل السرور علىٰ أخيك، وكل ما أدخل السرور علىٰ أخيك فإنه معروف وإحسان والله يحب المحسنين، وهذا لا شك أنه خير، إلا أنه في بعض الأحيان قد يكون المرء الذي يخاطبك من المصلحة ألا تلقاه بوجه منبسط كأن يكون قد فعل شيئًا لا يحمد عليه فلا تلقه بوجه منبسط تعزيرًا له لأجل أن يرتدع ويتأدب، ولكل مقام مقال.

ثم إن النبي ﷺ أمره أن يرفع إزاره إلىٰ نصف الساق، فإن أبىٰ فإلىٰ الكعبين، وهذا يدل علىٰ أن رفع الإزار إلىٰ نصف الساق أفضل، ولكن لا حرج أن ينزل إلىٰ الكعبين؛ وذلك لأن هذا من باب الرخصة وليس بلازم أن يرفع الإنسان إزاره إلي نصف الساق، أو يرىٰ أن ذلك حتم عليه وأن الذي لا يرفع قد خالف السنة؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «فإن أبيت فإلىٰ الكعبين»، ولم يقل فإن أبيت فعليك كذا وكذا من الوعيد؛ فدلَّ ذلك علىٰ أن الأمر في هذا واسع، وقد مر علينا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: إن

أحد شقي إزاري يسترخي علي إلا أن أتعاهده، وقلنا: إن هذا يدل على أن إزار أبي بكر ﷺ كان نازلًا عن نصف الساق وأن هذا لا بأس به فلا ينبغي للإنسان أن يشدد على نفسه أو على الناس بحيث يرى أنه لزام عليه أن يجعل سرواله أو ثوابه إلى نصف الساق فالأمر في هذا واسع، هو سنة، ولكن مع ذلك الأمر فيه واسع ولله الحمد بترخيص النبي ﷺ.

ثم حذر النبي ﷺ جابر بن سليم من المخيلة؛ يعني: أن يختال في مشيته أو ثوبه أو عمامته أو كلامه أو أي شيء يفعله خيلاء، فإن الله لا يحب ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]، فالإنسان ينبغي له أن يكون متواضعًا دائمًا في لباسه ومشيته وهيئته وكل أحواله؛ لأن من تواضع لله رفعه الله.

فهذه الآداب التي علمها النبي ﷺ أمته ينبغي للإنسان أن يتأدب بها؛ لأنه يحصل على أمرين؛ أولا: امتثال أمر النبي ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح:١٧].

ثانيًا: التحلي بحسن الخلق من خلال التأدب بهذه الآداب الراقية التي لا يستطيع أحد من البشر أن يوجه الناس إلى آداب مثلها أبدًا؛ لأن الآداب التي جاء بها الشرع هي خير الآداب.

ثم إن النبي ﷺ قال: «وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فإنما وبال ذلك عليه» وذلك أن الإنسان ينبغي له أن يعفو ويصفح ولا يجعل كل كلمة يسمعها مقياسًا له في الحكم على الناس، تغاضى عن الشيء واعف واصفح فإن الله تعالى يحب العافين عن الناس ويثيبهم على ذلك وأنت إذا عيرته أو سببته بما تعلم فيه طال النزاع، وربما حصل بذلك العداوة والبغضاء، فإذا كففت وسكت هدأت الأمور وهذا شيء مجرب، أن الإنسان

إذا ساب أحدًا قد سبه طال السباب بينهما وحصل تفرق وتباغض، وإذا سكت فإنه قد يكون أنفع كما قال الله تبارك وتعالىٰ في وصف عباد الرحمن ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣]، يعني: قالوا قولًا يسلمون به؛ إما أن يقولوا مثلًا: جزاك الله خيرًا أعرض عن هذا اترك الكلام وما أشبه ذلك، والله عز وجل يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، يعني ما عفا وسهل من أخلاق الناس ولا ترد من الناس أن يكونوا علىٰ أكمل حال بالنسبة لك الناس ليسوا علىٰ هواك، لكن خذ منهم ما عفا وما سهل وما صعب فلا تطلبه؛ ولهذا قال: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، الجاهل إذا سابك أو شتمك أو ما أشبه ذلك فأعرض عنه فإن هذا هو الخير وهو المصلحة والمنفعة(٣٠٠).

فوائد الحديث:

١- حرص الصحابة رضي الله عنهم علىٰ طلب الوصية من النبي ﷺ.

٢- النهي عن السب ولو كان حيوانًا أو حقيرًا.

٣- بيان لحرص الصحابة علىٰ تنفيذ وصايا النبي ﷺ.

---

(٣٠٠) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٧٩٦).

النهي عن الكذب في حديث النبي ﷺ

عن أبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول على هذا الْمِنْبَرِ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحديث عَنِّي، فَمَنْ قال عَلَيَّ فَلْيَقُلْ حَقًّا أو صِدْقًا، وَمَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ ما لم أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ»(٣٠١).

معاني الكلمات:

إياكم: أسلوب تحذير.

فليتبوأ: أي يتخذ النار مأوىٰ ومكانًا يبيت فيه.

المعنى الإجمالي:

«إياكم وكثرة الحديث»؛ أي: احذروا إكثار التحديث «عني»، فإنه قلَّما سلم مكثار من الخطأ أو الغفلة، «فمن قال عليَّ» شيئًا؛ أي: حدّث عني بشيء «فليقل حقًّا أو صدقًا» شك من الراوي، أو لأن الحق غير مرادف للصدق، إذ الصدق خاص بالأقوال، والحق يطلق عليها وعلىٰ العقائد والمذاهب، «ومن تقوّل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»؛ أي: فليتخذ له نزلًا أي بيتًا فيها(٣٠٢). ومن ثَمَّ كان أكابر الصحب يتحرون عدم التحديث، قال علي رضي الله عنه: لأن أخرّ من السماء أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله ﷺ بما لم

---

(٣٠١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٣٠٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٨٢٢).

أسمعه[٣٠٣].

فوائد الحديث:

١- استحباب قلة الكلام.

٢- لا ينبغي التكلم إلا بما كان حقًّا أو صدقًا.

٣- سوء عاقبة الكذب في الآخرة.

٤- الوعيد الشديد لمن تقوَّل علىٰ رسول الله ﷺ ما لم يقله.

٥- اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بحديث رسول الله ﷺ حتىٰ ذكر المكان الذي حدَّث فيه بهذا الحديث.

(٣٠٣) فيض القدير (٣/ ١٦٤).

النهي عن النظر المحرم

عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لِعَلِيٍّ: «يا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فإن لك الْأُولَى وَلَيْسَتْ لك الْآخِرَةُ»(٣٠٤).

معاني الكلمات:

لا تتبع النظرة النظرة: لا تعقبها بأخرى.

المعنى الإجمالي:

«لا تتبع النظرة النظرة» من الإتباع؛ أي: لا تعقبها إياها ولا تجعل أخرى بعد الأولى، فإن لك الأولى -أي النظرة الأولى- إذا كانت من غير قصد، وليست لك الآخرة -أي النظرة الآخرة- لأنها باختيارك فتكون عليك. قال الطيبي رحمه الله: دل على أن الأولى نافعة، كما أن الثانية ضارة؛ لأن الناظر إذا أمسك عنان نظره ولم يتبع الثانية أجر(٣٠٥).

فهذا الحديث نهيٌ من النبي ﷺ عن إطلاق العنان للبصر في النظر إلى النساء، فالنظر إلى النساء بريد الزنا؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠-٣١].

قال الغزالي رحمه الله: العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسير من حيث إنه

---

(٣٠٤) حسن: أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣٠٥) مرقاة المفاتيح (١٠/ ١٥٨).

قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه، والآفات كلها منه تنشأ... وقال العلاء بن زياد: لا تتبع بصرك رداء المرأة؛ فإن النظر يزرع في القلب شهوة (٣٠٦).

فوائد الحديث:

١- النهي عن النظر المحرم.

٢- بيان لرحمة الله سبحانه بخلقه حيث لم يحاسب على النظرة الأولى؛ لأنه في الغالب لا بد منها في الأسواق والطرقات، أو لم تكن مقصودة، أما الثانية فهذا يعني أنه تعمد النظر.

٣- الحديث خطاب للنساء أيضًا وليس للرجال وحدهم، فالنساء داخلة في الخطاب.

٤- بيان حفاظ الإسلام على عورات الناس، والحث على العفة بفعل أسبابها.

٥- بيان اهتمام الإسلام بالشباب حيث وجَّه النبي ﷺ النصيحة لعلي وهو شاب إذ ذاك، والحفاظ على الشباب وعفتهم مطلوب في الإسلام؛ لأنهم هم القوة المحركة له.

٦- يدخل الشيوخ العجائز في الحديث، وليس هذا للشباب فحسب، بل إنه من الشيخ العجوز أشد؛ لأن الشاب له صبوة وشهوة بخلاف الشيخ الكبير.

---

(٣٠٦) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤/ ١٧١).

اجتناب الريبة والشبهات

عن الحسن بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ، فإن الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»(٣٠٧).

معاني الكلمات:

دع: اترك.

الريبة: الشك والتردد.

المعنى الإجمالي:

هذا الحديث من أحاديث الأربعين النووية وهو حديث جامع مهم، وهو باب عظيم من أبواب الورع والاحتياط.

وقد سلك أهل العلم رحمهم الله في أبواب الفقه هذا المسلك وهو الأخذ بجانب الاحتياط وذكروا لذلك أشياء كثيرة.

منها: إنسان أصاب ثوبه نجاسة ولا يدري هل هي في مقدم الثوب أو في مؤخره؛ إن غسل المقدم صار عنده ريبة لاحتمال أن تكون في مؤخر الثوب، وإن غسل المؤخر صار عنده ريبة لاحتمال أن تكون في مقدم الثوب! فما الاحتياط؟

ومنها: لو شك الإنسان في صلاته؛ هل صلىٰ ركعتين أو ثلاث ركعات ولم يترجح عنده شيء، فهنا إن أخذ بركعتين صار عنده ريبة فلعله نقص، وإن أخذ

(٣٠٧) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

بالثلاث صار عنده ريبة فلعله لم ينقص، لكن يبقىٰ قلقًا فهنا يعمل بما لا ريبة فيه فيعمل بالأقل فإذا شك هل هي ثلاث أو أربع فليجعلها ثلاثًا وهكذا.

فهذا الحديث أصل من أصول الفقه أن الشيء الذي تشك فيه اتركه إلىٰ شيء لا شك فيه، ثم إن فيه تربية نفسية وهي أن الإنسان يكون في طمأنينة ليس في قلق؛ لأن كثيرًا من الناس إذا أخذ ما يشك فيه يكون عنده قلق، إذا كان حيَّ القلب فإذا قطع الشك باليقين زال عنه ذلك.

قال النبي ﷺ: «فإن الصدق طمأنينة»، فالصدق طمأنينة لا يندم صاحبه أبدًا ولا يقول: ليتني وليت؛ لأن الصدق منجاة، والصادقون ينجيهم الله بصدقهم، وتجد الصادق دائمًا مطمئنًا؛ لأنه لا يتأسف علىٰ شيء حصل أو يحصل في المستقبل؛ لأنه قد صدق، ومن صدق نجا.

أما الكذب فبين النبي عليه الصلاة والسلام أنه ريبة؛ ولهذا تجد أول من يرتاب في الكاذب نفسه، فيرتاب هل يصدقه الناس أو لا يصدقونه.

ولهذا تجد الكاذب إذا أخبرك بالخبر قام يحلف بالله صدِّق؛ لئلا يرتاب في خبره مع أنه محل ريبة.

تجد المنافقين -مثلًا- يحلفون بالله ما قالوا ولكنهم في ريبة، قال الله: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [التوبة:٧٤]، فالكذب لا شك أنه ريبة وقلق للإنسان، ويرتاب الإنسان هل علم الناس بكذبه أو لم يعلموا، فلا يزال في شك واضطراب.

إذًا نأخذ من هذا الحديث أنه يجب علىٰ الإنسان أن يدع الكذب إلىٰ الصدق؛ لأن الكذب ريبة والصدق طمأنينة، وقد قال النبي عليه الصلاة

والسلام: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك». والله الموفق [٣٠٨].

فوائد الحديث:

١- يجب علىٰ الإنسان أن يتقي مواطن الشبهات.

٢- من فضائل الصدق: الطمأنينة.

٣- من مساوئ الكذب: الشك والارتياب.

---

(٣٠٨) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، حديث رقم (٥٥).

النهي عن ذبح الحلوب من الأنعام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ». قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلاَنٌ؟». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي -قَالَ:- فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»(٣٠٩).

معاني الكلمات:

يستعذب لنا: يأتي بالماء العذب.

العذق: غصن النخلة.

البسر: ثمر النخل قبل أن يطيب.

(٣٠٩) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٠/ ٢٠٣٨).

المدية: السكين.

الحلوب: أي الشاة وغيرها من الأنعام التي تدر باللبن.

المعنى الإجمالي:

في هذا الحديث دليل على ما كان عليه النبي ﷺ وكبار أصحابه رضي الله عنهم من التقلل من الدنيا وما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش في أوقات، وقد زعم بعض الناس أن هذا كان قبل فتح الفتوح والقرى عليهم وهذا زعم باطل، فان راوي الحديث أبو هريرة، ومعلوم أنه أسلم بعد فتح خيبر، فإن قيل: لايلزم من كونه رواه أن يكون أدرك القضية فلعله سمعها من النبي ﷺ أو غيره. فالجواب: أن هذا خلاف الظاهر ولاضرورة إليه، بل الصواب خلافه، وأن رسول الله ﷺ لم يزل يتقلب في اليسار والقلة حتى توفي ﷺ فتارة يوسر وتارة ينفد ما عنده، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، وعن عائشة: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليالٍ تباعًا حتى قبض، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة على شعير استدانه لأهله، وغير ذلك مما هو معروف، فكان النبي ﷺ في وقت يوسر، ثم بعد قليل ينفد ما عنده لإخراجه في طاعة الله من وجوه البر وإيثار المحتاجين، وضيافة الطارقين، وتجهيز السرايا، وغير ذلك، وهكذا كان خُلُق صاحبيه رضي الله عنهما، بل أكثر أصحابه، وكان أهل اليسار من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم مع برهم له ﷺ وإكرامهم إياه وإتحافه بالطرف وغيرهما، ربما لم يعرفوا حاجته في بعض الأحيان؛ لكونهم لايعرفون فراغ ما كان عنده من القوت بإيثاره به، ومن علم ذلك منهم ربما كان ضيق الحال في ذلك الوقت كما جرى لصاحبيه ولايعلم أحد من الصحابة حاجة النبي ﷺ وهو متمكن من إزالتها إلا بادر إلى إزالتها،

لكن كانﷺ يكتمها عنهم إيثارًا لتحمل المشاق وحملًا عنهم.

وأما قولهما ﭫ: (أخرجنا الجوع)، وقولهﷺ : «وأنا والذى نفسى بيده لأخرجني الذى أخرجكما»: فمعناه أنهما لما كانا عليه من مراقبة الله تعالى ولزوم طاعته والاشتغال به فعرض لهما هذا الجوع الذى يزعجهما ويقلقهما ويمنعهما من كمال النشاط للعبادة وتمام التلذذ بها؛ سَعَيًا فى إزالته بالخروج فى طلب سبب مباح يدفعانه به، وهذا من أكمل الطاعات وأبلغ أنواع المراقبات..

وقوله: «بيوتكما»: هو بضم الباء وكسرها لغتان قرئ بهما فى السبع.

وقولهﷺ : «وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما»: فيه جواز ذكر الانسان ما يناله من ألم ونحوه لاعلى سبيل التشكي وعدم الرضا، بل للتسلية والتصبر كفعلهﷺ هنا ولالتماس دعاء أو مساعدة على التسبب فى إزالة ذلك العارض، فهذا كله ليس بمذموم، إنما يذم ما كان تشكيًا وتسخطًا وتجزعًا.

وقولهﷺ : «فأنا»: هكذا هو فى بعض النسخ «فأنا» بالفاء، وفى بعضها بالواو وفيه: جواز الحلف من غير استحلاف.

وقوله: (فأتى رجلًا من الأنصار): هو أبو الهيثم مالك بن التيهان.

وقوله: (فقالت: مرحبًا وأهلًا): كلمتان معروفتان للعرب، ومعناه: صادفتَ رحبًا وسعةً وأهلًا تأنس بهم، وفيه استحباب إكرام الضيف بهذا القول وشبهه، وإظهار السرور بقدومه وجعله أهلًا لذلك، كل هذا وشبهه إكرامًا للضيف، وقد قالﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، وفيه جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة، وجواز إذن المرأة فى دخول منزل زوجها لمن علمت علمًا محققًا أنه لايكرهه بحيث لايخلو بها

الخلوة المحرمة، وقولها: (ذهب يستعذب لنا الماء)؛ أي: يأتينا بماء عذب وهو الطيب، وفيه جواز استعذابه وتطييبه.

قوله: (الحمد لله ما أحد اليوم أكرم ضيفًا مني): فيه فوائد؛ منها: استحباب حمد الله تعالىٰ عند حصول نعمة ظاهرة، وكذا يستحب عند اندفاع نقمة كانت متوقعة وفي غير ذلك من الأحوال.

ومنها: استحباب إظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالىٰ وهو يسمع علىٰ حصول هذه النعمة والثناء علىٰ ضيفه إن لم يخف عليه فتنة، فإن خاف لم يُثن عليه في وجهه..

قوله: (فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا من هذه): العذق هنا بكسر العين وهي الكباسة، وهي الغصن من النخل، وإنما أتىٰ بهذا العذق الملون ليكون أطرف وليجمعوا بين أكل الأنواع، فقد يطيب لبعضهم هذا ولبعضهم هذا، وفيه دليل علىٰ استحباب تقديم الفاكهة علىٰ الخبز واللحم وغيرهما، وفيه استحباب المبادرة إلىٰ الضيف بما تيسر وإكرامه بعده بطعام يصنعه له لاسيما إن غلب علىٰ ظنه حاجته في الحال إلىٰ الطعام وقد يكون شديد الحاجة إلىٰ التعجيل، وقد يشق عليه انتظار ما يصنع له لاستعجاله للانصراف، وقد كره جماعة من السلف التكلف للضيف، وهو محمول علىٰ ما يشق علىٰ صاحب البيت مشقة ظاهرة؛ لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف، وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيتأذىٰ به الضيف وقد يحضر شيئًا يعرف الضيف من حاله أنه يشق عليه وأنه يتكلفه له فيتأذىٰ الضيف لشفقته عليه، وكل هذا مخالف لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم

ضيفه»[٣١٠]؛ لأن أكمل إكرامه إراحة خاطره وإظهار السرور به، وأما فعل الأنصاري وذبحه الشاة فليس مما يشق عليه، بل لو ذبح أغنامًا بل جمالًا وأنفق أموالًا في ضيافة رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما كان مسرورًا بذلك مغبوطًا فيه والله أعلم.

قوله: (وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ: إياك والحلوب): المدية بضم الميم وكسرها هي السكين، والحلوب: ذات اللبن فعول بمعنى مفعول، كركوب ونظائره.

قوله: فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة»: فيه دليل على جواز الشبع وما جاء في كراهة الشبع فمحمول على المداومة عليه؛ لأنه يقسي القلب وينسي أمر المحتاجين، وأما السؤال عن هذا النعيم فقال القاضي عياض: المراد السؤال عن القيام بحق شكره، والذي نعتقده أن السؤال هنا سؤال تَعداد النعم وإعلام بالامتنان بها وإظهار الكرامة بإسباغها لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة والله أعلم[٣١١].

فوائد الحديث:

١- في الحديث دليل قاطع على بشرية النبي ﷺ، وأنه كسائر البشر يتقلب في اليسار والقلة صلوات ربي وسلامه عليه.

٢- زهد النبي ﷺ وصحابته.

---

[٣١٠] متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣١١] شرح النووي على مسلم (١٣/ ٢١٠) وما بعدها بتصرف واختصار.

٣- جواز حكاية الإنسان ما أهمه إذا لم يكن علىٰ سبيل الشكاية والتسخط.

٤- فضل إكرام الضيف وإظهار الفرح والسرور في وجهه.

٥- جواز كلام الأجنبية عند دعاء الحاجة لذلك.

٦- النهي عن ذبح الحلوب من الشياه.

٧- وجوب شكر الله تعالىٰ علىٰ نعمائه؛ لأنه محاسب عليها.

النهي عن إرهاق الحيوانات

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فإن الله إنما سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إلى بَلَدٍ لم تَكُونُوا بَالِغِيهِ إلا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُم الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ»[٣١٢].

معاني الكلمات:

إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر: أي: لا تجلسوا على ظهورها فتوقفونها وتحدِّثون بالبيع والشراء وغير ذلك، بل انزلوا واقضوا حاجاتكم، ثم اركبوا حتى لا تجهدوها.

شق الأنفس: كناية عن الجهد والمشقة.

المعنى الإجمالي:

هذه وصية من نبي الرحمةﷺ بالدواب ليؤصل بذلك أصلًا عظيمًا من أصول التعامل مع الحيوان فنهى عن الوقوف على الدابة والركوب والجلوس عليها، والاستقرار عليها، فالإنسان لا يستقر عليها إلا لحاجة، إما كونه راكبًا مسافرًا، أو لحاجة، ككونه وقف عليها بعرفة كما وقف رسول اللهﷺ ، أما أن يستقر الإنسان عليها ويتحدث ويقضي الساعات وهو جالس عليها لا تمشي، وليس بحاجة إلى أن يركب عليها، وإنما يتخذها مستقرًا وكأنه جالس على

[٣١٢] صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٦٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

منبر يحدث صاحبه في الأمور المختلفة، فإن هذا لا يصلح ولا ينبغي؛ لأن هذا فيه إضرار بالدابة، والله تعالىٰ جعل تلك الدواب ليركب عليها، ولتوصل إلىٰ مكان لا يوصل إليه إلا بشق الأنفس، أما أن تتخذ مستقرًّا ومركبًا يجلس الإنسان ويستقر عليها وهي واقفة، ويتحدث مع صاحبه، وكأن كلًّا منهما جالس علىٰ منبر فهذا لا يصلح ولا يليق؛ لأن هذا فيه إضرار. والإنسان إذا أراد أن يتحدث يجلس علىٰ الأرض ولا يجلس علىٰ الدابة فيؤذيها، ويكون جالسًا عليها كأنه جالس علىٰ كرسي أو علىٰ منبر، وأما إذا كان هناك حاجة بأن يكون مرتفعًا، أو أن يقف عليها بعرفة يخطب عليها كما خطب الرسول ﷺ وهو علىٰ ناقته، فذلك لا بأس به، وإنما المحذور أن يتخذها مستقرًّا له، والمقصود بالوقوف هو الاستقرار عليها، وليس معنىٰ ذلك أن يقف عليها علىٰ رجليه؛ لأن الواقف علىٰ رجليه إذا تحركت يسقط، وإنما المقصود أن يستقر ويجلس عليها فتكون مستقرًّا وكأنه جالس علىٰ الأرض، فهذا هو الذي يمنع منه، وهو الذي نهىٰ عنه الرسول ﷺ[٣١٣] .

فوائد الحديث:

١- النهي عن اتخاذ ظهور الدواب لقضاء الحاجات في الأسواق وغيرها.

٢- بيان لنعمة من نعم الله جل وعلا وهي نعمة الدواب حيث سخرها الله لنا لتبلغنا إلىٰ البلاد.

٣- بيان لرأفة النبي ﷺ ورحمته بالحيوان فهو أول من أرسىٰ قواعد

---

(٣١٣) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (١٤/ ١٤).

حقوق الحيوان منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا.

٤-بيان لنعمة أخرىٰ من نعم الله جل وعلا وهي الأرض حيث سخرها الله لنا وجعلها ذلولًا لنقضي حاجتنا فيها.

التحذير من الشح

عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: خَطَبَ رسول الله ﷺ فقال: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ من كان قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ؛ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»(٣١٤).

معاني الكلمات:

الشح: البخل مع الحرص، وهو أعم من البخل.

وأمرهم بالقطيعة: أي بقطع الرحم.

المعنى الإجمالي:

الشح: هو شدة البخل، وقيل: إن الشح خاص، والبخل عام، وقيل: العكس، وغالبًا ما يضاف البخل إلىٰ عدم البذل، والشح إلىٰ ما يقوم بالنفس من عدم الرغبة في الجود والإحسان؛ ولهذا يأتي في القرآن: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر:٩]، فاليد تابعة للنفس، فإذا كانت النفس غنية سهل بعد ذلك بذل اليد، وإذا كانت اليد غنية ولكن النفس ليست غنية بل فيها الشح والبخل؛ فإن اليد تكون تابعة لها، فلا يحصل الجود من اليد إلا إذا وجد السخاء في النفس، وكانت النفس راغبة في الإحسان. وقد أورد أبو داود حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ خطب الناس وقال: «إياكم والشح؛ فإن الشح أهلك

---

(٣١٤) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

من كان قبلكم».

والحديث يوضح أن البخل -وهو عدم البذل- يكون نتيجة لما قام في القلب والنفس، ولهذا قال: «أمرهم»؛ يعني: أنّ النفس الأمارة بالسوء التي فيها الشح هي التي أمرت بالبخل؛ فحصل البخل، فصار البخل نتيجة للشح.

وقوله: «أمرهم بالبخل فبخلوا»؛ أي: أمرهم الشح بالبخل.

وقوله: «وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»؛ أي: أمرهم بقطيعة الأرحام فقطعوها.

وقوله: «وأمرهم بالفجور ففجروا»: الفجور يفسر بالكذب، ويفسر بالميل عن الصواب، والميل عن الحق، وكل هذا نتيجة للشح الذي يقوم في النفوس؛ ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، وهذا ذكره الله عز وجل في آخر الآية التي ذكر فيها سخاء الأنصار، وجودهم، وبرهم، وإحسانهم، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩]؛ يعني: مِن قِبَل المهاجرين﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ يعني: أنهم يبذلون، ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩](٣١٥).

فوائد الحديث:

١- التحذير من الشح فإنه سبب هلاك من قبلنا.

---

(٣١٥) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٩/ ١٧٩،١٨٠).

٢- أن الشح سبب لقطيعة الرحم، وعلىٰ النقيض الكرم سبب لامتصاص غضب الأقارب واجتناب حسدهم وباعث علىٰ الوصال.

٣- أن الفجور وغيره من المعاصي من أكبر أسبابه الشح والبخل.

كتاب الفتن

الوصية بطاعة ولي الأمر

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ انْتَهَى إلى الرَّبَذَةِ وقد أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فإذا عَبْدٌ يَؤُمُّهُمْ فَقِيلَ: هذا أبو ذَرٍّ، فَذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فقال أبو ذَرٍّ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كان عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ(٣١٦).

معاني الكلمات:

الربذة: بلدة بين مكة والمدينة.

مجدع الأطراف: مقطوع الأعضاء.

المعنى الاجمالي:

في هذا الحديث تأكيد من النبي ﷺ على وجوب طاعة ولاة الأمور ولو كان هذا الولي عبدًا حبشيًّا مقطوع الأعضاء.

كما تلمس من هذا الحديث أيضًا جمال هذا الزمن الغابر الذي طبقت فيه أحكام الله وسنة رسوله ﷺ فلم يأنف القوم أن يؤمهم عبد إذا كان أعلمهم أو أقرأهم.

كما تلمس أيضًا مدى حرص الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري على التزام وصايا رسول الله ﷺ، وهذا هو الفرق الذي بيننا وبينهم.

إشكال:

قد يتعارض مفهوم هذا الحديث في أذهان البعض مع قول النبي ﷺ:

(٣١٦) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٨٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

«الأئمة من قريش»(٣١٧).

الجواب عنه: أن هذا شرط فيمن تعقد له الإمامة باختيار أهل العقد والحل، وأما من قهر الناس بشوكته وقوة بأسه وأعوانه واستولىٰ عليهم وانتصب إمامًا فإن أحكامه تنفذ وتجب طاعته وتحرم مخالفته في غير معصية عبدًا كان أو حرًّا أو فاسقًا(٣١٨).

فوائد الحديث:

١- وجوب الصلاة خلف الوالي ولو كان عبدًا.

٢- جواز إمامة العبد خلافًا لما يراه البعض.

٣- وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية.

---

(٣١٧) صحيح: اخرجه احمد (٣/ ١٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في الإرواء برقم (٥٢٠).

(٣١٨) الديباج علىٰ مسلم للسيوطي (٢/ ٢٩٠).

الوصية بالوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[٣١٩].

معاني الكلمات:

تسوسهم: يتولون أمورهم.

هلك: مات.

فوا بيعة الأول فالأول: يجب بيعة من كان أولًا في كل زمان، وبيعة الثاني باطلة.

المعنى الإجمالي:

كان بنو إسرائيل إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيًا يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا عن أحكام التوراة، وفيه إشارة إلىٰ أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها علىٰ الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم[٣٢٠].

وأشار العلامة ابن عثيمين رحمه الله إلىٰ معنىٰ لطيف في هذه الجملة فقال: وفي

---

[٣١٩] متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٥٥) واللفظ له، ومسلم (٤٤/ ١٨٤٢).

[٣٢٠] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٩٧).

قول النبي ﷺ «تسوسهم الأنبياء»: دليل علىٰ أن دين الله وهو دين الإسلام في كل مكان وفي كل زمان هو السياسة الحقيقية النافعة وليس السياسة التي يفرضها أعداء الإسلام من الكفار.

السياسة الحقيقية ما جاء في شرع الله، ولهذا نقول: إن الإسلام شريعة وسياسة، ومن فرق بين السياسة والشريعة فقد ضل، ففي الإسلام سياسة الخلق مع الله وبيان العبادات، وسياسة الإنسان مع أهله ومع جيرانه ومع أقاربه ومع أصحابه ومع تلاميذه ومع معلميه ومع كل أحد كل له سياسة تخصه، سياسة مع الأعداء الكفار ما بين حربيين ومعاهدين ومستأمنين وذميين.

وكل طائفة قد بيَّن الإسلام حقوقهم وأمر أن نسلك بهم كما يجب؛ فمثلًا: الحربيون نحاربهم ودماؤهم حلال لنا وأموالهم حلال لنا وأراضيهم حلال لنا، المستأمنون يجب أن نؤمنهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦]، والمعاهدون يجب أن نوفي لهم بعهودهم، ثم أن نطمئن إليهم، وأن نخاف منهم، أو ينقضوا العهد، ثلاث حالات كلها مبينة في القرآن. فالمهم أن الدين دين الله وأن الدين سياسة شرعية سياسة اجتماعية سياسة مع الأجانب ومع المسالمين ومع كل أحد، ومن فصل الدين عن السياسة فقد ضل فهو بين أمرين: إما جاهل بالدين ولا يعرف ويظن أن الدين عبادات بين العبد وربه وحقوق شخصية وما أشبه ذلك يظن أن هذا هو الدين فقط، أو أنه قد بهره الكفرة وما هم عليه من القوة المادية فظن أنهم هم المصيبون، وأما من عرف الإسلام حق المعرفة عرف أنه شريعة وسياسة[٣٢١].

---

(٣٢١) شرح رياض الصالحين، حديث رقم (٦٥٦) بتصرف.

وقد أكد النبي ﷺ علىٰ أنه خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، قال الله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، فمن ادعىٰ النبوة بعده فهو كذاب كافر.

ثم أخبر النبي ﷺ أنه ستكثر الخلفاء، فقالوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ الله سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ».

قال النووي: اتفق العلماء علىٰ أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد سواء اتسعت دار الإسلام أم لا[٣٢٢].

فالواجب عقد البيعة للخليفة الأول وعدم نزع يد من طاعة -كما تقدم معنا في الحديث السابق- وأن نقوم بواجبنا نحوهم والله عَزَّوَجَلَّ سائلهم عما استرعاهم عنه، في إشارة إلىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا تضيع عنده الحقوق.

فوائد الحديث:

١- بيان لحال بني إسرائيل السياسية وأن الذي يمسك زمامهم هم الأنبياء.

٢- وجوب الاعتقاد بأن النبي هو الخاتم ولا نبي بعده.

٣- الحديث علامة من علامات النبوة حيث أخبر بما هو قادم.

٤- وجوب إيفاء بيعة الأول.

٥- بيان لأولي الأمر أن الله سيحاسبهم علىٰ ما ولَّاهم من أمور المسلمين.

٦- جواز قول هلك فلان: إذا مات.

---

[٣٢٢] شرح النووي علىٰ مسلم (١٢/ ٢٣٣).

خطر الفتن

عن أبي مُوسَى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بين أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كَافِرًا، الْقَاعِدُ فيها خَيْرٌ من الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فيها خَيْرٌ من الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فيها خَيْرٌ من السَّاعِي»، قالوا: فما تَأْمُرُنَا؟ قال: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»(٣٤٣).

معاني الكلمات:

بين أيديكم: أي أمامكم وفي مستقبل أيامكم.

الفتن: الابتلاءات.

كقطع الليل المظلم: أي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها وظلمتها وعدم تبين أمرها.

أحلاس: جمع حلس: كساء يكون على ظهر البعير تحت البرذعة ويبسط في البيت تحت حر الثياب.

الساعي: الماشي بسرعة، وسعى إليه؛ أي: قصده.

المعنى الإجمالي:

هذا إخبار من النبي ﷺ عما سيقع في الأمة من فتن عاصفة لا يأمن المرء فيها على دينه، وإرشاد منه ﷺ إلى ما يجب فعله حينها.

---

(٣٤٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

فقوله: «إِنَّ بين أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»؛ يعني: أمامكم، وفي مستقبل أيامكم تكون فتنًا كقطع الليل المظلم من شدتها وصعوبتها، «يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِنًا...»: يجوز أن يكون معناه مؤمنًا لتحريمه دم أخيه وعرضه وماله كافرًا لتحليله والله أعلم(٣٢٤).

ومما جاء في هذا المعنىٰ قول النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا»(٣٢٥).

قوله: «الْقَاعِدُ فيها خَيْرٌ من الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فيها خَيْرٌ من الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فيها خَيْرٌ من السَّاعِي»: المقصود أن التباعد عنها خير في أي مرتبة كانت، فالقاعد أبعد، ثم الواقف في مكانه، ثم الماشي من الساعي(٣٢٦).

وما أرانا إلا في زمن بوادر ظهور تلك الفتن الذي أشار إليه النبي ﷺ في هذا الحديث، والمستمسك فيه بدينه كالقابض علىٰ الجمر بين يديه.

واعلم أن الفتن نوعان؛ النوع الأول: فتن الشهوات: وتلك التي استزلت كثيرًا من الناس اليوم وعصفت بهم واستعبدتهم لها، ما بين شهوة مال، أو منصب، أو شهرة، أو شهوةٍ بطنٍ، أو فرج؛ لذا حذر النبي ﷺ منها أشد تحذير، ومن ذلك قوله ﷺ: «أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشىٰ عليكم ولكني أخشىٰ أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علىٰ من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»(٣٢٧)، وقوله: « إنما أخشىٰ عليكم من

(٣٢٤) عون المعبود (١١/ ٣٠).

(٣٢٥) مسلم (١/ ١١٠).

(٣٢٦) عون المعبود (١١/ ٣١)

(٣٢٧) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٦/ ٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف ﵁.

شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوىٰ»[٣٢٨].

النوع الثاني: فتنة الشبهات: وتلك أنكىٰ من سابقتها وأشد، وبسببها ظهرت الآراء المنحرفة البعيدة عن الصواب بسبب الهوىٰ ومرض القلب، وهي التي عناها النبي ﷺ بقوله: «تعرض الفتن علىٰ القلب كعرض الحصير عودًا عودًا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتىٰ تعود -أي القلوب- علىٰ قلبين؛ قلب أسود مربادًّا كالكوز مجخيًا لا يُعرِّف معروفًا ولا يُنكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض»[٣٢٩].

ثم بين النبي ﷺ في الحديث الذي بين أيدينا وسيلة من وسائل مواجهة مثل هذه الفتن فقال: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»: أي الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم كيلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم يفوتكم[٣٣٠].

فوائد الحديث:

١- بيان لخطر الفتن حيث يصبح فيها المؤمن كافرًا ويسمي المؤمن فيها كافرًا.

٢- بيان لحرص الصحابة علىٰ النجاة.

٣- الواجب اعتزال الفتن عند ظهورها.

---

(٣٢٨) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٤) من حديث أبي برزة الأسلمي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٢).

(٣٢٩) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣١/ ١٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣٣٠) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٥/ ٣٦٨).

الوصية بوجوب تجنب الفتن

عن أبي ذَرٍّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أَبَا ذَرٍّ»، قلت: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، فذكر الحديث قال فيه: «كَيْفَ أنت إذا أَصَابَ الناس مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فيه بِالْوَصِيفِ؟» قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أو قال: ما خَارَ الله لي وَرَسُولُهُ، قال: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ» أو قال: «تَصْبِرُ»، ثُمَّ قال لي: «يا أَبَا ذَرٍّ»، قلت: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قال: «كَيْفَ أنت إذا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قد غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟» قلت: ما خَارَ الله لي وَرَسُولُهُ، قال: «عَلَيْكَ بِمَنْ أنت منه» قلت: يا رَسُولَ الله، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ على عَاتِقِي؟ قال: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ»، قلت: فما تَأْمُرُنِي؟ قال: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ»، قلت: فَإِنْ دُخِلَ على بَيْتِي؟ قال: «فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَلْقِ ثَوْبَكَ على وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ»[٣٣١].

معاني الكلمات:

لبيك: إجابة لك ولزومًا لطاعتك.

سعديك: إسعادًا لك بعد إسعاد.

ما خار الله لي ورسوله: أي اختار الله ورسوله.

أحجار الزيت: موضع بالمدينة قريب من الزوراء، موضع صلاة النبي ﷺ في الاستسقاء.

الوصيف: العبد والأمة.

---

[٣٣١] صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٦١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

يبهرك: يغلبك.

يبوء: يرجع.

المعنى الإجمالي:

قول النبي ﷺ: «يا أَبَا ذَرٍّ»: نداء له حتى يكون متهيئًا ومستعدًّا لما سيلقى عليه.

وقول أبي ذر رضي الله عنه: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ: إجابة حسنة جميلة فيها أدب، و(لبيك) بمعنى الإجابة؛ أي: أنا أجيبك وأنتظر لما تريد ومستعد له.

قوله: فذكر الحديث؛ يعني أن فيه اختصارًا وعدم سرد للحديث كله.

قوله: «كَيْفَ أنت إذا أَصَابَ الناس مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فيه بِالْوَصِيفِ؟»: البيت هنا المقصود به القبر يكون بالوصيف، وفسر الوصيف بأنه القبر نفسه، يعني: لا يوجد مكان يقبر فيه فيحتاج الناس إلى أن يشتروا مكانًا يقبرون فيه، والوصيف هو العبد، معناه: أن القبر سيكون شيئًا ذا قيمة، وفسر أيضًا بأن الناس يشغلون عن دفن موتاهم حتى يكون الذي يتولى ذلك شخصًا تكون أجرته على ذلك أن يعطى عبدًا، وقيل معناه: أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وخلو أهلها منها، وتباع من ورائهم رخيصة فتكون قيمة البيت رخيصة كقيمة العبد؛ هذه أقوال قيلت في تفسير أن البيت يكون بالوصيف. وقيل أيضًا: معناه: أنه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس إلا عبد يقوم بمصالح ضعفة أهل ذلك البيت؛ يعني: ليس كلهم هلكوا، وإنما هلك كثير منهم وبقي أناس ضعفاء يقوم على خدمتهم ذلك العبد. ويؤيد التفسير الأول ما ورد في رواية «مشكاة المصابيح»: «كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد، حتى إنه يباع القبر بالعبد».

قوله: قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أو قال: ما خَارَ الله لي وَرَسُولُهُ: وكل الأمر

إلىٰ رسول الله ﷺ لعلمه أن النبي ﷺ لن يتركه دون أن يرشده إلىٰ طريق خير يسلكه. فقال له النبي ﷺ: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ»، أو قال: «تَصْبِرُ»؛ يعني: عليك أن تصبَّر، واعمل أو اجتهد في حصول التصبر الذي يكون بمثابة معالجة ومجاهدة النفس علىٰ الصبر وعدم المشاركة في الفتنة.

قوله: «كَيْفَ أنت إذا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قد غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟»: أحجار الزيت مكان حول المدينة، ولعل هذا إشارة إلىٰ وقعة الحرة حين نقض أهل المدينة بيعة يزيد وبعث عسكرًا عظيمًا فلما توجه عسكره إلىٰ مكة مات هو بالشام.

قوله: «عَلَيْكَ بِمَنْ أنت منه»: أي: الزم أهلك وعشيرتك الذين أنت منهم ولا تقاتل، وقيل: المقصود: الزم إمامك الذي عقدت له البيعة.

قوله: قلت: يا رَسُولَ الله أَفَلا آخُذُ سَيْفِي وَأَضَعُهُ علىٰ عَاتِقِي؟ قال: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ»: لأن استلال السيف ووضعه علىٰ العاتق دليل علىٰ المشاركة والاستعداد للقاء.

قوله: قلت: فما تَأْمُرُنِي؟ قال: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ» قلت: فَإِنْ دُخِلَ علىٰ بَيْتِي؟ قال: «فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَلْقِ ثَوْبَكَ علىٰ وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ»: المقصود أن لا يقاتل ويشارك في الفتنة، والمراد بإلقاء الثوب علىٰ الوجه؛ أي: حتىٰ لا تبهره تلك الفتنة، فإن قُتل فقد باء بذنبه القاتل فهو في الجنة والقاتل في النار(٣٣٢).

---

(٣٣٢) انظر عون المعبود (٢٢/ ٢٢٨) وما بعدها، وشرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد (٢٤/ ١٠) وما بعدها، وشرح سنن ابن ماجه للسيوطي وآخرين (١/ ٢٨٤).

فوائد الحديث:

١- بيان لحسن أدب أبي ذر مع معلمه النبي ﷺ حيث لبى نداءه قائلًا: لبيك وسعديك.

٢- وجوب أن يبحث الإنسان عما يختاره الله ورسوله وليس ما تهواه النفس.

٣- وجوب العزلة عند الفتن.

تأخير ولاة الأمور الصلاة

عن عَمْرِو بن مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قال: قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بن جَبَلٍ الْيَمَنَ رسولُ رسولِ الله ﷺ إِلَيْنَا، قال: فَسَمِعْتُ تَكْبِيرَهُ مع الْفَجْرِ رَجُلٌ أَجَشُّ الصَّوْتِ، قال: فَأُلْقِيَت عليه مَحَبَّتِي فما فَارَقْتُهُ حتى دَفَنْتُهُ بِالشَّامِ مَيِّتًا، ثُمَّ نَظَرْتُ إلى أَفْقَهِ الناس بَعْدَهُ فَأَتَيْتُ ابن مَسْعُودٍ فَلَزِمْتُهُ حتى مَاتَ، فقال: قال لي رسول الله ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إذا أَتَتْ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ لِغَيْرِ مِيقَاتِهَا؟»، قلت: فما تَأْمُرُنِي إن أَدْرَكَنِي ذلك يا رَسُولَ الله؟ قال: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِمِيقَاتِهَا وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ مَعَهُمْ سُبْحَةً»(٣٣٣).

معاني الكلمات:

أجش الصوت: غليظ الصوت.

لزمته: داومت على صحبته.

سبحة: نافلة.

المعنى الاجمالي:

يؤكد هذا الحديث على أهمية أداء الصلاة في أول وقتها، إذ أن ذلك أفضل الأعمال، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين». قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في

(٣٣٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

سبيل الله». قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني(٣٣٤).

من فقه الحديث:

- أن تعجيل الصلوات في أوائل أوقاتها أفضل وأن تأخيرها بسبب الجماعة غير جائز.

- أن إعادة الصلاة الواحدة مرة بعد أخرىٰ في اليوم الواحد مرتين إذا كان لها سبب جائزة، وإنما جاء النهي عن أن يصلي واحدة مرتين في يوم واحد إذا لم يكن لها سبب.

- أن فرضه هو الأولىٰ منها، وأن الأخرىٰ نافلة وإن صلىٰ الأولىٰ منفردًا والثانية بجماعة.

- أنه قد أمر بالصلاة مع أئمة الجور حذرًا من وقوع الفرقة وشق عصا الأمة.

فوائد الحديث:

١- بيان لحرص عمرو بن ميمون علىٰ طلب العلم.

٢- حرص ابن مسعود علىٰ الصلاة.

٣- وجوب الصلاة خلف الولاة ولو كانوا فساقًا.

(٣٣٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم أبادي (٢/ ٧١).

كراهية تمني لقاء العدو والواجب سؤال الله العافية

عن عبد الله بن أبي أوفى: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ ». ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ »(٣٣٥).

معاني الكلمات:

مالت الشمس؛ أي: إلىٰ الغروب.

ظلال السيوف: كناية عن اشتداد وطيس الحرب.

الأحزاب: جيوش الكفر.

المعنى الإجمالي:

ينهىٰ النبي ﷺ أمته عن تَمَني لقاء العَدُوِّ، لما في ذلك من العجب والغرور واحتقار الأعداء وازدرائهم، الذي هو انتفاء للحيطة والحزم المطلوبين.

وأمرهم أن يسألوا الله تعالىٰ العافية، وهي السلامة من مكروهات الدنيا والآخرة، ومنها لقاء الأعداء.

ثم بيَّن أسباب النصر-إذا ابتلوا بعدوهم- وهي الثبات والصبر وتَحري

(٣٣٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (٢٠/ ١٧٤٢) واللفظ له.

القتال في أوقات البرد بعد الزوال، فإنه وقت هبوب الرياح، وفي ذلك تنشط الأجسام ويحين وقت النصر، وأن لا يتكلوا علىٰ قُوَّتِهم وعدتهم، بل يسألوا الله تعالىٰ العون والنصر وَخَذلَ الأعداء.

ثم ذكر دعاء مناسبًا لذلك الموطن، فتوسل إلىٰ اللّه تعالىٰ بكونه مُنْزِلَ الكتاب الذي سن القتال، لإظهار شعائره وأحكامه، وهو توسل بنعم الدِّين، وإجرائه السحاب الذي هو نعمة الدنيا فيها شاملًا به لنعم الدنيا والآخرة، وكما أنعمت بنصرنا وَهَزْم أعدائنا يوم الأحزاب، فانصرنا، فنحن نقاتل اليوم علىٰ ما نقاتل عليه في ذلك اليوم، فاهزمهم وانصرنا عليهم.

فهذه أسباب النصر- ببيان الوقت المناسب، والدعاء المناسب، ودفع الشر، بتركه والصبر عند حلوله- أرشد إليها القائد الأعظم ﷺ.

ثم بين فضيلة من فضائل الجهاد، وهيٰ أنه من أقرب الأسباب لدخول الجنة، لأنه إرخاص للنفس والنفيس في سبيل اللّه تعالىٰ(٣٣٦).

فوائد الحديث:

١- كراهية تمني لقاء العدو.

٢- استحباب سؤال الله العافية.

٣- وجوب الصبر والثبات عند لقاء الأعداء.

٤- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالدعاء وقت الشدائد.

(٣٣٦) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للبسام (٢/ ٢٢٨).

الفهرس

الفهرس

كتاب الإيمان

كتاب العبادات

كتاب الأدعية والأذكار

كتاب الآداب والبر والصلة

كتاب الزهد والرقائق

كتاب المنهيات

كتاب الفتن